

الجامعـــــــة الإســــــلامية بغــــــزة
شـــئون البحـــث العلمـــي والدراســـات العليـــا
كليـــــــــــــــــــــــــــة الآداب
قســـــــــــم التـــــاريخ والآثـــــــار

الأخلاق الإسلامية عند حكام الأندلس وأثرها في بناء الدولة

(92-422هـ =711-1031م)

Islamic Ethics among Andalusia Rulers and impact on Building the State

(H = 711-1031422–92)

إعداد الطالبة

سماح فتحي إبراهيم الصوفـــي

إشراف الأستاذ الدكتور

خالد يونس الخالدي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ ، بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة

1436هـ- 2015م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي بحثي هذا إلى

الذين قال الله تعالى فيهم:" وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا "[1] .

الماس الذي لا ينكسر . . . نبع العطاء الذي غرس الأخلاق بداخلي

وعلمني طريق الارتقاء . . . إلى أبي الغالي

إلى الزهرة التي لا تذبل . . . نبع الحنان . . . التي ساندتني ووقفت إلى جانبي . . . حتى وصلت إلى هذه المرحلة من التقدم

والنجاح . . . أمي

إلى من تعجز الكلمات عن وصفها ، وتسكن أمواج البحر لسماع اسمها . . إلى جدتي .

ملائكة الأرض . . . شقائق النعمان . . . الذين احتضنوني وزرعوا الورد في طريقي . . إلى إخواني وأخواتي .

إلى الذين رفعوا رايات العلم والتعليم وأخمدوا رايات الجهل والتجهيل . .

إلى أساتذتي الأفاضل ، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور خالد يونس الخالدي

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى كل من قال:

لا إله إلا الله محمد رسول الله

إلى من جعلهم الله إخوة في الله . . . إلى من لم أعرفهم . . . ولن يعرفوني

إلى من أتمنى أن أذكرهم . . . إذا ذكروني

إلى من أتمنى أن يبقى حورهم . . . في عيوني

---

(1)الإسراء, آية 24.



بعد حمد الله سبحانه وتعالى أتوجه بكل الشكر والتقدير للفكر الذي وجه، والنفس التي لم تمل وأخذت بيدي؛ فحفظت عليَّ توازني، وعلمتني السير والصبر على المشاق حتى أتممت هذا العمل المتواضع، إلى **الأستاذ الدكتور خالد يونس الخالدي** الذي أِشرف على رسالتي، وما بذل من جهد وقدم من نصح جزاه الله عني خير الجزاء، كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى الدكتور: غسان محمود وشاح رئيس قسم التاريخ بالجامعة الإسلامية، المنافش الداخلي للرسالة، فله الشكر الشكر والتقدير على بذل من جهد وقدم من نصح جزاه الله عني خير الجزاء، كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى الدكتور: يوسف إبراهيم الزاملي دكتور بجامعة الأقصى المنافش الخارجي للرسالة، وأشكر المولى عز وجل أن منحني شرف الاستفادة من توجيهاته السديدة وآرائه القيمة، كما كما أنه لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بعظيم الشكر إلى أستاذتي في قسم التاريخ كلٍّ باسمه ولقبه.

الباحثة

فهرس المحتويات

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أقام المسلمون في الأندلس دولة عظمى تميزت بالعدل، والعلم، والأدب، والفن، والمدنية، والتحضر، والتقدم الإداري، والصناعي، والزراعي، والتجاري، والمعماري، والتعليمي، والصحي، إضافة إلى القوة العسكرية. وما كان لهذه الدولة أن تصل إلى هذا المستوى الرفيع من القوة والتميز لولا ثلة من الأمراء، والخلفاء تعاقبوا على حكمها تخلقوا بأخلاق الإسلام، فقد زرع الإسلام في أبنائه أخلاقاً يؤدي الالتزام بها إلى النجاح والتوفيق والإبداع والتميز.

وقد حاولت جاهدةً من خلال البحث أن أعرض صورة واضحة، عن الأخلاق الإسلامية عند حكام الأندلس وأثرها في بناء الدولة، عبر مدة غير يسيرة من تاريخ المسلمين في الأندلس، ويمكن القول إن هناك عدداً من الأسباب التي دعتني إلى التوجه نحو هذا الموضوع للبحث والكتابة فيه والتي منها:

1. رغبة فيما عند الله من ثواب بتقديم علم ينتفع به.
2. ندرة الدراسات العلمية الجادة التي تناولت الموضوع بالرغم من أهميته.
3. خلو المكتبة العربية من أي دراسة علمية تناولت هذا الموضوع على حد علمي.
4. معرفة الأخلاق الإسلامية المؤثرة في مجال الحكم التي يدعو إليها الإسلام ويغرسها في نفوس المؤمنين به والملتزمين بأحكامه.
5. معرفة مدى تخلق أمراء وخلفاء الأندلس بالأخلاق الإسلامية المؤثرة في بناء الدولة.
6. بيان أثر تخلق حكام الأندلس بأخلاق الإسلام في بناء الدولة.
7. بيان الأثر السلبي لانحراف حكام الأندلس عن أخلاق الإسلام على بناء الدولة.
8. إظهار الأثر الإيجابي لالتزام حكام الأندلس بأخلاق الإسلام على بناء الدولة ليدفع حكام عصرنا إلى الاقتداء بهم، ويسهم في بناء دولهم.
9. إظهار الأثر السلبي لانحراف حكام الأندلس عن أخلاق الإسلام على بناء الدولة يدفع حكام عصرنا إلى تجنب تلك الانحرافات، ويسهم في حفظ دولهم من الضعف.

المنهج الدراسي:

اتبعت الطالبة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي

وقد جاءت الرسالة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة: فأما المقدمة فإنها توضح أسباب الكتابة في الموضوع، وذكر فصول البحث، **وقد تنأولت في الفصل الأول** أخلاق الحكام في الإسلام، وتم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، أما المبحث الأول: فهو الأخلاق الإسلامية للحكام في القرآن الكريم والسنة النبوية، ويتحدث عن تعريف الأخلاق ، عند أهل اللغة، وعند المفكرين والعلماء. والأخلاق في القرآن الكريم، والسنة النبوية، أما المبحث الثاني: فتنأولت أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، والمبحث الثالث: تحدث عن الأخلاق الإسلامية للحكام كما تصورها سيرة الخلفاء الراشدين.

وجاء الفصل الثاني بعنوان:" حكام الأندلس في عهد الولاة بين الالتزام بالأخلاق الإسلامية والتفريط.، وتم تقسيمه إلى مبحثين وكان الأول بعنوان مظاهر التزام حكام الأندلس في عهد الولاة بالأخلاق الإسلامية، والثاني بعنوان انحرافات حكام الأندلس في عهد الولاة عن الأخلاق الإسلامية.

وكان الفصل الثالث بعنوان:" حكام الأندلس في عهد الإمارة بين الالتزام بالأخلاق الإسلامية والتفريط" . وتم تقسيمه إلى مبحثين وكان المبحث الأول بعنوان مظاهر التزام حكام الأندلس في عهد الإمارة بالأخلاق الإسلامية حكام الأندلس في عهد الإمارة بين الالتزام بالأخلاق الإسلامية والتفريط، وكان المبحث الثاني بعنوان انحرافات حكام الأندلس في عهد الإمارة عن الأخلاق الإسلامية.

أما الفصل الرابع وعنوانه:" حكام الأندلس في عهد الخلافة بين الالتزام بالأخلاق الإسلامية والتفريط ". وتم تقسيمه إلى مبحثين وكان المبحث الأول بعنوان مظاهر التزام حكام الأندلس في عهد الخلافة بالأخلاق الإسلامية وكان المبحث الثاني بعنوان، انحرافات حكام الأندلس في عهد الخلافة عن الأخلاق الإسلامية

بينما تطرق الفصل الخامس إلى تأثير أخلاق حكام الأندلس في عهدي الإمارة، والخلافة على بناء الدولة: وتم تقسيمه إلى مبحثين وكان المبحث الأول بعنوان تأثير أخلاق حكام الأندلس في عصر الإمارة على بناء الدولة، وكان المبحث الثاني بعنوان، تأثير أخلاق حكام الأندلس في عصر الخلافة على بناء الدولة

وقد ختمت الباحثة رسالتها بخاتمه ضمنتها أبرز النتائج التي توصلت إليها، فضلاً عن مجموعة من الملاحق، والخرائط المتعلقة بالبحث، هذا إلى جانب قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في أثناء إعدادي لهذه الدراسة .

وفي الختام لا يسع الباحثة إلا أن تستذكر قول العماد الأصفهاني: " إني رأيتُ أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومهِ إلا قال في غَدِهِ: لوُ غَّيرَ هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحَسن، ولو قُدَّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل. وهذا أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"

والله أسأل التوفيق، والسداد، وأن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه تعالى .

الباحثة

سماح فتحي إبراهيم الصوفي

رموز الدراسة

الرمز	الدلالة
م.ن	تعني المصدر أو المرجع نفسه، وتستعمل في حالة تكرار المصدر أو المرجع بشكل متتالي في نفس الصفحة
هـ	التاريخ الهجري
م	التاريخ الميلادي
ت	توفي
ج	جزء
ع	عدد
ط	طبعة

الفصل الأول
أخلاق الحكام في الإسلام

- **المبحث الأول**: الأخلاق الإسلامية للحكام في القرآن الكريم والسنة النبوية.
- **المبحث الثاني**: أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.
- **المبحث الثالث**: الأخلاق الإسلامية للحكام كما تصورها سيرة الخلفاء الراشدين.

المبحث الأول

الأخلاق الإسلامية للحكام في القرآن الكريم والسنة النبوية

أولاً: تعريف الأخلاق

الأخلاق في اللغة جمع خلق[1]، الخُلُقُ بضم اللام وسكونها[2]، وهي الدين والطبع والسجية والمروءة[3].

وتباينت تعريفات العلماء للخلق اصطلاحاً فقال الجرجاني:" الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سمّيت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقا سيئاً[4]".

وقال ابن مسكويه: "الخلق: حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرّب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر أولاً بأول حتى يصير ملكة وخلقا" [5].

وقال الجاحظ: والخلق هو: "حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلّا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد

---

(1) الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج 4، ص162؛ أبو البقاء العكبري، ديوان المتنبي ج2، ص368.

(2) الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2، ص70.

(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج 1، ص 1137؛ ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص86؛ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 25، ص 257؛ الكفومي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ج 1، ص 429؛ السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ج1، ص277.

(4) التعريفات، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ج1، ص136.

(5) تهذيب الأخلاق، ج1، ص10.

يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعلم، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة[1]".

وعرف الغزالي الخلق: بأنه عبارة عن "هيئة في النفس راسخة عنها تُصدِرُ الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فِكرٍ وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعًا سميت تلك الهيئة خُلقًا حَسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي تصدر عنها خُلقًا سيئًا[2].

تبين مما سبق أن مفهوم الخلق متعدد المفاهيم، وعلى نحوٍ عام الخلق يشمل الخلق الحسن والخلق السيئ، فالخلق يبحث في الخير والشر، والإنسان الخلوق هو الإنسان الخير في حياته الظاهرة والباطنة.

ثانياً: أخلاق الحكام في القرآن الكريم:

في القرآن الكريم مؤشرات كثيرة تدعو الحكام إلى التزام بمكارم الأخلاق يظهر ذلك من خلال ما يأتي:

أولاً: الثناء على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قائد المسلمين وقدوتهم؛ بسبب عظمة خلقه فقال تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾"[3] .

ثانياً: توجيه المسلمين حكاماً ومحكومين للاقتداء بصاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وسلم، بقول الله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[4].

---

(1) تهذيب الأخلاق، ص12.

(2) إحياء علوم الدين، ج 3، ص53.

(3) سورة القلم، آية 4.

(4) سورة الأحزاب آية 21.

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى اللّه عليه وسلم في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته(1).

ثالثاً: الدعوة إلى العدل التي وجهها الله تعالى للمسلمين حكاماً ومحكومين فقال:﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾(2)".

هذه وصية من اللّه عزَّ وجلَّ لولاة الأمور، أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل اللّه، وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد(3).

وقـــال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾(4) .

يعني بذلك جلّ ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله، شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم، فتجأوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعدواتهم لكم، ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدّي، واعملوا فيه بأمري وأما قوله: { وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَآنُ قَوْمٍ على ألاَّ تَعْدِلُوا }.

فإنه يقول: ولا يحملنكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة(5).

---

(1) تفسير ابن كثير، ج3، ص475.

(2) سورة ص، آية 26.

(3) تفسير ابن كثير، ج4، ص33.

(4) سورة المائدة، آية 8.

(5) الطبري، تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، ج6، ص141؛ البغوي، تفسير البغوي، ج2، ص 8.

رابعاً: بين القرآن الكريم أن من صفات أخلاق الحكام القوة والأمانة وهي من الصفات التي يجب أن تتوافر في الحاكم المؤمن، قال تعالى: ﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ٢٦**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ٢٥١**﴾[2] .

ومن المواضع التي لوحظ فيها وصف القوة والأمانة لدى الحكام، قول يوسف عليه السلام للملك: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ٥٥**﴾[3] .

وأيضاً من المواضع التي لوحظ فيها وصف القوة والأمانة في القرآن الكريم، ما جاء في قصة سليمان عليه السلام، وهو يعرض على من كان عنده أمر إحضار عرش بلقيس ملكة سبأ: ﴿**قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ٣٨ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ٣٩**﴾[4].

خامساً: بين الله تعالى أن العلم من الصفات التي يجب أن تتوافر في الحاكم يفهم ذلك من قوله تعالى في وصف الملك طالوت":

"﴿**قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧**﴾[5]

سادساً: بين الله تعالى ضرورة التزام الحاكم بمبدأ الشورى، وتخلّقه بهذه الصفة عندما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: " وشاورهم في الأمر" بمشاورة أصحابه في مكايد الحرب وعند لقاء العدو، تطييباً لأنفسهم، وتألفا لهم على دينهم، وليروا أنه يسمع منهم، ويستعين بهم، وأن كان الله عز وجل قد أغناه بتدبيره له أموره وسياسته إياه وتقويمه أسبابه عنهم[6].

---

(1) سورة القصص، آية 26.

(2) سورة البقرة، آية 251.

(3) سورة يوسف، آية 55.

(4) سورة النمل، آية 38، 39.

(5) سورة البقرة آية 247.

(6) الطبري، تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، ج4، ص152.

سابعاً: بين القرآن الكريم أنَّ الرحمة واللين من الصفات المهمة التي يجب أن تتوافر في الحاكم، حيث أمر النبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان إماماً للمسلمين وحاكمهم قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ** ﴾ [1].

ثامناً: حث القرآن الكريم على التقوى، وجعلها الميزان الذي يتفاضل به الناس، ويكرم المرء على أساسه فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴿١٣﴾ ﴾ [2].

تاسعاً: بين القرآن الكريم في خطابه للنبي صلى الله عليه وسلم، أن الحاكم يجب أن يكون محبباً للجهاد محرضاً عليه فقال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ** ﴿٧٣﴾ ﴾ [3].

وقوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ** ﴾ [4] .

عاشراً: بين الله تعالى أن الحكمة من صفات الحاكم، قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ [5].

وقال عز وجل: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ [6].

حادي عشر: بين القرآن الكريم أنَّ الوفاء بالعهد من الصفات المهمة التي يجب أن تتوافر في الحاكم حيث قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ** ﴾ [7] .

(1) سورة آل عمران, آية 159.
(2) سورة الحجرات, آية 13.
(3) سورة التوبة, آية 73.
(4) سورة الأنفال، آية 65.
(5) سورة البقرة، آية 129.
(6) سورة الجمعة، آية 2.
(7) سورة المائدة آية 1.

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [1]

ثاني عشر: بين القرآن الكريم أنَّ العفو والصفح من الصفات المهمة التي يجب أن تتوافر في الحاكم حيث قال تعالى: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [2].

وقوله: : ﴿ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [3].

وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [4] .

وقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [5] .

ثالث عشر: بين القرآن الكريم أن الزهد من صفات الحكام المسلم، قال تعالى: ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [6].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ [7].

وقال عز وجل :" ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [8].

---

(1) سورة النحل, آية 91.

(2) سورة المائدة, آية 13.

(3) سورة البقرة, آية 109.

(4) سورة التوبة، آية 22.

(5) سورة التغابن، آية 14.

(6) سورة الضحى، آية 4.

(7) سورة الأعلى، آية 17.

(8) سورة العنكبوت، آية 64.

رابع عشر: بين القرآن الكريم أن الكرم من أخلاق الحاكم المسلم فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[1].

لقد رغَّب الله تعالى عباده المؤمنين في البذل والإنفاق، ووعدهم على ذلك أجراً عظيماً، وبيّن لهم فضل عملهم هذا، فقال تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[2] .

خامس عشر: بين القرآن الكريم أن الإخلاص من الصفات التي يجب أن تتوافر في الحاكم المسلم قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾[3].

تبين لنا مما سبق أن القرآن الكريم هو أصل الأخلاق الإسلامية ، والإسلام يربط بين القول والعمل والقيمة والسلوك، ومع ذلك فإن ما جاء به القرآن الكريم، في مجال الأخلاق ذو قيمة عامة.

---

(1) سورة سبأ، آية 39.

(2) سورة البقرة، آية 261.

(3) سورة البينة، آية 5.

المبحث الثاني

الأخلاق الإسلامية للحكام في السنة النبوية

حضت السنة النبوية الحكام على حسن الخلق يتبيَّن ذلك مما يأتي:

أولاً: التزام النبي صلى الله عليه وسلم بكل الأخلاق الحسنة التي أمر الله تعالى بها، وينبغي أن تتوافر في الحاكم المسلم، حتى أن عائشة رضي الله عنها وصفته عندما سئلت عن خلقه بالقول "إنه كان خلقه القرآن الكريم:.

ثانياً: وقد أُمِرَ المسلمون أن يقتدوا بنبيهم فقال الله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [1]

ثالثاً: أمر النبي صلى الله عليه وسلم الحكام بالعدل فقال: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل[2]".

وقال: " إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ على مَنَابِرَ من نُورٍ عن يَمِينِ الرحمن عز وجل وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وما وَلُوا[3] .

وقال: أهل الجنة ثلاثةٌ: ذُو سلطان مقسط موفق، ورجلٌ رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم عفيف متعفف ذو عيال[4]".

وقال إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هي، قال فقمت فناديت بأعلى صوتي ثلاث مرات فقلت: وما هي يا رسول الله؟ قال أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل[5].

---

(1) سورة الأحزاب، آية 33.

(2) البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص234؛ مسلم، صحيح مسلم، ج2، ص715.

(3) مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص1458.

(4) الأزدي، الجامع، ج11، ص121؛ النسائي، سنن الكبرى، ج5، ص26.

(5) الشيباني، الآحاد والمثاني، ج3، ص3؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ج7، ص26.

وقال: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم!)) قال: قلنا: أي رسول الله، أفلا ننابذهم؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة[1]".

رابعاً: أمر النبي صلى الله عليه وسلم، الحكام بالأمانة فقال: "'لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له".[2]

وقال: "من ولي من أمر أمتي شيئًا فولّى رجلاً وهو يجد من هو أصلح منه فقد خان الله ورسوله[3]".

ويقول: "من ولي من أمر المسلمين شيئًا فأمّر عليهم أحدًا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً حتى يدخله جهنم" [4].

ويقول : "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، فقيل: وكيف إضاعتها؟ قال' :إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"[5].

ويقول: قال أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلاة وسيصلي أقوام لا دين لهم[6].

ويقول أيضاً: "إن أول ما يرفع من الناس الأمانة وآخر ما يبقى الصلاة ورب مصل لا خير فيه"[7].

---

(1) الدارمي، سنن الدارمي، ج2، ص417؛ مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص1481.

(2) ابن السري، الزهد، ج2، ص 548.

(3) ابن تيمية، كتب ورسائل وفتأوى ابن تيمية في الفقه، ج28، ص246؛ ابن تيمية، السياسة الشرعية، ج1، ص9.

(4) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج5، ص232؛ الصنعاني، سبل السلام، ج4، ص 190.

(5) البخاري، صحيح البخاري، ج5، ص 2382؛ النووي، رياض الصالحين، ج1، ص 336؛ البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج10، ص118.

(6) البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج6، ص 289؛ ابن بطال، شرح صحيح البخاري لابن بطال، ج10، ص 207.

(7) الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، ج3، ص168؛ البيهقي، شعب الإيمان، ج4، ص 325.

خامساً: أمر النبي صلى الله عليه وسلم الحكام بالقوة فقال: 'يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها[1].

سادساً: أمر النبي صلى الله عليه وسلم الحكام بالتقوى فقال:"اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى[2].

قال: "إن الدنيا حلوة خَضِرة، وإن الله مُسْتَخْلِفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء[3]".

يقول: " مَن حَلَفَ على يمين ثُمَّ رأى أتقى لله منها فليأتِ التقوى[4]"

سابعاً: أمر النبي صلى الله عليه وسلم الحكام بالكرم فقال: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها[5] " .

وقال: " أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر [6]".

ثامناً: دعا النبي صلى الله عليه وسلم الحكام إلى الرفق فقال:"إن الله يحب الرفق في الأمر كله[7]" .

وقال: "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ[8] " .

---

(1) مسلم ، صحيح مسلم، ج3، ص 1457.

(2) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج2، ص1260؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج5، ص 522؛ مسلم، صحيح مسلم، ج4، ص2087.

(3) مسلم، صحيح مسلم، ج4، ص 2098؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج2، ص 1325؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج4، ص 483.

(4)مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص 1272؛ الحميدي، الجمع بين الصحيحين، ج1، ص335.

(5) البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص39؛ مسلم، صحيح مسلم، ج1، ص 559.

(6)البخاري، صحيح البخاري، ج5، ص2366؛ النووي، رياض الصالحين، ج1، ص 121.

(7) م.ن، ج5، ص 2242؛ مسلم، صحيح مسلم، ج4، ص 1706؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج5، ص60.

(8) مسلم، صحيح مسلم، ج4، ص 2003؛ أبو داود، سنن أبو داود، ج4، ص 254.

ويقول: " خُذُوا بِالنَّاسِ الْمُيَسَّرَ وَلا تَمَلُّوهُمْ[1]" .

ويقول:" من يحرم الرفق يحرم الخير [2]" .

ويقول:" يسروا ولا تُعسروا، وبشروا ولا تنفروا[3].

تاسعاً: دعا النبي صلى الله عليه وسلم الحكام إلى الرحمة فقال: اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي أمر أمتي فرفق بهم فارفق به[4].

عاشراً: دعا النبي صلى الله عليه وسلم الحكام لحب الناس قال: " خير أمرائكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتدعون لهم ويدعون لكم، وشر أمرائكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم [5]. "

يتبين مما سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قدوة وأسوة لغيره في التحلّي بالأخلاق الإسلامية، وأن هذه الأخلاق لا يستغنى عنها الحاكم المسلم في أي وقت.

---

(1) أبو الفضل، حديث أبي الفضل الزهري، ج1، ص100.

(2) مسلم ، صحيح مسلم، ج4، ص 2003؛ أبي داود، سنن أبي داود، ج4، ص 255؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج2، ص1216.

(3) البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص 38؛ النسائي، سنن النسائي الكبرى، ج3، ص 449.

(4) مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص 1458؛ البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج10، ص 136.

(5) الأزدي، الجامع، ج11، ص 325.

المبحث الثالث

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

أفضل الطرق وأسهلها وأيسرها للتحلي بالأخلاق الحسنة، هو الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان خُلقه القرآن، وكان أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً، وعلى المسلمين حكاماً ومحكومين الاقتداء به في سائر أحواله، ومن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.

أولاً: التواضع:

لقد ربى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم، على التواضع وأدبه عليه؛ لأن التواضع خصلة محمودة تقرب المرء من الناس وتجعله محبباً إليهم، يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم:{ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)[1].

عن عَائِشَةَ – رضي الله عنها – قالت: كَانَ النَّبِىَّ، عليه السَّلام، يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ، فَيُصَلِّى، وَيَبْسُطُهُ فِى النَّهَارِ، فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ . . . الحديث . فيه: تواضع النبى – عليه السلام – ورضاه باليسير وصلاته على الحصير، وجلوسه عليها لسن ذلك لأمته[2].

وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعاً وأبعدهم عن الكِبر يمنع الناس من القيام له كما يفعل الأعاجم، وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه كأحدهم وقد قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها:" كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته" [3].

ثانياً: الشجاعة:

وللنبي صلى الله عليه وسلم مواقف كثيرة تشهد بشجاعته، وثقته المطلقة بالله وتأييده؛ فقد روي أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا

---

(1) آل عمران, آية 159.

(2) لابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج 9، ص 128.

(3) البيهقي، الآداب البيهقي، ج2، ص427؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، ص360.

كنا بذات الرقاع، قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بشجرة، فأخذ سيف نبي الله صلى الله عليه وسلم، فاخترطه فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتخافني؟ قال: لا، قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله يمنعني منك، قال: فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغمد السيف وعلقه[1] " وفائدة هذه الترجمة بيان شجاعة النبي وحسن توكله على الله وصدق يقينه وإظهار معجزته وبيان عفوه وصفحه عمن يقصده بسوء[2].

كان الرسول صلى الله عليه وسلم، من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل، وكان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة وعلى سبيل المثال، عن أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كان النبي أحسن الناس وجهاً وأجود الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فركب فرساً لأبي طلحة عرياً، فخرج الناس فإذا هم برسول الله قد سبقهم إلى الصوت، قد استبرأ الخبر وهو يقول: لن تراعوا وقال النبي: لقد وجدنا بحراً أو إنه لبحر[3].

فقد وصفه علي رضي الله فقال: " كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه[4]".

وفي غزوة حنين لما فاجأ المشركون المسلمين بالكمائن التي أعدوها لهم تفرق المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولوا الأدبار، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد انحاز جهة اليمين وهو يقول: " هلموا إلي أيها الناس، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله[5] "، ولم يبق معه في موقعه إلا عدد قليل من المهاجرين وأهل بيته، وحينئذ ظهرت شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم التي لا نظير لها، فقد طفق يركز بغلته قبل الكفار وهو يقول:" أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب" [6]

---

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 2، ص61 ؛ مسلم، صحيح مسلم، ج1، ص 576 .

(2) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 14، ص 189.

(3) البيهقي، دلائل النبوة، ج1، ص 325.

(4) الأصبهاني، أخلاق النبي وآدابه، ج 1، ص 317.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية ، ج 5، ص 111؛ البخاري، التاريخ الأوسط، ج 1، ص 4؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج 3، ص 618.

(6) الفراهيدي، العين ، ج 6، ص 65؛ الواقدى، المغازي، ج 2، ص 314.

ثالثاً: الحياء :

وللنبي صلى الله عليه وسلم مواقف كثيرة تشهد بحيائه، وثقته المطلقة بالله وتأييده فقد روى عن أبي سعيد الخدُري رضي الله عنه قال: كان النبي أشد حياء من العذراء في خدرها[1]. ومما يروى عن حياء النبي صلى الله عليه وسلم، أنه دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فأطال الجلوس، فخرج النبي ثلاث مرات ليخرج فلم يفعل، فدخل عمر فرأى الكراهية في وجهه، فقال للرجل لعلك آذيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لقد قمت ثلاثاً لكي يتبعني فلم يفعل"[2] .

فأنزل الله عز وجل في ذلك قرآناً يتلى أرشد الله فيه المؤمنين أن لا يكونوا متثاقلين على الناس، وتحدث فيه الله عز وجل عن حياء النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾[3]

رابعاً: العدل:

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم، عادلاً في كل أموره، حتى ولو كان على نفسه؛ وهو نبي الله الكريم، فمرة كان صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر؛ يسوي صفوف المسلمين من أجل الاستعداد للقاء المشركين في هذه الغزوة، وبينما هو كذلك إذ مر بأحد الصحابة واسمه سواد بن غزية، وكان خارجاً عن صفه، وكان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيب يسوي به الصفوف، فأصاب به بطن سواد كي يستوي في صفه وقال له: استو يا سواد فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقدني، أي اجعلني اقتص لنفسي منك، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال: استقد، فاعتنقه سواد وقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا

---

(1) المقدسي، أطراف الغرائب والأفراد، ج2، ص 147؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 6، ص 36؛ القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج 10، ص 485؛ التبريزي، مشكاة المصابيح، ج 3، ص 1618.
(2) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج 9، ص68؛ ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 8، ص 531.
(3) سورة الأحزاب, آية 53.

يا سواد؟ قال يا رسول الله قد حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير" (1).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:" إن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، في غزوة الفتح، فقالوا من يكلم فيها رسول الله ؟ فقيل لهم: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِب رسول الله فأتى بها رسول الله، فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه النبي وقال: أتشفع في حد من حدود الله ؟ فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشاء قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب، وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"(2).

خامساً: الصدق:

من أهم صفات الرسول صلى الله عليه وسلم الصدق(3)، ذلك أن الرسول مؤتمن على تبليغ رسالة الله تعالى للناس، فلا يصح أن يكون من يختاره الله لهذه المنزلة ممن عرف بالكذب وتخلق به؛ لأن الناس لن يؤمنوا به ولن يصدقوه، وقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم بالصدق منذ صغره واشتهر به في قومه حتى لقب بالصادق الأمين، وقد شهد الله عز وجل لرسوله بالصدق فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ (4) .

وكذلك شهد للرسول بالصدق أصحابه، فهذا أبو بكر رضي الله عنه، لما جاءه المشركون

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية, ج 3, ص 174؛ الأصفهاني، الأغاني، ج 4، ص 193، ابن الأثير، اسد الغابة، ج 2، ص 562.

(2) البخاري، صحيح البخاري، ج 4 ، ص 1566، مسلم، صحيح مسلم، ج 3، ص 1315؛ النسائي، سنن النسائي الكبرى، ج 4، ص 334.

(3) ابن تيمية، مجموع الفتأوى، ج 16، ص 315 .

(4) سورة الأحزاب، آية22.

يخبرونه بخبر الإسراء والمعراج قال: " إن كان قال ذلك فقد صدق إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء يأتيه في غدوة أو روحة[1]

وأكثر من ذلك شهادة أعدائه له بالصدق، فقد روي أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به[2] فأنزل الله عز وجل: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [3].

سادساً: الأمانة:

الصدق والأمانة صفتان اشتهر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الجاهلية قبل البعثة [4]، وهما صفتان لازمتان للرسول الذي يرسله الله لتبليغ الناس، ودعوتهم إلى دين الله، فالرسول لا بد أن يكون صادقا، فيما ينقله أميناً فيه لا ينقص منه ولا يزيد عليه.

وكان الله سبحانه قد صانه وحماه منذ صغره، وطهره من دنس الجاهلية ومن كل عيب ومنحه كل خلق جميل، حتى لم يعرف بين قومه إلا بالأمين لما شاهدوا من طهارته وصدق حديثه وأمانته، حتى إنه لما بنت قريش الكعبة في سنة خمس وثلاثين من عمره، فوصلوا إلى موضع الحجر الأسود اشترطوا فيمن يضع الحجر موضعه، فقالت كل قبيلة نحن نضعه ثم اتفقوا على أن يضعه، أول داخل عليهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: جاء الأمين فرضوا به فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل قبيلة أن ترفع بجانب من جوانب الثوب ثم أخذ الحجر فوضعه موضعه صلى الله عليه وسلم[5].

---

(1) الألوسي، روح المعاني، ج 15، ص 6؛ الطبري، تهذيب الآثار، ج 1، ص 461؛السمعاني، تفسير السمعاني، ج 3، ص 216.

(2) القرطبي، تفسير القرطبي، ج 6، ص 416.

(3) سورة الأنعام, آية 33.

(4) الشامي، الصالحي محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد, ج 1, ص 14.

(5) ابن كثير، فصول من السيرة , ج 1, ص 83.

سابعاً: الصبر:

لا بد لمن يحمل رسالة في الحياة ويسعى إلى تحقيقها أن يوطن نفسه على تحمل المشاق وتفادي الصعوبات والعوائق التي ستواجهه في مسيرته؛ ذلك أن الوصول إلى المعالي لا بد له من بذل الجهد والمشقة، ولا بأس أن نقف على بعض المشاهد التي تجلى فيها صبر الرسول صلى الله عليه وسلم في أبهى صورة:

كان رسول الله مقيما في قريش بمكة يدعوهم إلى الله سرا وجهرا صابرا على أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزائهم به[1].

لقد صبر النبي صلى الله عليه وسلمعلى أذى المشركين، فكان أحدهم يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً ليستتر به منهم إذا صلى، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طرحوا عليه هذا الأذى يخرج به على العود فيقف به على بابه ثم يقول: يا بني عبد مناف أي جوار هذا ؟؟! ثم يلقيه في الطريق "[2].

لما توفي أبو طالب خرج النبي إلى الطائف ماشيا على قدمية، فدعا إلى الإسلام قال: فلم يجيبوه قال: فانصرف، فأتى ظل شجرة، فصلى ركعتين، ثم قال: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقله حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت أرحم بي، إلى من تكلني إلى عدو يتجهَمُني، أم إلى القريب مَلَكتَهُ أمري إن لم تكن غُضبان عليّ، فلا أبالي غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك [3].

ومن الصور التي تجلى فيها صبر النبي صلى الله عليه وسلم وشدة بأسه ما جرى له في غزوة أحد، لما خالف الرماة ما أمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم، من الثبوت بموضعها ومالت إلى الغنائم فأصيب المسلمون وانهزم منهم من انهزم[4].

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري، ج1، ص553.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية, ج 2, ص 263؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج 2، ص 553.

(3) المقدسي، ذخيرة الحفاظ ، ج 4 ، ص 1968؛ الأصبهاني، الحجة في بيان المحجة، ج 2، ص 473.

(4) ابن قتيبه، المعارف، ج 1، ص 159.

ثامناً: العفو:

أخلاق الرسول هي قدوة لنا حكاماً ومحكومين كي نُمثلها في حياتنا فالله تعالى يقول:{﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[1]

ومن هذه الأخلاق التي نتعلمها من رسول الله خلق العفو فقد وجه الله سبحانه وتعالى رسوله ودعاه إلى التمسك بالعفو في مثل قوله تعالى:﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[2]
وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله[3].

كان رحيماً حتى بأعدائه، لما دخل يوم الفتح مكة على قريش وقد أجلسوا بالمسجد الحرام وصحبه ينتظرون أمره فيهم من قتل أو غيره [4]قال: " ما تظنون أني فاعل بكم ؟ فيجيبونه قائلين: أخ كريم وابن أخ كريم، فيقول لهم صلى الله عليه وسلم فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء[5].

تاسعاً: الحِلم:

الحلم سيد الأخلاق، كان الرسول صلى الله عليه وسلم، مثالاً للحلم والصفح فلم يكن يغضب وينتقم لنفسه إلا أن تنتهك محارم الله فينتقم لله، طلب أعرابي يوماً من النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فأعطاه، ثم قال له: (أأحسنت إليك ؟ فقال الأعرابي: لا، لا أحسنت ولا أجملت، فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن كفوا، ثم دخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئاً ثم قال: أأحسنت إليك ؟ قال نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: إنك قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك، فإذا أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك، قال نعم، فلما كان الغداة جاء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذا الأعرابي قال ما قال، فزدناه فزعم أنه رضي،

---

(1) سورة الأحزاب، آية 21.
(2) سورة الأعراف,آية 199
(3) صحيح البخاري، ج6، ص 2491؛ ابن حزم، المحلى ، ج 11، ص 406.
(4) السيوطي، الشمائل الشريفة، ج 1، ص 220؛ المنأوي، فيض القدير، ج 5، ص 171.
(5) البقاعي، نظم الدرر، ج 2، ص 157.

أكذلك يا أعرابي ؟ فقال الأعرابي نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فتهلل وجه الرسول صلى الله عليه وسلم بشراً وقال: إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه، فتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق وأعلم، فتوجه لهل صاحب الناقة بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض فردها هوناً هوناً حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار) .[1]

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه كيف يحلمون على الناس ويتعاملون معهم بيسر ولا سيما في مقام الدعوة والتعليم، حدث أنس بن مالك قال: (بينما نحن في المسجد مع نبي الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم: مه، مه، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لا تزرموه، دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، وإنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن[2]...)".

عاشراً: الجود:

كان النبيّ أجود الناس بالخير من الرّيح المرسلة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل بالوحي فيدارسه القرآن، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة[3]، وجاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببردة منسوجة حاشيتها، فقالت يا رسول الله: نسجت هذه البردة بيدي وجئت بها أكسوكها، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان محتاجاً إليها، فخرج بها على أصحابه وإنها لإزاره، فجسها أحد الصحابة وقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه

---

(1) الأصبهاني، أخلاق النبي وآدابه، ج 1، ص 243؛ ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، ج 2، ص 43.

(2) الإسفرائيني، مسند أبي عوانة، ج 1، ص 182؛القرطبي، تفسير القرطبي، ج12، ص269؛ مسلم، صحيح مسلم، ج 1 ، ص 236.

(3) عبد الباقي، محمد فؤاد، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ج3، ص607.

البردة ! أكسنيها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم . فلما دخل رسول الله إلى منزله طواها وأرسلها إليه [1].

حادي عشر: الزهد:

ربى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على الزهد في الدنيا والإعراض عن مفاتنها وزينتها، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ١٣١﴾[2]، ولكن هل معنى الزهد أن يكون الإنسان فقيراً عالة على الناس ؟؟ الجواب طبعاً لا، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة [3].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وجبريل معه، فصعد على الصفا، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سعة دقيق، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة أن تقوم ؟؟ قال جبريل: لا ولكن هذا إسرافيل عليه السلام قد نزل إليك حين سمع كلامك . فأتاه إسرافيل فقال: إن الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن أسيّر معك تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت، وإن شئت نبياً ملكاً وإن شئت عبداً، فأومأ جبريل أن تواضع لله، فقال: نبياً عبداً، نبياً عبداً، نبياً عبداً [4].

ثاني عشر: الوفاء:

خلق الوفاء خلق رفيع يدل على رهافة حس المؤمن ويعكس صورة رائعة لنفسه المشرقة، ولنا في وفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة ومن أروع القصص التي تروى عن وفاء الرسول صلى الله عليه وسلم قصة وفائه للسيدة خديجة رضي الله عنها، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الوفاء لها حتى إنه سمع صوت هالة أختها

---

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص454.

(2) سورة طه, آية 131.

(3) الأصبحي، مالك بن أنس أبو عبدالله، موطأ مالك, ج 2, ص 998.

(4) الطبراني، المعجم الأوسط، ج 7 ص 88.

في فناء بيته، وكان صوتها يشبه صوت سيدتنا خديجة، فقال صلى الله عليه وسلم: اللهم هالة، فلم تتمالك سيدتنا عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أمر نفسها، ولم تستطع أن تخفي أحاسيسها التي دارت في صدرها وهي ما تفتأ تحس بطيف خديجة دائماً ماثلاً بين عيني الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت له: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر أبدلك الله خيراً منها [1]، فتغير وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لعائشة مغاضباً: والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي حين كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء[2].

ثالث عشر: العفاف:

لقد عرف صلى الله عليه وسلم بعفافه وطهره وحسن أخلاقه، ولم يكن صلى الله عليه وسلم في شبابه يميل إلى ما كان يميل إليه شباب قومه من اللهو والمجون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته[3] قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي بأعلى مكة: لو أبصرت غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال: افعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفاً، فقلت: ما هذا ؟ فقالوا عرس فلان بفلانة، فجلست أسمع، فضرب الله على أذني فنمت، فما أيقظني إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبي فسألني فأخبرته، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت بمكة، فأصابني مثل أول ليلة، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله عز وجل برسالته[4] .

رابع عشر: الرحمة:

يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [5].

---

(1) صحيح البخاري, ج3, ص 13.
(2) ابن كثير، البداية والنهاية, ج 3, ص 1389.
(3) البخاري، التاريخ الكبير, ج 1, ص130.
(4) سيرة ابن إسحاق، ج2 ، ص 56؛ تاريخ الطبري، ج 1، ص 520.
(5) سورة التوبة, آية 128.

هو صلى الله عليه وسلم كم كان رؤوفاً رحيماً بأمته حريصاً على هدايتها حتى إن الله تعالى قال له لما رأى من شدة حرصه على هداية أمته وبذله ما يستطيع من جهود لتحقيق ذلك، وهم لا يستجيبون لدعوته فخاطبه سبحانه بقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾[1] أي أشفق على نفسك أن تهلكها حسرة لعدم إيمانهم.

ورحمته هذه صلى الله عليه وسلم لم تكن مقتصرة على المؤمنين من أمته، بل كانت تشمل الكافرين منهم والمعرضين، وكلنا يعلم ما تعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم، من إيذاء قومه له واستكبارهم على دعوته وهو صابر ماض في دعوته مشفق عليهم أن يصيبهم الهلاك، وعندما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يدعو أهلها إلى الإسلام قابلوه بأشنع رد وطردوه من ديارهم، ولم يكتفوا بذلك بل سلطوا عليه سبيانهم وسفهاءهم يرمونه بالحجارة حتى أصابوه وأدموه –صلى الله عليه وسلم– ولما خرج من بينهم وركن إلى بستان قريب من ديارهم دعا ربه يستغيثه ويستنصره، فنزل من فوره جبريل عليه السلام معه ملك الجبال وقال له: " إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم" وقال له ملك الجبال: "يا محمد ذلك، فما شئت ؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين[2]"، فما كان رده صلى الله عليه وسلم وهو في هذه الحال الصعبة إلا أن قال:" بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئاً[3]" .

خامس عشر: حسن معاشرة الأهل والأولاد:

فمع أعباء رسالته صلى الله عليه وسلم ومع كثرة مشاغله إلا أنه كان في بيته الزوج المثالي والأب الرحيم، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته فظاً أو غليظ القلب، بل كان يحادث أهله ويمازحهم ويلاعب أولاده وأحفاده صلى الله عليه وسلم، عن حارثة الأنصاري عن

---

(1) سورة الشعراء, آية 3.

(2) الاخشبان جبلان كل واحد منهما غير الآخر، وهما جبلان محيطان بالطائف، والخشبان الجبال اخشن التي ليست بضخام، ولا صغار (الحموي، معجم البلدان، ج1، ص122، ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص354).

(3) البخاري، صحيح البخاري، ج2، ص1180؛ مسلم، صحيح مسلم، ج2، ص1180؛ النسائي، سنن النسائي الكبرى، ج4، ص405.

عمرة قالت، قلت لعائشة: كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهله ؟ قالت: كان ألين الناس، وأكرم الناس، وكان رجلا من رجالكم إلا أنه كان ضحاكاً بساماً[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا الذي أنصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة للهو[2].

ولما قدم بنو تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان فيهم الأقرع بن حابس، وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن، فقال: أتقبله، والله إن لي عشرة من الولد ماقبلت واحداً منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من لا يرحم لا يُرحم)**[3].

وفي رواية أنه قال له: ما أملك إن نزع الله الرحمة من قلبك؟ [4].

سادس عشر: لطف معشر الرسول صلى الله عليه وسلم:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم موصوفاً بلطف معشره لأهله وصحابته ومن حوله، فكنت تراه يلاعب أطفال المسلمين ويحادثهم، ويمازح أصحابه وأهله وكان في ذلك كله لا يفعل إلا حقاً ولا يقول إلا حقا، عن النعمان بن بشير قال:استأذن أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت عائشة عالياً على رسول الله، فلما دخل تنأولها ليلطمها، وقال: ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله !!، فجعل النبي يحجزه، وخرج أبو بكر مغضباً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج أبو بكر: كيف رأيتني أنقذتك من الرجل ؟ فمكث أبو بكر أياماً ثم استأذن على رسول الله فوجدهما قد اصطلحا فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: قد فعلنا، قد فعلنا[5].

---

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 1، ص 365؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج 6، ص 44.

(2) الأزدي، الجامع ، ج 10، ص 465؛ مسلم، صحيح مسلم, ج 2, ص 609.

(3) الأزدي، الجامع ج 11 ص 298: البخاري، صحيح البخاري، ج5، ص 2235؛مسلم، صحيح مسلم، ج4، ص1808؛ أبي داود، سنن أبي داود، ج4، ص 355.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 7، ص 141.

(5) أبي داود، سنن أبي داود، ج4، ص300؛ النسائي، سنن النسائي الكبرى، ج5، ص 139.

وبينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسير في بعض أسواق المدينة رأى زاهر بن حزام، وهو صحابي يشتري بعض الأمتعة، فاقترب من ورائه واحتضنه من غير أن يراه، وقال صلى الله عليه وسلم: من يشتري مني هذا العبد؟ فالتفت زاهر خلفه فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضحك وقال: تجدني كاسداً يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكن عند الله لست بكاسد أو قال: ولكن عند الله أنت غال[1].

(1) الترمذي، الشمائل المحمدية، ج 1، ص 455؛ الأزدي، الجامع, ج 10, ص 455.

المبحث الرابع

الأخلاق الإسلامية للحكام كما تصورها سيرة الخلفاء الراشدين

حيث يقول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[1] أمر حكام المسلمين أن يهتدوا إضافة إلى كتاب الله وسنة رسوله، وبِسِيَرِ أخلاق الخلفاء الراشدين المهديين، وقد تحلى الخلفاء الراشدون بصفات عديدة، فلو اقتدى بهم الحكام لاستقام حالهم وتحقق الأمن والسلام والرخاء، ومن هذه الصفات:

أولاً: الورع والعفة والزهد.

اشتهر الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، بالورع والزهد، وعن قيس بن أبي حازم قال: كان لأبي بكر غلام، فكان إذا جاء بغلَّته لم يأكل من غلته حتى يسأله ، فإن كان شيئًا مما يحب أكل ، وإن كان شيئًا يكره لم يأكل، قال: فنسي ليلةً فأكل ولم يسأله ، ثم سأله فأخبره أنه من شيء كرهه، فأدخل يده فتقيأ حتى لم يترك شيئًا[2].

فهذا مثال على ورع أبي بكر رضي الله عنه، حيث كان يتحرى الحلال في مطعمه ومشربه، ويجتنب الشبهات ، وهذه الخصلة تدل على بلوغه درجات عُلا في التقوى، ولايَخْفَى أهمية طيب المطعم والمشرب والملبس في الدين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما حُضِر أبي رحمه الله دعاني فقال: يابُنَيَّة إني كنت أعطيتك تمر خيبر ولم تكوني أخذتيها وإني أحب أن ترديها علي ، قالت: فبكيت ، ثم قلت: غفر الله لك يا أَبتِ والله لو كانت خيبر ذهبا جميعا لرددتها عليك ، فقال: هي على كتاب الله عز وجل ، يابُنَيَّة إني كنت أتْجَر قريش وأكثرهم مالا ، فلما شَغَلَتْنِيَ الإمارة رأيت أن أصيب من المال بقدر ما شغلني ، يابُنيَّة هذه العباءة القطوانية وحِلابٌ وحِلابٌ وعبدٌ ، فإذا مت فأسرعي به إلى ابن الخطاب ، يابُنيَّة ثيابي هذه فكفنوني بها ، قالت: فبكيت وقلت: يا أبتِ نحن في غِنًى من ذلك، فقال: غفر الله لك وهل ذلك إلا للمَهَل.

---

(1) سورة الأنعام, آية 90 .

(2) ابن حنبل، الزهد، ج1، ص 109.

وفي رواية أنه قال: الحيُّ أولى بالجديد من الميت قالت: فلما مات بعثت بذلك إلى ابن الخطاب فقال: يرحم الله أباك، لقد أحب أن لا يترك لقائل مقالا[1].

فهذا مثل آخر من ورع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد أراد أن يخرج من الدنيا وهو نَقِيٌّ خالص من الكدر أو مايشبهه ، وقد كان يأخذ من بيت مال المسلمين مايكفيه للحد الضروري من المعيشة مقابل تفرغه لأمور المسلمين وترك التجارة، فلما حضرتْه الوفاة رأى أن ذمته لا تبرأ إلا بردِّ ما كان عنده من ذلك، وإن كان يسيرا لتوقف عمله لصالح المسلمين بالوفاة، وذلك مبالغة منه – رضي الله عنه– في براءة الذمة.

أما الخليفة عمر بن الخطاب، فقد قال لو نادى مناد من السماء أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلا واحدا لخفت أن أكون هو، ولو نادى مناد أيها الناس إنكم داخلون النار إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون هو[2].

ومن أشهر أخلاق عثمان– رضي الله عنه– وأحلاها، تلك الصفة النبيلة التي زينه الله بها، فكانت فيه منبع الخير والبركة، عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي إمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أرحم هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وذكر الحديث، وقال في آخره وإن أشد هذه الأمة بعد نبيها حياء عثمان بن عفان[3].

واتصف الخليفة عثمان بن عفان بالزهد، فعن شرحبيل بن مسلم أن عثمان كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت[4].

وهكذا كان عثمان – رضي الله عنه – الذي كان من أعظم الأثرياء في الإسلام، قد غلبت قوة إيمانه شهوته وهواه فكان من أعظم الزاهدين.

---

(1)اللالكائي، اعتقاد أهل السنة، ج 7، ص 111؛ ابن حنبل، الزهد، ، ج1، ص111؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 30 ، ص 111.

(2) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج1، ص53؛ الهندي، كنز العمال، ج12، ص277.

(3) ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج1، ص513 ؛ فضائل عثمان بن عفان، ج1، ص 513.

(4) الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج1، ص 60؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج1، ص303؛ الأنصاري، المصباح المضيء، ج1، ص61.

وكان علي بن أبي طالب- رضي الله تعالى- عنه إماماً في الزهد، فقد عزف عن الدنيا وملذاتها، وانشغل قلبه بحب الله تعالى وحب رسوله، فقد شهد له الإمام عمر بن عبد العزيز: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب[1].

عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- قال: لقد رأيتني مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم و إني لأربط الحجر على بطني من الجوع و إن صدفني اليوم لتبلغ أربعين ألفاً [2].

و قد قال علي بن أبي طالب يحدد قيمة الدنيا في نفسه ونفس كل مؤمن زاهد :الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئاً فليصبر على مخالطة الكلاب [3].

وصعد رضي الله عنه يومًا المنبر، وقال: من يشتري مني سيفي هذا، فلو كان عندي ثمن إزار ما بعته، فقام إليه رجل وقال: أسلفك ثمن إزار [4].

واشترى مرة تمرًا بدرهم فحمله في ملحفته فقيل له: يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك فقال: أبو العيال أحق بحمله[5].

وعوتب في لباسه، فقال: مالكم وللباسي هذا هو أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي به المسلم[6].

ثانياً: العدل:

تحلّى الخلفاء الراشدون بالعدل ، إذ يروى أن أبا بكر الصديق، كان يسوي في قسمته بين السابقين الأولين والمتأخرين في الإسلام، وبين الحر والعبد، والذكر والأنثى، فقيل له لتقدم أهل السبق على قدر منازلهم فقال إنما أسلموا لله ووجب أجرهم عليه، يوفهم ذلك في الآخرة وإنما هذه الدنيا بلاغ، وكان يشتري الأكسية ويفرقها في الأرامل في الشتاء[7].

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 265؛ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 42، ص 489؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 3، ص 64.

(2) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج 7، ص 493.

(3) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج 8، ص 238؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج 4، ص 110.

(4) الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج 1، ص 342؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ج 7، ص 174.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3 ، ص 265؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 8، ص 5.

(6) ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج1، ص 543؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج1، ص 333.

(7) ابن الأثير, الكامل في التاريخ، ج 2، ص 270.

وقد اشتهر الخليفة عمر بن الخطاب بالعدل، ومن دلائل اتصاف الفاروق بالعدل أنه لا يخاف في الله لومة لائم، ويقيم الحدود على القريب والبعيد، فيروى أن عبد الله بن عمر قال شرب أخي عبد الرحمن بن عمر وشرب معه أبو سروعة عقبة بن الحارث، ونحن بمصر في خلافة عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– فسكرا، فلما صَحَوا انطلقا إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر، فقالا: طهرنا فإنا قد سكرنا من شراب شربناه، قال عبد الله بن عمر فلم أشعر أنهما أتيا عمرو بن العاص قال فذكر لي أخي أنه قد سكر فقلت له ادخل الدار أطهرك، قال: إنه قد حدث الأمير قال عبد الله فقلت: والله لا تحلق اليوم على رؤوس الناس أدخل أحلقك، وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد، فدخل معي الدار قال عبد الله فحلقت أخي بيدي ثم جلدهما عمرو بن العاص، فسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك، فكتب إلي عمرو أن أبعث إلى عبد الرحمن بن عمر على قتب، ففعل ذلك عمرو فلما قدم عبد الرحمن على عمر رضي الله عنه جلده وعاقبه من أجل مكانه منه، ثم أرسله فلبث أشهرا صحيحا ثم أصابه قدره، فيحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر ولم يمت من جلده[1].

واتصف الخليفة عثمان – رضي الله عنه– بصفة العدل؛ عن عبيد الله بن عدي بن الخيار، أنه دخل على عثمان بن عفان وهو محصور، فقال له: إنك إمام العامة، وقد نزل بك ما ترى، وهو ذا يصلي بنا إمام فتنة، وأنا أتحرج من الصلاة معه. فقال له عثمان: « إن الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم » . وقال: جعفر بن محمد، قال: ثنا عبد الرحيم بن إبراهيم الدمشقي، قال: ثنا الوليد بن مسلم قال: ثنا الأوزاعي[2].

واتصف الخليفة على بن أبي طالب بالعدل، فكانت تتوافر فيه كل مواصفات القاضي الناجح وشروطه، ومما يدل على ذلك اختيار النبي صلى الله عليه وسلم، له ليكون قاضياً على اليمن في عنفوان شبابه، مع وفور عقل ورجاحة رأيه، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم– لا يختار إلا من كان قوياً أميناً.

و مع هذا، يزوده بنصائحه و توجيهاته وإرشاداته، فقد قال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قبل أن يتوجه إلى اليمن: يا علي، إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع

---

(1) الصنعاني، المصنف، ج 9، ص232، 233؛ البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج8، ص312.

(2) ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج1، ص 526؛ ابن حزم، المحلى، ج4، ص213؛ البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج3، ص213؛ الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، ج1، ص154.

من الآخر ما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء، قال علي: فما اختلف علي قضاء بعد[1].

كان الرسول صلى الله عليه وسلم، يقر عليَّ بن أبي طالب، في قضائه على كثير من القضايا، ومنها ما رواه الإمام أحمد في الفضائل عن علي بن أبي طالب، قال بعثني الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى اليمن، فانتهينا إلى قوم قد بنوا زينة الأسد، بينما هم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل فتعلق بآخر ثم تعلق بآخر حتى صاروا أربعة فجرحهم الأسد فانتدب له رجل بحربه فقتله، وماتوا من جراحتهم كلهم فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر، فأخرجوا السلاح ليقتلوه، فأتاهم علي – رضي الله عنه – على تفيئة ذلك، فقال: تريدون أن تقاتلوا ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – حي، إني أقضي بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء، وإلا حجر بعضكم على بعض حتى تأتوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فيكون الذي يقضي بينكم، فمن عدا بعد ذلك فلا حق له اجمعوا لي من قبائل الذين حفروا البئر، ربع الدية، وثلث الدية، ونصف الدية، والدية كاملة، فللأول الربع لأنه هلك من فوقه، والثاني ثلث الدية، والثالث نصف الدية، فأبوا أن يرضوا فأتوا النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو قائم عند مقام إبراهيم فقصوا عليه القصة، فقال: " أنا أقضي بينكم " . واحتبى، فقال رجل من القوم: إن عليا قضى فينا فقصوا عليه القصة، فأجازه رسول الله – صلى الله عليه وسلم [2] .

ثالثاً: التواضع:

تحلّى الخلفاء الراشدون بالتواضع ، إذ يروى أنه كان أبو بكر الصديق يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا تحلب لنا منائح دارنا، فسمعها أبو بكر فقال بلى لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهم فربما قال للجارية من الحي يا جارية أتحبين أن أرغي لك أو أصرح فربما قالت: أرغ وربما قالت صرح فأي ذلك قالت فعل، فمكث كذلك بالسنح ستة أشهر، ثم نزل إلى المدينة، فأقام بها ونظر في أمره فقال: لا والله ما يصلح أمر الناس التجارة وما يصلح لهم إلا التفرغ والنظر في

---

(1) ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج 2، ص 699؛ النسائي، سنن النسائي الكبرى، ج 5، ص 117؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج5، ص107.

(2) ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج 2 ، ص 722 ؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج4، ص210؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 5، ص 108.

شأنهم، وما بد لعيالي مما يصلحهم فترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوما بيوم ويحج ويعتمر[1]، وكان الذي فرضوا له كل ستة آلاف درهم، فلما حضرته الوفاة قال: ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإني لا أصيب من هذا المال شيئا، وإن أرضي التي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم فدفع ذلك إلى عمر ولقوحا وعبدا صيقلا وقطيفة ما تسأوي خمسة دراهم فقال عمر لقد أتعب من بعده[2].

وما جاء من تواضع الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال الحسن:

خرج عمر بن الخطاب في يوم حار واضعا رداءه على رأسه، فمر به غلام على حمار فقال: يا غلام احملني معك قال فوثب الغلام عن الحمار وقال: اركب يا أمير المؤمنين. فقال: لا اركب وأركب أنا خلفك تريد أن تحملني على المكان الوطيء وتركب أنت على الموضع الخشن، ولكن اركب أنت على المكان الوطيء وأركب أنا خلفك على المكان الخشن، فركب خلف الغلام فدخل المدينة وهو خلفه والناس ينظرون إليه[3] .

وعن أنس بن مالك أن الهرمزان، رأى عمر بن الخطاب نائماً في المسجد بالمدينة، فقال: هذا والله هو الملك الهنيء[4].

وعن عامر قال: إذا اختلف الناس في أمر فانظر كيف قضى فيه عمر، فإنه لم يكن يقضي في الأمر لم يقض فيه قبله حتى يشاور[5].

قال الشعبي: من سرّه أن يأخذ بالوثيقة من القضاء فليأخذ بقضاء عمر، فإنه كان يستشير[6].

وعن عاصم قال: أخذ أبو عثمان النهدي عصاً كانت بيده، ثم رفعها، ثم قال: والذي لو شاء أن ينطق هذه العصا لنطقت، لو كان عمر ميزاناً ما كان يميط شعرة[7].

---

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج3، ص186.

(2) الطبري، تاريخ الطبري، ج 2، ص 354؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج 3، ص 334.

(3) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج44، ص318، 319؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج6، ص319؛ الهندي، كنز العمال، ج 12، ص319.

(4) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج3، ص293؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج3، ص406.

(5) م.ن ، ج3، ص336؛ م.ن، ج3، ص388.

(6) البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج10، ص109؛ الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج 1، ص 243.

(7) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج6، ص319.

رابعاً: التقوى.

تحلّى الخلفاء الراشدون بالتقوى، إذ يروى أنه قال أبو بكر الصديق – رضي الله عنه– رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهي جائية، وستتخذون ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألمون ضجائع الصوف الأزرى، كأن أحدكم على حسك السعدان، ووالله، لئن يقدم أحدكم فيضرب عنقه _ في غير حد _ خير له من أن يسبح في غمرة الدنيا[(1)].

ومن أقوال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – مَن خافَ اللهَ لم يشْفِ غيظَه، ومَن يتقِ اللهَ لم يصنَع ما يُريد[(2)].

وقال: "نظرت في هذا الأمر، فجعلت إذا أردت الدنيا أضر بالآخرة، وإذا أردت الآخرة أضر بالدنيا، فإذا كان الأمر بالفانية"[(3)].

وعن عثمان – رضي الله عنه– قال: لو أني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتها أصير[(4)].

فعن هاني مولى عثمان قال: كان عثمان، إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته، فقيل له تذكر الجنة، والنار، وتبكي من هذا، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه قال: وقال:" رسول الله – صلى الله عليه وسلم– والله ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه قال: وكان النبي– صلى الله عليه وسلم– إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ثم قال:" استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبت فإنه الآن يسأل".[(5)]

---

(1) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج1، ص34؛ السيوطي، جامع الأحاديث، ج13، ص 52.

(2) البيهقي، شعب الإيمان، ج6، ص264؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4، ص 184.

(3) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج1، ص50.

(4)م.ن، ج1، ص60؛ الحنبلي، التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ج1، ص 15 ؛ ابن حنبل، الزهد، ج1، ص 129.

(5) ابن حنبل، فضائل الصحابة, ج 1, ص 475؛ الكوفي، الزهد، ج1، ص211؛ الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، ج4، ص 553؛ القزويني، سنن ابن ماجه، ج2، ص1426.

وقال الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجه:" إن أخوف ما أخاف :اتباع الهوى، وطول الأمل؛ فأما اتباع الهوى: فيصد عن الحق، وأما طول الأمل: فينسي الآخرة. ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فان اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل."[1]

خامساً: الكرم.

تحلّى الخلفاء الراشدون بالكرم، إذ يروى أنه بلغ كرم خليفة المسلمين أبي بكر الصديق، أنه أنفق أمواله على النبي – صلى الله عليه وسلم–، وفي سبيل الله[2]، عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر قال فبكى أبو بكر وقال وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله" [3].

وقال عمرو بن العاص: " يا رسول الله أي الرجال أحب إليك قال أبو بكر"[4].

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : "لا يبغض أبا بكر وعمر مؤمن ولا يحبهما منافق"[5].

قال علي بن أبي طالب :" خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر"[6].

وكان عثمان رضي الله عنه، من أكرم الأمة وأسخاها، وله في ذلك مواقف كثيرة منها: قال عمر رضي الله عنه :"والله لقد صدقت وبقليل من فضله قد نطقت ثم أمر له بخلعة وعشرة آلاف درهم ثم قال: أيها الناس من يقم منكم فقام عثمان بن عفان، وقال أنا من جهز جيش العسرة وحفر بئر رومة، وألف القرآن وجمعه وختمته في ركعتين وتزوجت الابنتين وصليت إلى القبلتين، وأنفقت المال في حبه وأنزل الله في حقي" أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو

---

(1) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج1، ص76؛ السيوطي، جامع الأحاديث، ج12، ص196.
(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 3، ص 106.
(3) ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج 1، ص353.
(4) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 3، ص 107.
(5) ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج1، ص393 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 3، ص 107.
(6) م.ن، ج1، ص75؛ م.ن، ج 3، ص 107؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج3، ص309.

رحمة ربه فقال عمر رضي الله عنه أحسنت يا أبا الفتيان فمثلك من رفض الكذب وأبان الحق وأمر له بعشرة آلاف درهم[1] ومن كرمه شراؤه لبئر رومة وتصدقه به على المسلمين"[2].

ومن كرمه قال أبو جعفر: وكان لعثمان على طلحة بن عبيد خمسون ألفاً، فقال له طلحة يوماً: قد تهيأ مالك فاقبضه، فقال: هو لك معونة على مروءتك، فلما حصر عثمان، قال علي رضي الله عنه لطلحة: أنشدك الله إلا كففت عن عثمان فقال: لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها . فكان علي رضي الله عنه يقول: "لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل".[3]

سادساً: الشجاعة:

تحلّى الخلفاء الراشدون بالشجاعة، إذ يروى أنه ولي الخلافة أبو بكر الصديق، وارتدت العرب خرج، شاهرا سيفه إلى ذي القصة، فجاءه علي وأخذ بزمام راحلته وقال له:" أين يا خليفة رسول الله أقول لك ما قال رسول الله يوم أحد شم سيفك لا تفجعنا بنفسك فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام نظام"[4].

ومن شجاعة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "سألت عمر بن الخطاب لأي شيء سميت الفاروق؟ قال أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، ثم قص عليه قصة إسلامه، ثم قال: قلت يا رسول الله: ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده، إنكم على الحق وإن متم وإن حييتم، قال: قلت ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فخرجنا في صفين، حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، وله كديد ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد، قال: فنظرت إليّ قريش وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق ، وفرق الله به بين الحق والباطل"[5].

---

(1) الواقدي، أبو عبد الله بن عمر، فتوح الشام، ج 2، ص207.
(2) ابن تيمية، كتب ورسائل وفتأوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج29، ص216.
(3) المدائني، شرح نهج البلاغة، ج2، ص96.
(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 270.
(5) الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج1، ص40؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج1، ص273.

وكان عبد الله بن مسعود يقول ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه [1].

وقال ابن مسعود: "ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر"[2].

وعن صهيب بن سنان قال: لما أسلم عمر ظهر الإسلام، ودعي إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقاً، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به[3].

قال ابن إسحاق: "وحدثني عبد الرحمن بن الحارث قال عمر: لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أي أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه، فأخبره أني قد أسلمت قال قلت أبو جهل وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة قال: فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه قال فخرج إلي أبو جهل فقال مرحبا وأهلا بابن اختي ما جاء بك قلت جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به [4]".

وهذا ما يدل على قوة عمر بن الخطاب، وشجاعته في الجاهلية، والإسلام قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام" فكان أحبهما إلى الله عمر رضي الله عنه[5].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما همَّ بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهماً، واختصر عَنزَتهَ، ومضى قِبَلَ الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً متمكناً، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على الحِلَق واحدة واحدة، وقال لهم: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن يُثكل أمه، أو ولده، أو يرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي.

---

(1) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج6، ص62.
(2) ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج1، ص277؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص270.
(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 3، ص269.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص194.
(5) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج3، ص267؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ج 5، ص 87.

قال علي رضي الله عنه: فلم يتبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم ما أرشدهم إليه، ثم مضى لوجهه[1].

ومن صور شجاعةعلي بن أبي طالب، – رضي الله عنه– فحسبه أنه نام ليلة الهجرة في فراش النبي –صلى الله عليه وسلم –وهو يعلم أن المشركين يريدون قتل النبي –صلى الله عليه وسلم [2].

ومن شجاعته أيضاً، في غزوة الخندق كان له موقف مع فارس قريش عمرو بن ود العامري، وهو كبش الكتيبة، فقال: من يبارز؟ فبرز إليه علي بن أبي طالب، فضربه على رأسه حتى فلق هامته، فسر بذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وكبر المسلمون[3].

سابعاً: الصدق والأمانة:

تحلّى الخلفاء الراشدون بالصدق والأمانة، إذ يروى أن أبو بكر كان صادقاً أميناً، فمن أمانته على أموال المسلمين، قال عطاء بن السائب لما استخلف أبو بكر أصبح وعلى رقبته أثواب يتجر فيها فلقيه عمر وأبو عبيدة فكلماه فقال من أين أطعم عيالي، قالا انطلق حتى نفرض لك قال ففرضوا له كل يوم شطر شاة وماكسوه في الرأس والبطن[4].

أما الخليفة علي بن أبي طالب، حيث لقبه الرسول بالصديق؛ لأنه صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وآمن بجميع ما جاء به من عند الله تعالى، وقد أسلم قبل أن يسلم غيره، قال رضي الله عنه: « أنا الصدّيق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم وقد اشتهر هذا اللقب في عصره وعرف به[5].

وقال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– : أنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق تفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظالمين [6].

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج44، ص51؛ ابن الأثير، أُسْدُ الغابة، ج4، ص164.

(2) أبو الفضل، العجاب في بيان الأسباب، ج1، ص 529.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص 164.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 3، ص 114؛ المكي العاصمي، سمط النجوم العوالي، ج2، ص 331.

(5) ابن قتيبة، المعارف، ج 1، ص 169؛ ابن مودود الحراني، كتاب الأوائل، ج 1، ص 74.

(6) الجرجاني، الأمالي، ج1، ص 58؛ المكي العاصمي، سمط النجوم العوالي، ج 3، ص 26.

و سأل سلمان الفارسي رسول الله – صلىاللهعليهوآلهوسلم– فقال له: من وصيّك؟ فقال له: « يا سلمان، من كان وصيّ موسى؟ »، قال: يوشع بن نون، قال فإنّ وصيّي ووارثي، يقضي ديني، وينجز موعدي، عليّ بن أبي طالب [1]» .

ثامناً: الاهتمام بالرعية:

تحلّى الخلفاء الراشدون بالاهتمام بالرعية إذ يروى عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حرة واقم حتى إذا كنا بصرار إذا نار تؤرث فقال يا أسلم إني أرى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار، وصبيانهايتضاغون فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره أن يقول يا أصحاب النار، قالت وعليك السلام، قال: أأدنو قالت: أدن بخير أو دع . فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بن الليل والبرد قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع قال: وأي شيء في هذه القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر، قال: أي رحمك الله ما يدري عمر بكم؟ قالت يتولى أمرنا ويغفل عنا، فأقبل علي فقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا فيه كبة شحم فقال: احمله علي، فقلت: أنا أحمله عنك قال احمله علي مرتين أو ثلاثا، كل ذلك أقول أنا أحمله عنك، فقال لي في آخر ذلك: أنت تحمل عني وزري يوم القيامة. لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى انتهينا إليها، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئا فجعل يقول لها ذري علي وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر، وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج وأدم القدر، ثم أنزلها وقال ابغني شيئا فأتته بصحفة فأفرغها فيها ثم جعل يقول أطعميهم وأنا أسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها.

فضل ذلك وقام وقمت معه فجعلت تقول: جزاك الله خيرا أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين، فيقول قولي خيراً[2].

وكان علي رضي الله عنه، يسير متفقداً أحوال الرعية سمع صوتاً: يا غوثاه بالله! فخرج علي مسرعاً يقول: أتاك الغوث، فإذا رجل يلازم رجلاً، فقال: يا أمير المؤمنين بعت هذا ثوبا بسبعة

---

(1) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج 5، ص 22.

(2) الطبري، تاريخ الطبري، ج2، ص567، 568؛ ابن حنبل، فضائل الصحابه، ج1، ص291؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص453.

دراهم، وشرطت ألا يعطيني مغروزاً ولا مقطوعاً، فأتاني بهذه الدراهم، فأتيت ولزمته، فلطمني، فقال: للاطم، ما تقول؟ فقال: صدق يا أمير المؤمنين، فقال: أعطه شرطه، فأعطاه، وقال للملطوم: اقتص، قال: أو أعفو يا أمير المؤمنين؟ قال: ذلك لك، ثم قال: يا معشر المسلمين خذوه، فأخذوه، فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضربه خمس عشرة درة وقال: هذا نكال لما انتهكت من حرمته(1).

تاسعاً: العفو:

تحلّى الخلفاء الراشدون بالعفو ، للعفوِ فضلٌ عظيمٌ فِي تحقيقِ المصالحةِ بينَ الناسِ وإشاعةِ المحبةِ بينهُمْ، وبالعفوِ ينالُ المسلمُ مرضاةَ اللهِ وعفوَهُ يومَ القيامةِ، يقولُ جلَّ جلالُهُ: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ (2).

يروى أن أبا بكر الصديق كان، ينفق على مِسْطح بأثاث لفقره وقرابته منه، وكان مِسْطح من الذين خاضوا في حادث الإفك، وتكلم في عِرض عائشة، فلم عَلِمَ أبو بكر بذلك، أقسم ألا ينفق عليه بعد ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾(3)

فقَالَ أَبُو بَكْرٍ: "بَلَى وَاللَّهِ يَا رَبَّنَا، إِنَّا لَنُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا، وَعَادَ لمسطح بِمَا كَانَ يَصْنَعُ"(4).

فهذا عفو كبير من أبي بكر الصديق- رضي الله عنه-؛ حيث عفا عمن تكلم في عِرض أم المؤمنين عائشة، والعفو عند المقدرة صفة من صفات الكمال في الرجال.

ويذكر ما جاء من عفو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، روى أن عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنْ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشاورتِهِ كُهُولاً كَانُوا أو شُبَّانًا؛ فَقَالَ

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 264.

(2) سورة التغابن، آية 14.

(3) سورة النور, آية 22.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، ج4، ص 268؛ البخاري، صحيح البخاري، ج6، ص2458؛ مسلم, صحيح مسلم، ج4، ص2136.

عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: "يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ" قَالَ: "سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ"، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: "هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَو اللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ"، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ؛ فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تعالى قَالَ لِنَبِيِّهِ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[1] وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ؛ وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ [2].

وروي أن، عثمان رضي الله عنه خرج لصلاة الغداة ، فدخل من الباب الذي كان يدخل منه، فزحمه الباب فقال: أنظروا، فنظروا، فإذا رجل معه خنجر أو سيف فقال له عثمان – رضي الله عنه– : ما هذا قال أردت أن أقتلك، قال: سبحان الله ويحك علام تقتلني؟! قال ظلمني عاملك باليمن، قال: أفلا رفعت ظلامتك إلي فإن لم أنصفك أو أعديك على عاملي أردت ذاك مني، فقال: لمن حوله ما تقولون، فقالوا: يا أمير المؤمنين عدو أمكنك الله منه، فقال: عبد هم بذنب فكفه الله عني آتني بمن يكفل بك لا تدخل المدينة ما وليت أمر المسلمين فأتاه برجل من قومه فكفل به فخلى عنه قال عمران فوالله ما ضربه سوطا ولا حبسه يوما[3].

فهذا تسامح كبير من أمير المؤمنين عثمان بن عفان– رضي الله عنه–؛ حيث عفا عمن أراد قتله، والعفو عند المقدرة صفة من صفات الكمال في الرجال، وضعف الارتباط بالدنيا، وقوة الارتباط بالآخرة، وهذا الخلق إضافة إلى أنه عمل صالح يرفع من درجات صاحبه في الآخرة فإنه سياسة حكيمة في الدنيا؛ إذ إن هذا الرجل الذي أراد الاعتداء لو أنه قتل أو عوقب عقوبة بليغة لربما أحدث فتنة بإيغار صدور أفراد قبيلته واستعدادهم للانتقام إذا سنحت لهم الفرصة، لكن العفو عنه يجعل أفراد قبيلته وأبناء بلده يعذلونه ويعنفونه على ما حأول الإقدام عليه، وبذلك تنطفئ الفتنة قبل تصاعدها، ويكسب صاحب العفو قلوب الناس وولاءهم.

ومن أقوال الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه، شكرًا للقدرة عليه[4]".

---

(1) سورة الأعراف, آية199.

(2) الحميدي، الجمع بين الصحيحين، ج1، ص 125؛ النووي، رياض الصالحين، ج1، ص20.

(3) البصري، تاريخ المدينة المنورة، ج2، ص138.

(4) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج4، ص 104.

وقال علي رضي الله عنه: أولى الناس بالعفو، أقدرهم على العقوبة . وقال: العفو زكاة الظفر . وقال: إذا قدرت على عدوك، فاجعل عفوك عنه شكر المقدرة عليه[1] .

عاشراً: الصبر:

تحلّى الخلفاء الراشدون بالصبر،إذ يروى أن عبد الله بن أبي بكر رمي بسهم يوم الطائف، فانتقضت به بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين ليلة فمات، فدخل أبو بكر على عائشة فقال: أي بنية والله لكأنما أخذ بأذن شاة فأخرجت من دارنا فقالت الحمد لله الذي ربط على قلبك وعزم لك على رشدك، فخرج ثم دخل فقال: أي بنية أتخافون أن تكونوا دفنتم عبد الله وهو حي؟ فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون يا أبت فقال أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أي بنية إنه ليس أحد إلا وله لمتان لمة من الملك ولمة من الشيطان، قال فقدم عليه وفد ثقيف ولم يزل ذلك السهم عناه فأخرج إليهم فقال هل يعرف هذا السهم منكم أحد؟ فقال سعد بن عبيد أخو بني العجلان: هذا سهم أنا بريته ورشته وعقبته وأنا رميت به فقال أبو بكر فإن هذا السهم الذي قتل عبد الله بن أبي بكر فالحمد لله الذي أكرمه بيدك ولم يهنك بيده فإنه واسع الحمى [2].

ومن أقوال عمر بن الخطاب قال:"وأعلم أن مثوبة الصبر فوق مثوبة الشكر . ومن رباطة جأش عمر رضي اللَّه عنه قال: لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت[3]."

وقال أيضاً:" ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريما[4].

وأيضاً اتصف عثمان رضي الله عنه، بصفة الصبر، ومن المواقف الدالة على هذه الصفة ثباته في الفتنة؛ ومن المعلوم بالتواتر أن عثمان كان من أكف الناس عن الدماء، وأصبر الناس على من نال من عرضه، وعلى من سعى في دمه، فحاصروه وسعوا في قتله، وقد عرف إرادتهم لقتله، وقد جاءه المسلمون من كل ناحية ينصرونه ويشيرون عليه بقتالهم، وهو يأمر الناس بالكف عن القتال ويأمر من يطيعه أن لا يقاتلهم وروى أنه قال له: تذهب إلى مكة؟ فقال: لا

---

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج3، ص241.

(2) مسلم، المستدرك على الصحيحين، ج3، ص 543؛ البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج9، ص 98.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص60.

(4) أبو عبد الله، عدة الصابرين، ج1، ص 77.

أكون ممن الحد في الحرم فقيل له تذهب إلى الشام فقال لا أفارق دار هجرتي فقيل له فقاتلهم فقال: لا أكون أول من خلف محمدا في أمته بالسيف[1]. كان صبر عثمان حتى قتل من أعظم فضائله عند المسلمين، ومعلوم أن الدماء الكثيرة التي سفكت باجتهاد علي ومن قاتله لم يسفك قبلها مثلها من دماء المسلمين فإذا كان ما فعله علي مما لا يوجب القدح في علي بل كان دفع الظالمين لعلي من الخوارج وغيرهم من النواصب[2].

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه:" ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته فقال ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له وقال الصبر مطية لا تكبو"[3].

حادي عشر: الحزم:

كان أبو بكر الصديق، حازماً مع المرتدين، وقال كلمته المشهورة:" والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة؛ حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه، فقال: عمر والله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق[4].

نلاحظ مما سبق، أن الإصرار ظاهر في موقف الصدّيق، وهو من معاني الحزم، وكلاهما من سمات القيادة الناجحة، رحم الله الصديق فبحزمه شرح الله صدر عمر بن الخطاب إذ يقول: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

كما اتصف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بصفة الحزم، فيقول سويد بن غفلة رحمه الله، جاء يهودي إلى عمر بن الخطاب، وهو بالشام يستعدي على عوف بن مالك الأشجعي، أنه ضربه، فسأل عمر عوفاً عن ذلك فقال: يا أمير المؤمنين رأيته يسوق بامرأة مسلمة فنخس الحمار ليصرعها، فلم تصرع، ثم دفعها فخرت عن الحمار، ثم تغشاها ففعلت ما ترى قال ائتني بالمرأة لتصدقك فأتى عوف بالمرأة، فذكر الذي قال له عمر – رضي الله عنه– قال: أبوها وزوجها ما

(1) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج6، ص 286.
(2) م.ن، ج 6، ص 286.
(3) أبو بكر الزرعي، عدة الصابرين، ج1، ص 77.
(4) البخاري، صحيح البخاري، ج6، ص 2657.

أردت بصاحبتنا فضحتها فقالت المرأة والله لأذهبن معه إلى أمير المؤمنين، فلما أجمعت على ذلك قال أبوها وزوجها نحن نبلغ عنك أمير المؤمنين، فأتيا فصدقا عوف بن مالك بما قال، فقال عمر لليهودي:"والله ما على هذا عاهدناكم فأمر به فصلب ثم قال: يا أيها الناس فوا بذمة محمد صلى الله عليه وسلم فمن فعل منهم هذا فلا ذمة له[1] .

إن صفة الحزم في شخصية ذي النورين أصيلة، ونجد الصديق رضي الله عنه عندما عرض عليه الإسلام قال له: ويحك يا عثمان إنك رجل حازم، ما يخفى عليك الحق من الباطل، ما هذه الأوثان التي يعبدها؟[2].

وقال الواقدي فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم وقال فيها زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه، وابتاع من قوم، وأبى آخرون، فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال، فصيحوا بعثمان، فأمر بهم بالحبس، وقال: أتدرون ما جرأكم علي؟ ما جرأكم علي إلا حلمي، قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به ثم كلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجوا قال وحج بالناس زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه[3].

---

(1) البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج9، ص201.

(2) السيوطي، الخصائص الكبرى، ج1، ص219.

(3) الطبري، تاريخ الطبري، ج2، ص 595؛ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص 360؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص481؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص481.

الفصل الثاني

حكام الأندلس في عهد الولاة بين الالتزام بالأخلاق الإسلامية والتفريط

- **المبحث الأول:** مظاهر التزام حكام الأندلس في عهد الولاة بالأخلاق الإسلامية.
- **المبحث الثاني:** انحرافات حكام الأندلس في عهد الولاة عن الأخلاق الإسلامية.

المبحث الأول

مظاهر التزام حكام الأندلس في عهد الولاة بالأخلاق الإسلامية

تعرف الحقبة الأولى للحكم الإسلامي في الأندلس[1] من (**91، 138هـ= 711، 756م**) ، بعصر الولاة، وكان الحاكم يسمى الأمير، أو الوالي[2]، وهي حقبة مضطربة اشتهرت بالغزوات الخارجية التي شنها ولاة الأندلس، على جنوب فرنسا[3]، كما اشتهرت أيضاً بالفتن الداخلية، التي قامت بين العرب، والبربر تارة، وبين العرب أنفسهم تارة أخرى، وكانت الأندلس في ذلك الوقت إمارة غير مستقلة، وغير وراثية، وتتبع أمير أفريقية من الناحية الإدارية[4]؛ وبمعنى أن أمير القيروان، هو الذي كان يعين ولاة الأندلس، في غالب الأحيان[5].

---

(1)الأندلس, هي كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم, وإنما عرفتها العرب في الإسلام, وقد جرى على الألسن أن تلزم الألف واللام, إحدى مقاطعات أسبانيا، اسمها في الأصل وندلوسيا نسبة إلى الوندال أو الفندال، وكانوا قد استوطنوها بعد الرومان، فلما فتحها العرب سموها الأندلس ثم أطلقوا هذا الاسم على أسبانيا كلها يطلق اليوم على الجزء الجنوبي من أسبانيا، وتقع جنوبي نهر الوادي الكبير، وهو يضم سبع محافظات وهي قرطبة – إشبيلية – قارش –جيان –غرناطة –مالقا – وولقة, (ياقوت, معجم البلدان, ج1, ص 311؛ زيدان، جرجي، روايات تاريخ الإسلام، فتح الأندلس، ص1؛ عثمان، حامد، المسلمون في العالم قضايا وتحديات، ص287.)

(2) الحجي، عبد الرحمن، التاريخ الأندلسي، ص132، 131.

(3) يلاحظ أن فرنسا كاصطلاح جغرافي لم تكن قد وجدت بعد ككتلة واحدة أو كوحدة سياسية, كذلك لم تكن قد تكونت بعد اللغة الفرنسية في ذلك الوقت، وكانت الأراضي الممتدة وراء جبال البرتات، شمالا تعرف وقتئذ بالأرض الكيرة أو بلاد الفرنجة أو بلاد الغال أو غاليا، وكانت تلك الأراضي بعد زوال الحكم الروماني منها تنقسم إلى إمارات مستقلة، ففي الجنوب نحد سبتمائيا, أي المدن السبع، ثم إكتيانيا، وفي الشرق مع وادي ودونة أي نهر الرون، نجد ولايتي بروفانس، وبرغونة (برجانديا) في الشمال, أي شمال نهر اللوار، نجد مملكة الفرنجة الميروفنجية، التي تمتد شرقا حتى تشمل ألمانيا، الحالية .(العبادي، أحمد مختار، التاري العباسي، والأندلسي، ص292).

(4) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص39–40.؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 235 ؛ العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، والأندلسي، ص291.

(5) العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، والأندلسي، ص291.

وفي أحيان أخرى تدخلت الخلافة الأموية مباشرة في تعيين هؤلاء الولاة(1).

وعين أهالي الأندلس بأنفسهم من يلي أمرهم فانتظروا الموافقة على تلك الإجراء إما من حكومة أفريقية، أو دمشق، مقر الخلافة الأموية(2).

وقد بلغ عدد ولاة الأندلس في تلك الحقبة بعد عودة موسى بن نصير، وطارق بن زياد، إلى دمشق، عشرين والياً[3]، تولوا الحكم طوال مدة بلغت تقريباً اثنين وأربعين عاماً(4).

ويلاحظ مما سبق: كانت الأندلس في هذه الحقبة تتلقى التعليمات فيما يتعلق بتعيين الولاة، إما من مركز الخلافة في دمشق، وإما من الوالي العام لبلاد المغرب الموجود بالقيروان، وإذا ما اقتضت الضرورة فإن بعض التعيينات كانت تتم في الأندلس، نفسها ريثما تأتي الموافقة الرسمية من دمشق، أو القيروان.

وبرغم ما ميز تلك الحقبة من اضطراب سياسي، فإن المسلمين استطاعوا أن يكملوا فتح الأندلس، ويؤسسوا الكثير من دعائم النهضة فيها، كبناء المساجد لأداء شعائرهم الدينية، والقناطر وشبكات الري باعتبار أن الزراعة كانت المورد الرئيس للسكان، ولا سيما أن الأندلس معروفة بكثرة أنهارها وعيونها.

عند التأمل في سير حكام الأندلس في عهد الولاة؛ نلاحظ أنهم قد التزموا بوجه عام بالأخلاق الإسلامية، يتضح ذلك من خلال النقاط الآتية:

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 2، ص 26.

(2) م.ن، ص 26.

[3] لمزيد من الاطلاع حول عدد وأسماء هؤلاء ولاه الأندلس في الملاحق، ص 195

(4) المقري، نفح الطيب، ج1، ص299 .

أولاً: حفظ العهود:

بعد أن اطمأن موسى[1] بن نصير [2]، على الأوضاع في الأندلس، ولا سيما بعد أن تمكن من إتمام الفتوحات الإسلامية في وسط الأندلس، وجنوبه، أخذ يستعد للسير نحو الشمال لإكمال فتح الأندلس، فقد واصلت الجيوش الإسلامية السير لفتح شمال الأندلس، ففتحت مدينة وادي الحجارة[3]، ثم المائدة، ثم مدينة سالم[4]، واتجهت صوب مدينة سرقسطة[5] عاصمة الثغر

---

(1) موسى بن نصير بن عبد الرحمن اللخمي، يكنى بأبي عبد الرحمن، الأعرج الأمير الذي افتتح الأندلس وأكثر المغرب، وكان من أفضل رجال العالم حزما ورأيا وهمة ونبلا وشجاعة وإقداما, و فصيحا وخطيبا مفوها, عادلا عاقلا كريما شجاعا, ورعا تقيا لله تعالى كبير القدر، لم يهزم له جيش قط. توفى موسى بن نصير ,– رحمه الله– بوادي القرى في سنة سبع وتسعين (الذهبي، العبر، ج1، ص116؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص496؛ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ح5، ص318، 319؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص171؛ ابن الفرضي، تاريخ العلماء بالأندلس، ج2، ص496؛ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج61، ص224).

(2) قال سيبويه سبي نصير من جبل الخليل من أرض الشام في زمن أبي بكر, وكان اسمه نصرا فصغر وأعتقه بعض بني أمية ورجع إلى الشام, وولد له موسى بقرية يقال لها كفرمثرى, وكان أعرج, وكان نصير على حرس معأوية بن أبي سفيان, ومنزلته عنده مكينة (الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 471؛ ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج5، ص319).

(3) وادي الحجارة : وهي مدينة تعرف بمدينة الفرج بالأندلس، وهي بين الجوف والشرق من قرطبة، وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً . وهي مدينة حسنة كثيرة الأرزاق جامعة لأشتات المنافع والغلات، ولها أسوار حصينة ومياه معينة وبغربها نهر صغير لها عليه بساتين وجنات وكروم وزراعات, وبها من غلات الزعفران الشيء الكثير، يتجهز به منها إلى سائر البلاد، وبينها وبين مدينة سالم خمسون ميلاً . (الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج 1، ص 606؛ الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 39؛ الأصبهاني، أخبار وتراجم أندلسية، ج 1، ص 53؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج 2، ص 553؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ج 1، ص 19).

(4) مدينة سالم بالأندلس, وهي شرق قرطبة, وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات, لها حصون كثيرة (الحموي، معجم البلدان ، ج 3 ، ص 366؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 2، ص 553).

(5) سرقسطة تقع شرق الأندلس، وهي المدينة البيضاء . وهي قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر، آهلة، ممتدة الأطناب، واسعة الشوارع، حسنة الديار والمساكن، متصلة الجنات والبساتين، ولها سور حجارةٍ حصين، وهي على ضفة نهرٍ كبيرٍ (الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 2، ص 554؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج 1، ص 317؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ج 1، ص 96).

الأعلى[1]، ولم تكن طلائع المسلمين تشرف على مدينة سرقسطة حتى رعب أسقفها بنيسو (bencio)، ومن معه من الرهبان فجمعوا كتبهم المقدسة، وذخائرهم المورثة، وقرروا الهجرة، والفرار بهذه الذخيرة، فلما علم موسى بن نصير، بأمرهم أرسل إليهم رسولا يؤمنهم، ويعطيهم عهده فسكنت مخأوفهم، واستقروا في المدينة[2].

وهذا الأمان ينافي ما ذكر من أن فتح شمال الأندلس صحبته موجه عاتية من التدمير، والتخريب، وبث الرعب في نفوس سكانها [3].

ويقول أحد المؤرخين:" وقد ألقى الله الرعب في قلوب الكفرة فلم يعارضهما أحد إلا بطلب الصلح وموسى يجيء على أثر طارق[4] في ذلك كله ويكمل ابتداءه ويوثق للناس ما عاهدوه[5].

ثانياً: شجاعة حكام الولاة وجهادهم جنوب فرنسا:

اتصف حكام الأندلس بالشجاعة والجهاد، ويذكر أن موسى بن نصير كان عاملا شجاعا كريما تقيا لله تعالى ولم يهزم له قط جيش[6] .

ومن صور شجاعته في سنة(92هـ/710م) جهز موسى جيشًا خليطًا من العرب والبربر تعداده سبعة آلاف جندي بقيادة طارق بن زياد، وانطلق طارق بالجيش إلى أن وصل سبتة، وهناك

---

(1) هناك عدة مسميات للثغر الأعلى ومنها الثغر الأقصى، الكورة الثغرية، الثغر الأكبر (انظر ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج1، ص341؛ مؤلف مجهول، أخبار، ص62؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج2، ص245 الهامش).

(2) مؤنس، حسن، فجر الأندلس، ص163.

(3) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص100.

(4) طارق بن زياد بن عبد الله، وقيل إنه بربري من نفزة, وقيل هو فارسي من همدانن, وذكر أنه عربي من صدف، مولى موسى بن نصير ضمن سبايا البربر، وقيل عنه أنه ليس بمولى, يسميه ابن خلدون طارق بن زياد الليثي وهو الفاتح الحقيقي لبلاد الأندلس, توفى سنة 102هـ= 720م (المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 254؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 6، ص 393؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1، ص16؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 252؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص320 ؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص117).

(5) المقري، نفح الطيب، ج1، ص 273.

(6) م.ن، ج1،ص240.

خطـط لعبـور المضـيق، الـذي حمـل اسـم طـارق بـن زيـاد منـذ ذلـك الوقـت(1). ونـزل طـارق قائـد جـيش موسـى بـن نصـير، أرض الأنـدلس، وبعـد عـدة معـارك فـتح الجزيرةالخضراء[2]، وعلم الإمبراطور (لذريق) بنزول المسلمين، كان لذريق ملك الأندلس استخلف عليها شخصا يقال له تدمير، وإليه تنسب تدمير بالأندلس، فلما نزل طارق من الجبل كتب تدمير إلى لذريق إنه قد نزل بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء هم أم من الأرض(3)، وزحف لذريق بجيش كبير ليوقف المسلمين عن الزحف، فأرسل طارق إلى موسى مستنجدًا، فأمده بخمسة آلاف من المسلمين على رأسهم طريف بن مالك، وأكثرهم من الفرسان، فأصبح تعداد جيش المسلمين اثني عشر ألفًا، وكان اللقاء الحاسم بين جيش المسلمين بقيادة طارق بن زياد، وجيش الإمبراطور لذريق(4)، ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم ثم قال أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم(5)، واصل طارق بن زياد فتوحاته في الأندلس، وسلك موسى بن نصير طريقاً مختلفاً في مقدمة الجيش وتوغله في أراضي الأندلس، فعبر إليها على رأس حملة كبيرة وأخذ القائدان يتمَّان فتح ما بقي من مدن الأندلس، وظل موسى يجاهد في سبيل الله حتى أصبحت الأندلس في قبضة المسلمين(6).

يتبين لنا مما سبق شجاعته واندفاعه وإقدامه ولا بد يكون شجاعاً ومقداماً.

---

(1) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج1، ص35.

2 انظر ملحق الخرائط، خريطة فتح الأندلس، ص 224

(3) المقري، نفح الطيب، ج1، ص240.

(4) م.ن، ص239؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج1، ص35؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص237.

(5) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص237؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، ص321.

(6) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص98.

كما شارك عبد العزيز بن موسى بن نصير[1]، قبل تعيينه والياً على الأندلس، أباه في إخماد الثورة التي قام بها سكان إشبيلية[2]، ومدينة لبلة[3]في سنة(94هـ=712م)، بعد أن فتحها جند المسلمين[4] .

واستخلف على الأندلس ولده عبد العزيز بن موسى[5]، وترك معه من العساكر ووجوه القبائل من يقوم بحماية البلاد، وسد الثغور، وجهاد العدو[6].

لعبد العزيز بن موسى، دوراً كبيراً في الجهاد في الأندلس فلقد قام بإخضاع مناطق جنوب شرق الأندلس، التي لم يصل إليها أحد من المسلمين حتى ذلك الحين،فابتدأ بفتح مالقة[7]، بعد أن سلمها حاكمها إلى القوات الإسلامية من دون مقأومة [8].

---

(1) عبد العزيز بن موسى بن نصير اللخمي, ولّاه أبوه أمر الأندلس سنة 95هـ، وقتل في الأندلس سنة 97هـ(الطبري، تاريخ، ج4، ص44؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج1، ص266؛ ابن الفرضي، تاريخ العلماء بالأندلس، ج1، ص319؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ج1، ص2).

(2) هي مدينة أندلسية، بناها يوليوش قيصر، وسماها بنو أمية حمص، قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف، كثيرة الشجر والزيتون، وسائر الفواكه، وزراعة القطن، وتشتهر بالزبيب، بينها وبين قرطبة ثلاثة أيام(الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج 1، ص 58، 59؛ الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 195).

(3) ومدينة لبلة مدينة حسنة أزلية متوسطة القدر, ولها سور منيع وبشرقها نهر يأتيها من ناحية الجبل, ويجاز عليه في قنطرة إلى مدينة لبلة, وبها أسواق وتجارات ومنافع جمة, وشرب أهلها من عيون في مرج من ناحية غربها وبين مدينة لبلة والبحر المحيط ستة أميال, وهناك على ذراع من البحر تطل مدينة ولبلة, وهي مدينة صغيرة متحضرة عليها سور من حجارة , وبها أسواق وصناعات(الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 2، ص541).

(4) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 12.

(5) الدينوري، الإمامة والسياسة، ج 2، ص 261؛ ابن الفرضي، تاريخ العلماء بالأندلس، ج 1، ص 261.

(6) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج 1، ص 261.

(7) مالقة بفتح اللام والقاف كلمة عجمية مدينة بالأندلس، بينها وبين مدينة برليانة ثمانية أميال، وهي مدينة حسنة آهله كثيرة العمران فيها يصنع الفخار(الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 43؛الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج 2، ص 565).

(8) اشتيوي، أشرف يعقوب أحمد، الأندلس في عصر الولاه، ص45.

وقد اشتغل بعد ولايته بافتتاح حصون كثيرة، وبمفأوضة تدمير، ويبدو أنه أفتح كورة[1] تدمير[2]، أوائل سنة(96هـ= 714م)[3].

قام الوالي عبد العزيز بن موسى، بفتح مدائن كثيرة في الأندلس[4].

إن الوالي عبد العزيز بن موسى، أقام في الأندلس فضبط سلطانها، وضم نشرها، وسد ثغورها، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة مما كان قد بقى على أبيه موسى منها[5].

وأخيراً قيل عن عبد العزيز في ولايته، إنه كان خيّراً فاضلاً، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة[6].

لم تدم ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير، طويلاً في الأندلس، إذ إنه اغتيل؛ نتيجة مؤامرة دبرها له كبار قواده سنة 97هـ، 715م[7].

وولي بعد عبد العزيز بن موسى بن نصير، ابن عمته أيوب بن حبيب اللخمي[8]، (97هـ= 715م)، الذي حكم البلاد ستة أشهر فقط، وإليه ينسب بناء قلعة أيوب[9] في جنوب سرقسطة، شمال الأندلس، وهي الآن مدينة كبيرة ولا تزال تحمل اسمه[10].

---

(1) كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة، أو مدينة تجمع اسمها وأصلها يوناني(الحموي، معجم البلدان، ج1، ص540).

(2) تدمير من كور الأندلس، سميت باسم ملكها تدمير, فتحها عبد العزيز بن موسى صلحا(الحميري، الروض في خبر الأقطار، ص131).

(3) مؤنس، حسين، فجر الأندلس، ص117.

(4) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص36؛ مجهول، أخبار، ص21

(5)المقري، نفح الطيب، ج1، ص281.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص119؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص151؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص234 .

(7) العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، والأندلسي، ص291.

(8) هو ابن أخت موسى بن نصير، دخل الأندلس سنة(97هـ= 715م)، حينما قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير، فاتفقت وجوه القبائل على تقديم أيوب أميراً(المقري، نفح الطيب، ج1، ص34؛ ابن خلدون؛ تاريخ ابن خلدون، ج4، ص151؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص149؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص61؛ الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص119).

(9) مدينة أندلسية تقع قرب مدينة سالم وهي كثيرة الأشجار والثمار(الحميري، الروض في خبر الأقطار، ص169).

(10) العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، والأندلسي، ص292.

ومن خلال الاطلاع على المصادر الإسلامية الخاصة بحقبة الولاة في الأندلس، فإننا لم نعثر على فتوحات، أو أعمال حربية تمت في عهد أيوب بن حبيب اللخمي، وربما يكون ذلك عائدا إلى قصر مدة ولايته التي لم تتجأوز ستة الأشهر ثم عزل بعدها[1].

ثم خلفه الحر بن عبد الرحمن الثقفي[2]، الذي نقل مقر حكومته من إشبيلية إلى قرطبة[3]؛ لأن

موقع إشبيلية متطرف نحو الغرب بينما مع قرطبة، في قلب الأندلس، مما يسهل على الحاكم ضبط البلاد منها[4].

واستمرت ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفي، حتى سنة (100هـ= 719م)، وبقى والياً عليها مدة سنتين، وثمانية أشهر حتى وفاة سليمان بن عبد الملك، سنة (99هـ= 717م)[5].

عمل على استعادة الحصون التي كان المسلمون قد حأولوا فتحها، واقتحامها من قبل وأنه فتحها واستولى عليها إلا انه عاد للأندلس لإخماد بعض الثورات، والفتن التي اندلعت فيها[6].

---

(1)المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 234، 298 ؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص151؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص149؛ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، ص 156.

(2) هو الحر بن عبد الرحمن الثقفي، جاء إلى الأندلس سنة 98هـ=716م، ولاه على الأندلس محمد بن يزيد القرشي، والي أفريقية ثم عزله عن الأندلس, وعين بدلا منه السمح بن مالك الخولاني(ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص19؛ الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص120).

(3) تقع شرق كورة البيرة وبينهما تسعون ميلاً أرضها كثيرة الأنهار، والأشجار، وهي قاعدة بلاد الأندلس، وأهم مدنها، وهي مقر الخلافة الأموية في الأندلس، وبها المسجد الجامع، وأسواقها كثيرة عامرة(الإدريسي، ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 2، ص 578؛الحموي، معجم البلدان، ج4، ص368).

(4) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 14.

(5) ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج2، ص420، المقري، ج1، ص 282.

(6) المقري، نفح الطيب، ج2، ص617.

امتاز في فترة ولايته بالقسوة، والشدة [1]مما دفع الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، سنة (99هـ= 717م) إلى عزله وتعين وال آخر على الأندلس[2]، السمح بن مالك الخولاني.[3]

وأهم عمل قام به السمح بن مالك الخولاني، هو عبوره جبال البرتات[4]، وغزو جنوب فرنسا[5]

حاول السمح بن مالك الخولاني، فتح إمارة سبتمائيا[6]، لتأمين حدودها الشمالية، فحاصر عاصمتها أربونة[7]، واستولى عليها ثم اتجه شمالا بغرب نحو نهر الجارون، واستولى على مدينة طولوشة تولوز، وتوغل في دوقية اكتيانيا، ولكن دوقها المسمى يودو التقى به سنة (102هـ=720م)، بالقرب من طولوشة، حيث دارت معركة كبيرة انتهت بهزيمة السمح

---

(1) عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام، العصر الأول، ص74.

(2) مجهول، أخبار، ص23؛ ابن قوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص39؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص191.

(3) نسبة إلى قبيلة خولان اليمنية، قيل الحيأوي، ولى على الأندلس 100هـ، 718م، وهو الذي طلب منه الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، أن يخمس أرض الأندلس، واستشهد غازيا في بلاد الفرنجة سنة102هـ، 729م(السمعاني، الأنساب، ج2، ص296؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص120؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ج 1 ص 12؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص39).

(4) العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، والأندلسي، ص292.

(5) وكان دافع المسلمين الأول إلى عبور جبال ألبرت، هو أن ولاية سبتماعية، وهى شريط من الأرض يمتد بمحاذاة ساحل البحر المتوسط جنوب فرنسا، ويمتد حتى مصب نهر الرون، ويضم ما يعرف اليوم بالريفييرا الفرنسية، وجزءاً من الريفييرا الإيطالية، حتى حدود ما يعرف بولاية الألب البحرية، وهذه الولاية كانت تتكون من سبع وحدات إدارية، وكانت من أملاك القوط الغربيين سادة شبه الجزيرة الأيبيرية، فكان لا بد من العرب من الاسترسال، ووضع يدهم على سبتمائية وعاصمتها مدينة ناربوت، التي يسميها العرب أربونة، وبالفعل قام بذلك الوالي الحر بن عبد الرحمن عام 719م، ودخل مدينة أربونة، وجعلها قاعدة الفتوح في غالة(عثمان، حامد المسلمون في العالم قضايا وتحديات ج1، ص264).

(6) إن هذه الإمارة كان جزءاً من الدولة القوطية التي قضى عليها العرب في إسبانيا. .(العبادي، أحمد مختار، التاري العباسي، والأندلسي، ص292).

(7) هي مدينة أندلسية كانت آخر مدينة بأيدي المسلمين، وهي مقابل بلاد الفرنجة خرجت من أيدي المسلمين 330هـ، 941م(الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج 1، ص 24؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ج 1، ص 11؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص68).

واستشهاده، وانسحاب بقايا جيشه بقيادة عبد الرحمن الغافقي، إلى مدينة أربونة، التي أصبحت قاعدة عربية لغزو ما وراء جبال البرتات[1].

وخلف السمح بن مالك الخولاني، وال آخر لم تستمر ولاية سوى أشهر معدودة فقط[2]، ثم تولى الحكم بعده عنبسة بن سحيم الكلبي[3]، سنة (103هـ= 721م) [4].

حينما دخل عنبسة الأندلس، كانت البلاد تموج بالفوضى، والاضطرابات الداخلية؛ بسبب النزاعات والخلافات الداخلية بين العصبيات العربية التي كانت قد استفحلت في الأندلس[5].

فكان على عنبسة أن يمضي مدة طويلة من ولايته على الأندلس في تنظيم البلاد، وتهدئة النفوس، والقضاء على مواطن الضعف وقيل إنه في أثناء ولايته على الأندلس استقام أمر الأندلس وغزا الفرنجة، وتوغل في بلادهم[6].

بعد أن استقامت الأمور في الأندلس، واستقرت أحوالها جهز عنبسة جيوشه للمسير شمالا نحو بلاد غالة[7]، و تابع حركة الفتح في تلك النواحي فأتم فتح إقليم سبتمائيا، بمدنه السبع الكبيرة ثم اتجه شرقاً حتى بلغ نهر الرون، وفتح إقليم بروفانس في الجنوب ثم صعد مع النهر شمالاً حتى بلغ مدينة ليون، واحتلها ثم توغل في الإقليم المعروف باسم برغونة(برجانديا) حتى بلغ مدينة

---

(1) العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، والأندلسي، ص293.

(2) م.ن، ص293.

(3) وقد جاء إلى الأندلس، سنة(103هـ= 721م)، وقد ولاه أمر الأندلس يزيد بن أبي مسلم عامل أفريقية، واستشهد غازياً سنة 107هـ، 725م(ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص150؛ابن الفرضي، تاريخ العلماء بالأندلس، ج1، ص386؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص235؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 150).

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 120؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 235.

(5) اشتيوي، أشرف يعقوب أحمد، الأندلس في عصر الولاة، ص72.

(6) المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 235؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 16؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 377؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 21، ص 246.

(7) وكانت بلاد غالة، مقسمة بين أربع وحدات سياسية وهي: مملكة الفرنجة الميروفنجيين، وتشمل معظم الغالات، وعاصمتها باريس، وذوقية أقطانية، وقاعدتها بروال، ومملكة برغندية، وتشمل حوض الرون، ثم سبتماعية . (عثمان، حامد المسلمون في العالم قضايا وتحديات   ج1، ص264).

أوتون في أعالي الرون، ولكن أهالي البلاد قطعوا عليه خط رجعته وانتهى الأمر باستشهاده سنة 107هـ، 726م[1].

قاد جيش المسلمين بعد استشهاد عنبسة، عذرة بن عبد الله الفهري[2]، وكان اختياره واليا علي الأندلس قد تم من قبل أهل الأندلس أنفسهم، من دون الرجوع إلى والي شمال أفريقية أو إلى مقر الخلافة الأموية في دمشق، ويبدو أن ولاية عذرة الفهري كانت قصيرة جداً، حتى تم اختيار والٍ آخر ليحل مكان عنبسة في حكم الأندلس، حيث إنه لم يلبث في منصبه سوى شهرين فقط [3].

ولم يقم بأى أعمال حربية فى غالة، ويعود ذلك إلى عامل الاضطراب والفوضى وقصر مدته في ولاية الأندلس[4].

تولى حكم الأندلس بعد عذرة بن عبد الله الفهري، يحيى بن سلمة الكلبي[5]، سنة (107هـ=725م)[6]، بأمر من عامل أفريقية بشر بن صفوان[7]، وفى مدة ولايته لم يغز فيها بنفسه غزوة[8].

---

(1) ابن الفرضي، تاريخ العلماء بالأندلس، ج 1، ص 386؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص120؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص235.

(2) هو الذي خلف عنبسة بن سحيم الكلبي، في ولاية الأندلس، بدون تعيين من عامل أفريقية، أو من مركز الخلافة فقد استمر والياً مدة شهرين فقط(ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 2، ص 22؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص299).

(3) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 383؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص 17.

(4) مؤنس، حسين، فجر الأندلس، ص255، سالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص140.

(5) تم تعيين عذرة يحيى بن سلمة الكلبي بأمر من عامل أفريقيا، استمرت ولايته قرابة سنتين وستة أشهر(ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 383؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص235).

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص377.

(7) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 383؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 377.

(8) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 18؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص 152.

وتولى بعده عثمان بن أبى نسعة الخفعى، استمر حكمه قرابة ستة أشهر[1]، وقيل ولايته خمسة أشهر، ثم عزل عنها واستقر في القيروان حتى وفاته[2] .

ثم ولي الأندلس الهيثم بن عبيد الكناني[3] أو الكلابي[4]، في سنة (111هـ=729م)؛ وكانت ولايته عشرة أشهر[5]؛ وهو الذي غزا منوسة، فافتتحها [6]

وأقام واليا عشرة أشهر، وقيل سنة وشهرين؛ ثم توفي.[7].

ثم قدم أهل الأندلس على أنفسهم محمد بن عبد الله الأشجعي[8][9]، قال ابن بشكوال قدمه الناس عليهم وكان فاضلاً فصلى بهم شهرين فكانت ولايته شهرين[10].

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 383.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 383، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص 152؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 18.

(3) وفي سنة 111 هـ، عزل عبيدة بن عبد الرحمن عامل أفريقية، عثمان بن أبي تسعة عن الأندلس وولى مكانه الهيثم بن عبيد الكناني فقدمها في محرم أيضاً من تلك السنة, ثم توفي سنة 114. (ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 20؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 176)

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص 152؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 235.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 120.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 383 ؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص235.

(7)المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 235، ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 383؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 120.

(8) محمد بن عبد الله الأشجعي، سلطان الأندلس وفي ثقيف اختلاف فمنهم من قال إنها قيسية وإن ثقيفا هو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ومنهم بالأندلس جماعة وإليهم ينتسب الحر بن عبد الرحمن الثقفي صاحب الأندلس (المقري، نفح الطيب ج1، ص 292).

(9) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 18؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 120.

(10)ابن بشكوال، التكملة لكتاب الصلة، ج 1، ص 283؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 383؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص 18؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 176.

وسادت الأندلس بعد ذلك حقبة من الاضطرابات توقفت فيها حركة الفتح الخارجي مدة أربع سنوات، ثم تولى الأندلس سنة (112هـ= 730م)[1]، أمير شجاع متحمس للجهاد، هو عبد الرحمن الغافقي[2]، وفي سنة(114هـ= 732م)، خرج هذا الأمير بجيش كبير لمواصلة عملية الغزو في فرنسا، فهاجم إكيتاينا، وعبر نهر الجارون، واستولى على مدينة يوردو، التي تقع على مصبه وكان العرب يسمونها برديل أوبردال[3]، وعندما عجز يودو دوق اكيتانيا عن مقأومة العرب استنجد بالدولة الميروفنجية الفرنجة[4]، شارل مارتل أي شارل المطرقة[5].

ورأى شارل مارتل أن انتصار العرب على أكتياينا، يعني اقتراب خطرهم من بلاده، وتهديدهم لسلامة الدولة الميروفنجية، ولهذا لبى دعوة الدوق يودو، وخرج بجيش ألماني، كبير لصد الزحف العربي، والتقى الجيشان في مكان بين بلدتي تور، وبواتييه في رمضان سنة (114هـ= 732م)، ودارت بينهما معركة عنيفة ضارية لمدة ثلاثة أيام، انتصر فيها العرب أول الأمر وجمعوا غنائم كثيرة[6] ثم حدث أن هاجم دوق أكيتانا مؤخرة الجيش العربي حيث توجد الغنائم فتراجع بعضهم لإنقاذها فاختل توازن المسلمين وانهزموا واستشهد قائدهم عبد الرحمن الغافقي، وعدد كبير من رجاله، وانسحب الباقون تحت جنح الظلام[7]، وقد سميت هذه الموقعة في الكتب العربية باسم

---

(1) العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، والأندلسي، ص293.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 383.

(3) تقع مدينة بردال شمال برشلونة، التي تنسب إليها السيوف البردالية، وفي شرق بردال مدينة طلوزة(بن سعيد، الجغرافيا، ج 1، ص 57) .

(4) كانت تلك الدولة ملكية في نظامها، ويحكمها المتأخرون من ملوكها الذين كانوا في ذلك الوقت ملوكا ضعافا، أما السلطة الحقيقية في البلاد فكانت في يد الحاجب، أو رئيس القصر المعروف باسم شارل مارتل؛ أي شارل المطرقة(العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، والأندلسي، ص294).

(5) العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، والأندلسي، ص294.؛ ذو النون طه، عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي، ص302.

(6) الحجي، عبد الرحمن، التاريخ الأندلسي، ص193 ؛ العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، والأندلسي، ص294؛ ذو النون طه، عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي، ص302.

(7) ذو النون طه، عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي، ص302.

بلاط الشهداء[1]، أما المصادر الأوروبية فتسميها بموقعة تور أو توربواتييه، ولقب شارل ماتل بالمطرقة بعد هذا النصر [2] .

ثم تولى بعده عبد الملك بن قطن الفهري، وكانت ولايته سنتين[3]، وكان ظلوما في سيرته جائرا في حكومته، وغزا أرض البشكنس فأوقع بهم[4] .

بعد أن عزل عبد الملك بن قطن استعمل عبد الله بن الحجاب على الأندلس عقبة بن الحجاج بن السلولي[5]، سنة (116هـ[6]= 734م)، وأقام عقبة بالأندلس بأحسن سيرة وأجملها، وأعظم طريقة وأعدلها، إلى أن غزا أرض الفرنجة؛ فلقيته جيوش الأعداء؛ وذكر عنه أنه كان صاحب بأس ونجدة، ونكاية بالعدو وشدة[7].

وكان يجاهد المشركين في كل عام، ويفتتح المدائن، وهو الذي فتح مدينة أربونة[8]، وافتتح جليقية وبنبلونة، وأسكنها المسلمين، وعمت فتوحاته جليقية كلها غير الصخرة؛ فإنه لجأ إليها ملك جليقية، وكان بها ثلاثمائة راجل، فعمل المسلمون على تصفيتهم، حتى صاروا ثلاثين رجلا، وحتى فنيت أزودتهم، ولم يتقوتوا إلا بعسل يجدونه في خروق الصخرة. وأعبئ المسلمين أمرهم؛ فتركوهم[9].

---

(1) نسبة إلى طريق روماني قديم دارت عنده هذه المعركة والبلاط في اللغة هو الطريق المرصوف المبلط (العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، والأندلسي، ص294) .

(2) العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، والأندلسي، ص294.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 383؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص 18، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص120 .

(4) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 19.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص120؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 176.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 151؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص 19.

(7) م.ن، ص 151.

(8) المقري، نفح الطيب، ج1، ص 236.

(9)ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص 151 .

ويمكن القول إن عقبة بن الحجاج بن السلولي، خاتمة الولاة الأندلسيين الذين قاموا بالجهاد وراء جبال البرت[1].

ثالثاً: الحزم وقوة الشخصية عند حكام الولاة:

اتصف حكام الولاة بالحزم وقوة الشخصية، حيث يروى أن" موسى بن نصير كان يكاتب عبد العزيز بن مروان. فلما هلك عبد العزيز، ولى عبد الملك عبد الله بن عبد الملك. فلم يكاتبه موسى، وكاتب عبد الملك. فكتب إليه عبد الله بن عبد الملك: أما بعد، فإنك كنت من عبد العزيز وبشر بين مهادين، تعلو عن الحضيض مهودهما، ويدفئك دثارهما، حتى عفا مخبرك، وسمت بك نفسي. فلا تحسبني كمن كنت تخلبه وأعداء بيته، وتقول: اكفياني أكفكما، ولا كأصبغ كنت تمينه بكهانتك. وايم الله لأضعن منك ما رفعا، ولأقلن منك ما كثرا. فضح رويداً، فكأن قد أصبحت سادماً، تعض أناملك نادماً. والسلام[2]".

فكتب إليه موسى بن نصير: "أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ما وصفت فيه من إركاني إلى أبويك وعمك. ولعمري إن كنت لذلك أهلاً. ولو خبرت مني ما خبرا، لما صغرت مني ما عظما، ولا جهلت من أمرنا ما علما. فكيف أتاه الله لك؟ فأما انتقاصك لهما، فهما لك، وأنت منهما، ولهما منك ناصر لو قال وجد عليك مقالاً، وكفاك جزاء العاق. فأما ما نلت من عضي، فذلك موهوب لحق أمير المؤمنين لا لك. وأما تهديدك إياي بأنك واضع مني ما رفعا، فليس ذلك بيدك ولا إليك، فأرعد وأبرق لغيري[3]".

يَتبيَّن مما سبق مدى ما يتمتع به الوالي موسى بن نصير من قوة شخصيته وحزم إداري واضح، إذ إنه لم يبال بما خاطبه به ابن الخليفة، نظراً لسلامة موقفه من السلطة المركزية، وقد كان لهذا الرد العنيف وقع الصاعقة على والي مصر، واعتراه غضب شديد فبعث بكتاب إلى أبيه ومعه كتاب الوالي موسى بن نصير[4]، لكن الخليفة توفي قبيل وصول الكتاب ووقع الرد في يد الوليد

---

(1) الحجي، عبد الرحمن، التاريخ الأندلسي، ص206.

(2) الكندي، ولاة مصر، ج1، ص18.

(3) م.ن، ج1، ص18.

(4) جاسم، جاسم لظيف، مجلة كلية التربية الإسلامية، جامعة بابل، ع11، آذار 2013، ص108.

ابن عبد الملك، الذي علق على هذا الموقف وأشاد بموسى قائلاً:" لله دره، إن كان عنده لأثرة من علم، ولقد كان عبد الله غنياً أن يتعرضه[1] " ..

إن هذا الموقف يعطينا صورة واضحة لهذا الوالي عن قوة شخصيته.

رابعاً: التقوى عند حكام الولاة:

اتصف حكام الولاة بالتقوى، ويتبين ذلك من خطبة موسى بن نصير حينما قدم إلى أفريقيا، وجمع المسلمين، ومما جاء فيها كما ذكر ابن قتيبة " وليس أخو الحرب إلا من اكتحل السهر وأحسن النظر وخاض الغمر، وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم دون أن يكلم أو يكلم، ويبلغ النفس عذرها في غير خرق يريده ولا عنف يقاسيه ؛ متوكلا في حزمه جازما في عزمه مستزيدا في علمه مستشيرا لأهل الرأي في إحكام رأيه، متحنكا بتجاربه، ليس بالمتجابن إقحاما ولا بالمتخاذل إحجاما، إن ظفر لم يزده الظفر إلا حذرا وإن نكب أظهر جلادة وصبرا، راجيا من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين و رجاهم إياها[2]"، لقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾[3].

تبين مما سبق قوة إيمانه بالله وصدق إخلاصه لعقيدته، حيث يذكر أن الوالي موسى كان ورعاً تقياً.

والنص الآتي يؤكد قوة إيمانه ويعكس صورة واضحة لمدى إيمانه بربه لعلمه إن النصر أولاً من عند الله فكان توكله على الله تعالى .

إن الخليفة سليمان بن عبد الملك[4] سأل الوالي موسى بن نصير، ما الذي كنت تفزع إليه في مكان حربك من أمور عدوك؟ قال: التوكل والدعاء إلى الله يا أمير المؤمنين.

---

(1) الكندي، ولاة مصر، ج1، ص18.

(2) الإمامة والسياسة، ج2، ص229.

(3) سورة هود, آية 49.

(4) وفي سنة (99هـ=717م)، توفي الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان الأموي الهاشمي, وأمه ولادة بنت العباس؛ وهي أم الوليد أيضا وكنيته أبو أيوب، ولي الخلافة بعد أخيه الوليد بن عبد الملك سنة ست وتسعين, وكان فصيحا لسنا جميلا حسن السيرة مفتاحا للخير (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص 240؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص272).

قال له سليمان: هل كنت تمتنع في الحصون والخنادق أو كنت تخندق حولك قال كل هذا ما أفعله قال: فما كنت تفعل قال كنت أنزل السهل وأستشعر الخوف والصبر وأتحصن بالسيف والمغفر وأستعين بالله وأرغب إليه في النصر[1].

اتصف الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير بالتقوى، حيث شهد أبيه أمام الخليفة الأموي حينما قال " اعرفه صواماً قواماً فعليه لعنة الله إن كان الذي قتله خيراً منه[2]".

ومما سبق نلاحظ بأن عبد العزيز بن موسى بن نصير، اتصف بصفات حميدة مثل الورع، والعزم، والقوة، كما كان إداريا عظيماً وقائداً، ومما يدل على ورعه، وحسن خلقه مما ذكر أبوه موسى بن نصير، أمام الخليفة سليمان بن عبد الملك، عندما رأى رأس ابنه أمامه بعد أن جز فقال:" هنيئاً له الشهادة ! قتلتم والله صواما قواما[3].

خامساً: الصدق والأمانة عند حكام الولاة:

إن سبب اختيار الخليفة عمر بن عبد العزيز، لإسماعيل بن عبيد الله والسمح بن مالك الخولاني؛ صفات الصدق والأمانة اللتين كانا يتصفان بها[4] أنه كان من عادة خلفاء بني أمية، أن لا يقبلوا شيئا من خراج ولاياتهم التي يرسلها عمالهم لهم إلا بعد أن يحلف عشرة على الأقل من أفاضل الولاية، وأعيانها والجند منها أن هذا المال الوارد للخزينة ما أخذ إلا بحقه، وهو المال المتبقي بعد ما أخذت نفقات احتياجات الولاية المرسلة لهذا المال[5].

وهي قصة حدثت في خلافة سليمان بن عبد الملك، بحضور عمر بن عبد العزيز، عندما جاءت أموال أفريقية في إحدى السنين، وجاء معها حسب العادة المتبعة آنذاك عشرة من أعيان الجند في الولاية، منهم إسماعيل بن عبيد الله، والسمح بن مالك الخولاني، فحلف ثمانية من العشرة المرسلين من الولاية على صحة المال وشرعيته، وحلال جبايته وأنه ما أخذ إلا بحقه، وامتنع من

---

(1) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص258، ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص147 .

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ج 1، ص 355؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 2، ص 334.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 300.

(4)اشتيوي، أشرف يعقوب أحمد، الأندلس في عصر الولاة، ص56.

(5) مجهول، أخبار، ص22–23 .

الحلف كل من السمح بن مالك، وإسماعيل بن عبيد الله، فأعجب بهما، وبأمانتهما وقرر أن يستعملها على الولايات[1] .

وحينما أصبح عمر بن عبد العزيز، خليفة المسلمين في سنة (99هـ= 717م)[2]، ولى إسماعيل بن عبيد الله على أفريقية، والسمح بن مالك الخولاني على الأندلس، وكان ذلك على رأس سنة (100هـ= 718م)[3].

وأوصاه بأن يسير في حكمه على طريق الحق، والفضيلة وأن يترحم ويرفق بالناس[4].

سادساً: العدل والتسامح الديني عند حكام الأندلس:

أعطى المسلمون العهود لأهل الذمة، وارتبطوا بالحكم العربي معاملة خاصة باتفاقيات، ومعاهدات تنظم الجزية التي يؤدونها؛ مقابل اضطلاع المسلمين بالدفاع عنهم، وإبقائهم على أوضاعهم القديمة وتحفظ عليهم دينهم، وتصون حرمة أموالهم، وتمنحهم مقداراً كبيراً من الحريات المدنية، والاجتماعية[5] .

تتجلى سياسة الولاة في الأندلس، من خلال معاهدة الفتح التي أبرمت بين عبد العزيز بن موسى بن نصير، وبين تدمير، حاكم شرق الأندلس، وهذه المعاهدة تتفق مع الروح الإسلامية التي تجلت في معاهدات الصلح التي عقدت زمن الخلفاء الراشدين[6].

أما بالنسبة للتسامح الديني فقد أعطى المسلمون المسيحيين، حريتهم الدينية، كاملة مقابل دفع الجزية، والخراج، على ما تقضي به الشريعة الإسلامية، وسووا بين المسيحيين كافة في تلك الحقوق، وامتدت مظاهر هذا التسامح فشملت الممتلكات[7].

---

(1) م.ن، ص23.

(2) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص39.

(3) مجهول، أخبار، ص23؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص39؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج3، ص 174.

(4)اشتيوي، أشرف يعقوب أحمد، الأندلس في عصر الولاة، ص56

(5) عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام، ج1، ص65.

(6) محمود، منى حسني، المسلمون في الأندلس، ص18 .

(7)م.ن، ص18.

تميز الولاة الذين أتوا بعد الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير، أمثال السمح بن مالك الخولاني، وعنبسة بن سحيم الكلبي، وعبد الرحمن الغافقي، بتلك السياسة المتسامحة نفسها، فالوالي السمح بن مالك الخولاني، وعنبسة بن سحيم الكلبي، فرض الجزية على النصارى وأن يلتزموا بأحكام أهل الذمة[1]، وأيضاًعبد الرحمن الغافقي، وعنبسة بن سحيم الكلبي، كانا يطوفان بالمقاطعات ينظران مظالم الناس من دون تمييز بين الأديان، وقد أعاد عبد الرحمن الغافقي، للمسيحيين الكنائس التي انتزعت من أيديهم، وكان يكفي المرء أن ينطق بالشهادة ليعفي من الجزية دون أن يكون ملزماً بمراعاة الدقة في فرائضه الدينية[2] .

ضرب عقبة بن الحجاج بن السلولي، المثل الأعلى في الأخلاق الإسلامية التي تقوم على أساس التسامح، وذكر عنه أنه كان صاحب بأس ونجدة، ونكاية بالعدو وشدة. وكان إذا أسر الأسير، لم يقتله حتى يعرض عليه دين الإسلام، ويقبّح له عبادة الأصنام. فيذكر أنه أسلم على يديه بهذا الفعل ألف رجل. وكانت ولايته خمسة أعوام وشهرين[3].

كان أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي، شجاعا كريما ذا رأي وحزم[4]، ضبط الأوضاع في الأندلس، واستشار قومس أهل الذمة، ويسمى أرطباس، حول قمع الفتنة في الأندلس فاقترح عليه أن يقوم بتوزيع الشاميين على جميع نواحي الأندلس، ففرقهم في البلاد وأنزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها، وسماها دمشق، وأنزل أهل حمص إشبيلية، وسماها حمص، لشبهها بها وأهل قنسرين حسان، وسماها قنسرين، وأهل الأردن، ريه وهي مالقة، وسماها الأردن، وأهل فلسطين شدونة، وهي شريش، وسماها فلسطين، وأهل مصر تدمير وسماها مصر[5].

أراء العلماء المستشرقين في التسامح الديني:

ويقول غوستاف لوبون: فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا دينا سمحا مثل دينهم . ويتحدث عن صور من معاملة المسلمين لغيرهم فيقول: وكان عرب إسبانيا

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص 377؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 21، ص 246.

(2) محمود، منى حسني، المسلمون في الأندلس، ص18.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 151؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 19.

(4) المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 237؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص153.

(5) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص153؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 237.

خلا تسامحهم العظيم يتصفون بالفروسية المثالية فيرحمون الضعفاء ويرفقون بالمغلوبين ويقفون عند شروطهم، وما إلى ذلك من الخلال التي اقتبستها الأمم النصرانية بأوربا منهم أخيراً[1].

ويقول هنري دي شامبون مدير مجلة "ريفي بارلمنتير "الفرنسية :لولا انتصار جيش شارل مارتل، الهمجي على العرب المسلمين في فرنسا، لما وقعت بلادنا في ظلمات القرون الوسطى، ولما أصيبت بفظائعها ولا كانت المذابح الأهلية التي دفع إليها التعصب الديني المذهبي، لولا ذلك الانتصار الوحشي على المسلمين في بواتييه، لظلت إسبانيا تنعم بسماحة الإسلام، ولنجت من وصمة محاكم التفتيش، ولما تأخر سير المدنية ثمانية قرون، ومهما اختلفت المشاعر والآراء حول انتصارنا ذاك، فنحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا في العلم، والفن، والصناعة، مدعوون لأن نعترف بأنهم كانوا مثال الكمال البشري في الوقت الذي كنا فيه مثال الهمجية[2].

وخير ما يقوله المستشرق كارديناس: " إن الفضل يرجع إلى تسامح الولاة، والأمراء الأوائل، وفي الحقبة الأولى من الحكم الإسلامي كان الشعبان المسلمون والمستعربون(النصارى) يعيشان جنباً إلى جنب عيشة حرة[3]".

(1)لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص720؛ بن ميمون الكناني، لحيدة والاعتذار، ج 1، ص35.

(2) ابن ميمون الكناني، الحيدة والاعتذار، ج 1، ص35.

(3) عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام، ج1، ص66.

المبحث الثاني

انحرافات حكام الأندلس في عهد الولاة عن الأخلاق الإسلامية

بالرغم من الأخلاق الحسنة التي تميز بها الحكام في عهد الولاة، إلا أنه حدثت بعض التجاوزات والانحراف عن الخط الأخلاقي الحسن الذي ساد، وقد ظلت تلك الانحرافات القليلة، التي تكررت في كل العهود تنخر في جسد الدولة القوية، إلى أن اسقطتها بعد ثمانية قرون، ولقد صدق ابن خلدون عندما قال:" إذا كان الملك رفيقا بهم متجأوزا عن سيئاتهم، استأمنوا إليه ولاذوا به وأشربوا محبته واستماتوا دونه في محاربة أعدائه فاستقام الأمر من كل جانب[1]، ومن هذه الانحرافات:

أولاً: الظلم:

ساد العدل بين حكام الأندلس، لكن مارس بعض الحكام مظالم، لا مسوّغ لها مهما أظهروا تسويغاً لها، فقد روى، أن عبد الملك بن قطن، كان والياً ظلوما جائرا في حكومته[2]، ولكن المقري لم يوضح طبيعة هذا الظلم، وهل كان موجهاً ضد مجموعة معينة من الناس في الأندلس، أم أنه كان ظلوماً ضدهم جميعاً؟ ولكن لقيت الأندلس تحت حكمه الكثير من ضروب العذاب، حتى انتشر الطمع، وتمت مصادرة أملاك الأغنياء[3].

بمعنى أن قسوة عبد الملك بن قطن، وشدته كانت فيما يبدو موجهة ضد العناصر الغنية، وكانت لصالح المستقرين الأوائل[4].

يضاف إلى هذا أن الرشوة انتشرت في البلاد، وكان بيت المال خاوياً تقريباً،؛ ونتيجة لذلك فقد عزل عبد الملك من منصبه[5].

---

(1) مقدمة ابن خلدون، ج2، ص575.

(2) المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 236.

(3) ذنون طه، عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي، ص304، 305؛ اشتيوي، أشرف يعقوب أحمد، الأندلس في عصر الولاه، ص89.

(4) م.ن، ص304، 305؛ اشتيوي، م.ن، ص89.

(5) ابن الأثير، ج5، ص181؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 236 ؛ ذنون طه، عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي، ص304، 305؛ اشتيوي، أشرف يعقوب أحمد، الأندلس في عصر الولاه، ص89.

ومن صور الظلم رفض عبد الملك بن قطن الفِهري، مناشدة بلج بن بشر، حيث إنه وصف له حال العرب المحاصرين في سبتة، وطلب منه أن يسمح لهم بالعبور إلى الأندلس لينقذ حياتهم من الهلاك، الا أن ابن قطن قد تغافل عنهم، وسره هلاكهم، وخافهم على سلطانه[1].حيث إنه شاور حاشيته، فنصحوه بعدم السماح لبلج، وأتباعه بدخول الأندلس[2]؛ فاشتدت الأحوال على بلج، وأتباعه حتى إنهم أكلوا الأعشاب والجلود[3]؛ فلما شاع خبر ضرهم عند رجال العرب أشفقوا عليهم فأغاثهم عبد الرحمن بن زياد الأخرم، وجهز قاربين، وجعل حمولتهما من الشعير، والأدم، وأرسلها إلى بلج بن بشر، وأتباعه[4]، وحينما علم عبد الملك بن قطن، ضربه سبعمائة سوط ثم اتهمه بعد ذلك بتغريب الجند عليه[5].

عندما ولى بلج بن بشر الأندلس، واستولى عليها، طلب منه الجند أن يسلم لهم عبد الملك بن قطن، ليقتلوه بدلاً من الغساني [6]. فأخرجه الجند من داره بقرطبة[7]، كأنه فرخ نعامة من الكبر، وهم ينادونه: أفلت من سيوفنا يوم الحرة!! ثم أردت، إخراجنا إلى القتل[8] ثم قتلوه، وصلبوه، وصلبوا خنزيراً عن يمينه، وكلباً عن شماله[9]؛ عند رأس القنطرة بقرطبة[10].

---

(1) مؤلف مجهول، أخبار، ص37، 38 ؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 20؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 22؛ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، صذ167.

(2) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص41، 42.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 458.

(4)مؤلف مجهول، أخبار، ص 38 .

(5) المقري، نفح الطيب، ج3، ص 20؛ الناصري، الاستقصالأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، ص167.

(6) مجهول، أخبار، ص41 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 152.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج4 ، ص 459 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1 ، ص152.

(8) م.ن ، ج 1 ، ص 152 ؛ م.ن، ج4 ، ص 459.

(9) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 19؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 152؛ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، ص 167؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص42.

(10) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص42؛ بن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج1، ص 179.

فهكذا كانت الأحقاد عميقة في النفوس بين العرب الحجازيين، والشاميين!!وكان من الممكن حقن تلك الدماء لو ترك عبد الملك بن قطن حياً، بالرغم من أنه الذي كان في التسعين من عمره!! لكنه الحقد العربي القبلي عندما يكون بعيداً عن الإسلام!! وانهم العرب عندما تتحكم فيهم عقليتهم الجاهلية، وتتفوق في نفوسهم على أخوة الإسلام!![1].

لم يكن الوالي ثعلبة بن سلامة العاملي، أقل ظلماً من عبد الملك بن قطن الفهري، حيث قام في أثناء ولايته باصطهاد العرب والبربر، فقام بسبيهم وكان يبيع الشيوخ والأشراف لمن يُنقِص، لا لمن يزيد، وكان فيهم عليُّ بن الحصين، والحارث بن أسد من أهل المدينة، فابتدأ المنادي عليهما بعشرة دنانير؛ فلم يزل ينادي من ينقص؟ حتى باع أحدهما بعود، والآخر بكلب[2]!!.

وكان طبيعياً أمام هذا السلوك غير الإسلامي، وغير الأخلاقي، أن تعم الفوضى أنحاء الأندلس، وأن تعود الحرب كلما حانت الفرصة بين القحطانية، والعدنانية[3].

بعد معركة شقندة، وقع في يد يوسف الفهري، والصميل بن حاتم، عدد كبير من أسرى اليمنيين من أتباع أبي الخطار، وابن حريث، ثم أتى بالأسرى وقعد لهم الصميل، على باب جامع قرطبة المعروف سابقا قبل الفتح الإسلامي بالكنيسة[4]، وبلغ ما قتله من هؤلاء قرابة السبعين، فلما رأى ذلك قاسم بن فلان أبو عطا بن حمد المرى، قام إليه فقال: له أبا جوش أغمد سيفك، وراجع سيفك، قال له: أقعد أبا عطاء فهذا عزك، وعز قومك، فجلس ولم يغمد السيف ثم قام إليه فقال له: يا عرابي، والله إن تقتلنا إلا بعداوة صفين، لتكفن أو لأدعون بدعوة شامية فأغمد سيفه، وأمن الناس على يدي أبي عطاء بعد بلاء عظيم[5].

ثانياً: العصبية:

لقد ورد في القرآن الكريم، والسنّة النبوية آيات، وأحاديث كثيرة تأمر بالاجتماع والوحدة، وتنهى وتحذر عن الفرقة والعصبية الجاهلية، ومن ذلك قوله عز وجل:﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا**

---

(1) عويس، عبد الحليم، العصبية القومية، ص31، 32 .

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 153.

(3) عويس، عبد الحليم، العصبية القومية، ص34.

(4) مجهول، أخبار، ص61.

(5) م.ن، ص61.

تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [1]

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾ [2].

وضرب لنا النبي الكريم أروع الأمثلة على ما ينبغي أن يكون عليه حال المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَدَاعَى له سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى[3]" .

وقال صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية[4]".

1. النزاع بين العرب والبربر:

بدأ النزاع بين العرب والبربر، في ولاية يزيد بن أبي مسلم[5] الوالي على أفريقية، سنة (101هـ=720م)، في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك[6]، كان الوالي يزيد بن أبي مسلم،

---

(1)سورة آل عمران، آية 103.

(2)سورة الحجرات، آية13.

(3) البخاري، صحيح البخاري, ج 5, ص 2238؛ مسلم، صحيح مسلم، ج 4، ص 1999.

(4)أبو داود، سنن أبي داود، ج4 ،ص 332؛ البيهقي، الآداب للبيهقي، ج 1، ص 210.

(5) وولي الخلافة بعده يزيد بن عبد الملك, فولى على أفريقية يزيد بن أبي مسلم, مولى الحجاج بن يوسف وصاحب شرطته. و قدم إلى أفريقية والياً عليها يزيد بن أبي مسلم، وكان ظلوماً غشوماً، وكان البربر يحسنونه فقام على المنبر خطيباً فقالأني رأيت أن أرسم اسم حرسي في أيديهم كما نصنع ملوك الروم يحرسها فأرسم في يمين الرجل اسمه وفي يساره حرسي, ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس, فإذا وقفوا على أحد أسرع لما أمرت به (فلما سمعوا ذلك منه أعني حرسه اتفقوا على قتله, فلما خرج من داره إلى المسجد لصلاة المغرب قتلوه في مصلاه. (ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 238).

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص 233؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 10، ص 235؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 24، ص 32.

متعصباً للعرب، فاستبد البربر، واستخدم الشدة معهم[1]، وصادر أموالهم، وسبى نساءهم البربريات[2].

بعد إعلان البربر ثورتهم في بلاد أفريقية، بزعامة ميسرة المدغري أو المطغري[3]، بلغ أهل الأندلس، نبأ ثورة البربر، في أفريقيا، وتسامعوا بها، فانتفضت البلاد، وعمت أرجاءها الفوضى، ودب الذعر في نفوس العرب، وثار أهل الأندلس على واليهم عقبة بن الحجاج السلولى[4]، حيث خلعوه [5] وقيل قتلوه، وولوا مكانه عبد الملك بن قطن الفهري، سنة (122هـ=739م)، وهي الولاية الثانية له[6].

بدأت الثورة البربرية قي الأندلس ضد العرب، وتجمع البربر حول زعيمهم ابن هدين[7]، وقيل زقطرتق[8] فاخرجوا عرب جليقية وقتلوهم، وأخرجوا عرب استرقة، والمدائن التي خلف الدروب، فلم يرع ابن قطن إلا فلهم قد قدم عليه، وانضم عرب الأطراف كلها إلى وسط الأندلس[9]، إلا ما كان من عرب سرقسطة وثغرهم فإنهم كانوا أكثر من البربر، فلم يهيج عليهم البربر فاخرج إليهم عبد الملك جيوشاً، فهزموها، وقتلوا العرب في الآفاق[10] ، فلما رأى ذلك وخاف أن يلقى ما لقى أهل طنجة[11]، وبلغه إعداد البربر له فلم ير شيئا أعز له من الاستمداد بأهل الشام فبعث لهم السفن[12].

---

(1)ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 240.

(2) م.ن، ج 6، ص 144.

(3) ميسرة المدغري، من قبيلة مدغره البربرية، عرف بالحقير أو الحقور بائع الماء(مجهول أخبار، ص28؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص40).

(4) مجهول أخبار، ص28، 29 ؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص40 .

(5)النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 21، ص 238؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 458؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 19.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 151.

(7) مجهول أخبار، ص38.

(8) مجهول، فتح الأندلس، ص31.

(9)مجهول، أخبار، ص38.

(10)م.ن، ص38.

(11) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 20.

(12) مجهول، أخبار، ص38 ؛ مجهول، أخبار، ص38.

قرر عبد الملك بن قطن الفهري، السماح لبلج بن بن بشر القشيري[1]، وأصحابه المحاصرين في المغرب، بدخول الأندلس[2]، واشترط عليهم ألا يطول مقامهم في الأندلس، سوى عام واحد فقط، ثم يبارحوا فور انتهائهم من مهمتهم[3]، وحتى يضمن عبد الملك بن قطن الفهري، تنفيذ القرار، طلب منهم إعطاءه عشر رهائن من الشاميين، أخذهم وأنزلهم جزيرة أم الحكيم، قرب الجزيرة الخضراء[4]. واشترط بلج بن بشر القشيري، على عبد الملك بن قطن الفهري، ان يتم نقل العرب الشاميين على مراكب أهل الأندلس دفعة واحدة إلى شمال أفريقية بعد الانتهاء من تلك المهمة[5].

قسم البربر أنفسهم إلى ثلاثة أقسام، قسم يهاجم طليطلة، وقسم يهاجم قرطبة، والآخر الجزيرة الخضراء؛ بهدف مهاجمة الأسطول الأندلسي، بدأ بلج بن بشر القشيري، تنفيذ مهمته فهاجم جماعة البربر بقيادة رجل يدعى زناته، الذي تمرد مع جماعته على عبد الملك بن قطن الفهري، في كورة شذونة[6]، فلم يكن العرب فيهم إلا نهضة، حتى أبادوهم، وأصابوا أمتعتهم ودوابهم وسلاحهم، فصلحت أحوال أصحاب بلج، وانتعشوا، وأصابوا الغنائم[7]. ثم نهضوا مع عبد الملك إلى قرطبة؛ ثم ساروا بأجمعهم إلى جهة طليطلة[8]، وقد اجتمع معظم البربر في مناطق

---

(1) بلج بن بشر القشيري، من أشراف الطالعة البلجية، وهم من عرب حمص من أرض الشام(لسان الدين، الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 2، ص 61؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج2، ص34؛ الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج3، ص14).

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص 120؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 458.

(3)ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 242؛ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، ص 167؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 120؛ مجهول أخبار، ص38؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 312.

(4)ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 120؛ مجهول أخبار، ص38.

(5) مجهول أخبار، ص38؛ ذو النون طه، عبد الواحد، الفتح، ص385.

(6) ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 120.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4 ، ص 312.

(8) ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 120.

أندلسية متجهين نحو قرطبة، عابرين نهر تاجه[1]وحلقوا رؤوسهم، ورفعوا المصاحف اقتداء بقائدهم ميسرة المدغري، لكي يعرفوا أنفسهم ولا يختلطوا بغيرهم[2].

فكانت هزيمتهم العظمى في مدينة طليطلة، عند وادي سليط، بعد أن زحف عبد الملك وبلج إليهم بعرب الأندلس، حاشا عرب سرقسطة وثغورها، وزحف البربر بأجمعهم، فهزمهم العرب، وقتلوا منهم في الهزيمة آلافا[3].

وبعد أن تم هزيمة البربر، والسيطرة على مقاليد الأمور في الأندلس، رجعت الجيوش العربية إلى مدينة قرطبة[4]، وقال عبد الملك بن قطن لبلج بن يشر، اخرجوا من الأندلس على ما شورطتم عليه فقال بلج: احملنا إلى ساحل البيرة أو ساحل تدمير، فقال لهم عبد الملك: ليست لنا مراكب إلا بالجزيرة فقالوا له: إنما تريد أن تردنا إلى البربر ليقتلونا في بلادهم، فلما ألح عليهم في الخروج، نهضوا إليه؛ فأخرجوه من قصر قرطبة[5].

وهذا ما توقعه عبد الملك بن قطن، وهو أن يرفض بلج بن بشر وأصحابه الخروج من الأندلس، فقال بلج لعبد الملك: " تعرضنا لبربر طنجة، اقذف بنا في لجة البحر أهون علينا[6]" .

تحول النزاع في الأندلس من نزاع بين العرب والبربر، إلى نزاع بين العرب أنفسهم، النزاع بين الفاتحين الأوائل(البلديين)، وبين العرب الشاميين بقيادة بلج بن بشر .

2. الصراع بين الفاتحين الأوائل والشاميين:

بعد أن ألح عبد الملك بن قطن الفهري، على بلج بن بشر، في الخروج من الأندلس، نهضوا إليه؛ فأخرجوه من قصر قرطبة إلى داره بالمدينة. ودخل بلج القصر عشية يوم الأربعاء في

---

(1) مجهول، أخبار، ص38.
(2) م.ن، ص40 .
(3) ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 120.
(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4 ، ص 312؛ مجهول، أخبار، ص40.
(5)ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 152؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4 ، ص 312.
(6)مجهول، أخبار، ص41.

صدر ذي القعدة في سنة (122هـ= 739م)[1]، وقد بايعه أصحابه، ثم نزل في دار يقال لها دار أبى أيوب[2] .

وفي تلك الظروف المضطربة في الأندلس، قام عبد الملك بن قطن بقطع الطعام، والشراب عن الرهائن العشرة الذين أخذهم عبد الملك بن قطن من بلج بن بشر، حتى يضمن خروجه من الأندلس بعد انتهاء مهمته في القضاء على ثورة البربر في الأندلس[3]، وعندما تم قطع الماء والطعام عن الرهائن العشرة في جزيرة أم الحكيم، فمات رجل من غسان عطشا، وكان من الرهائن، ومن أشراف دمشق[4].

لما ملك بلج بن بشر الأندلس، واستولى عليها، طلب منه الجند أن يسلم لهم عبد الملك بن قطن، ليقتلوه بدلاً من الغساني [5]. فأخرجه الجند من داره بقرطبة[6]، كأنه فرخ نعامة من الكبر، وهم ينادونه: أفلت من سيوفنا يوم الحرة؛ فطلبنا بثأرنا في أكل الدواب والجلود ثم أردت إخراجنا إلى القتل[7] ، ثم قتلوه، وصلبوه، وصلبوا خنزيرا عن يمينه، وكلبا عن شماله[8]؛ عند رأس القنطرة بقرطبة[9].

---

(1)ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج1، ص 152؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج 4 ، ص 312.

(2)مجهول، أخبار، ص41.

(3) ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 152.

(4) مجهول، أخبار، ص41 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 152.

(5) م.ن، ص41 ؛ م.ن، ص 152.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4 ، ص 459 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 152.

(7) م.ن، ج 1 ، ص 152 ؛ م.ن، ج 4 ، ص 459.

(8) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 19؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 152؛ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، ص 167؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص42.

(9) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص42؛ بن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج1، ص 179.

فقد كان لعبد الملك بن قطن الفهري وولدان اثنان: هما قطن، وأمية[1]، اللذان عز عليهما ما فعله بلج بوالدهما، فبدأا يعدان العده للانتقام منه وأتباعه لفعلته بوالدهم عبد الملك بن قطن[2]، وكان قطن، وأمية قد هربا من قرطبة بعد مقتل والدهما، فذهب أحدهما إلى مارده، وذهب الآخر إلى سرقسطة[3].

بدأ قطن، وأمية أبناء عبد الملك يعدان العدة للانتقام من بلج وأتباعه، فاتخذ العرب البلديون بقيادة قطن وأمية، وانضم إليهم عدد كبير من البربر، مما يدل على أن البربر لهم ميول، رغبة في الانتقام من أهل الشام[4]، وانضم إليهم الوالي عبد الرحمن بن علقمة اللخمي[5]، عامل عبد الملك بن قطن في منطقة أربونة[6]. وأيضا انضم إلى جيش أبناء عبد الملك بن قطن فرقة من أتباع بلح بن بشر بقيادة عبد الرحمن[7] بن حبيب[8].

---

(1)ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج1، ص 179 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص 153؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 236.

(2) مؤنس، حسين، فجر الأندلس، ص357.

(3)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4 ، ص 459؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1،ص 152.

(4) ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1 ، ص 152؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 21.

(5) عبد الرحمن بن علقمة اللخمي من قبيلة لخم اليمنية، صاحب أربونة وكان فارس الأندلس، عرف بمهارته في الرمي، تمكن من قتل بلج بن بشر. (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص42؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 21) .

(6) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 21.

(7) هو عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، المعروف بالصقلبي؛ فنزل كورة تدمير؛ فاستقر بها ؛ وإنما لقب بالصقلبي لأنه كان طويلا، أشقر، أزرق، أمعر. وهو كبير الجند، وكان من أصحاب بلج بن بشر، فلما صنع بابن عمه عبد الملك بن قطن الفهري، ما صنع فارقه فانحاز فيمن يطلب ثأره(المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 21؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 4، ص 296 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 163).

(8) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 21.

استعد أبناء عبد الملك بن قطن الفهري، لمواجهة بلج استعداداً تماماً، حتى أنهما جمعا جيشاً بلغ عدده مائة ألف مقاتل[1]، وقيل انه أربعين ألفا فقط[2]بينما بلج بن بشر خرج إليهم بجيش بلغ تعداده عشرة آلاف رجل من الأمويين، والشاميين[3].

والتقى الجيش الشامي بقيادة بلج بن بشر، مع جيش ابني عبد الملك وعبد الرحمن بن علقمة اللخمي، وأتباعهما من البلديين والبربر في موضع بالأندلس يقال له أقوة برطورة من إقليم ولبة[4] واقتتل االطرفان قتالا شديداً، انهزم فيه ابنا عبد الملك بن قطن ومن تحالف معهما[5] ، إلا أن بلج بن بشر أصيب في أثناء المعركة بسهم، كان قد رماه به عبد الرحمن بن علقمة اللخمي، فمات في اليوم التالي متأثراً بجراحه التي أصيب بها[6] في سنة (124هـ= 741م)[7]، وبعد مقتله تولى أمر الأندلس ثعلبة بن سلامة العاملي[8]، سنة (124هـ= 741م)[9].

قام ثعلبة بن سلامة العاملى بقمع ثورات البربر في ماردة، وغيرها من مدن الأندلس الأخرى، فغزاهم وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر منهم ألف رجل، وسبى ذريتهم وعيالهم[10]، وبعدها توجه إلى

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 21؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 152.

(2) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص41.

(3)م.ن، ص41.

(4)م.ن، ص41.

(5) ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 152؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص42.

(6) مجهول، أخبار، ص44 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 152؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص42 .

(7) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 121.

(8) مجهول، أخبار، ص41 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 1 ، ص 152؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص42 .

(9) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 121.

(10) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 22 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 121.

قرطبة، وأسر عشرة آلاف أو يزيدون، وأساء السيرة في العرب البربر، فحينما تمكن من إخماد وإخضاع القبائل الثائرة ضده في الأندلس، قام بسبيهم وعاملهم معاملة سيئة[1].

وبعد الاضطرابات والفتن في الأندلس، وصل حسام بن ضرار الكلبي أبو الخطار[2] أميراً عليها، من قبل حنظله بن صفوان عامل أفريقية[3] فأظهر العدل والإنصاف، وأطلق سراح الأسرى والسبي[4]، وتوحَّدت كلمة المسلمين في الأندلس، وأنزل أهل الشام في الكُوَرِ[5]، ففرق

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 22 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 121.

(2) أبو الخطار الكلبي هو حسام بن ضرار بن سلامان بن جشم ابن جعول بن ربيعة، كان فارساً وقائداً جليلاً في أفريقية، وكان شريفاً في قومه مع صفاحة وبراعة وكان ولي في أفريقية ولايات كبيرة في أيام بشر بن صفوان فعزله عبيدة ونكل به فقال طويل:

أفأتم بني مروان قيساً دماءنا	**وفي الله إن لم يعدلوا حكم عدل**
كأنكم لم تشهدوا لي وقعة	**ولم تعلموا من كان قبل له الفضل**
تعاميتم عنا بعين جلية	**وأنتم كذا ما قد علمنا لنا فعل**

وبعث بهذه الأبيات مع الأبرش الكلبي فدخل بها إلى الخليفة هشام بن عبد الملك فأنشدها فغضب هشام وكان ذلك سبب عزل عبيدة عن أفريقية والمغرب.

(الكلبي، هشام، نسب معد واليمن الكبير، ج 1، ص 126؛ الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، المؤتلف و المختلف في أسماء الشعراء، ج 1، ص 39؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 66 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 2، ص 298؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 24، ص 30؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج 2، ص316؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص 66).

(3) تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 282؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 153؛ ابن الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ج 1، ص 369؛ الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج 1، ص 67.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 66؛ تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 282، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 473.

(5) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 1، ص 21؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 66؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 153؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 64؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 473.

جموع الفتن، ورد الأمور إلى الاستقامة[1]، وأخرج ثعلبة بن سلامة في سفينة إلى أفريقية، ثم أخرج بعده عبد الرحمن بن حبيب[2] من الأندلس، إلى أفريقية بعد سنة (125هـ=743)[3].

3. الصراع بين القيسية واليمنية:

بعد أن تولى حسام بن ضرار الكلبي أبو الخطار الأندلس هدأت الفتنة، و عاد الاستقرار والهدوء النسبي إلى الأندلس إذ سرعان ما قامت في الأندلس، حروب وعصبيات داخلية في زمن الدولة الأموية، وهي حروب العصبية اليمنية، والقيسية، أو المضريّة، وفي الأندلس نجد القبائل الحجازية والشامية، تنقسم على نفسها إلى هاتين العصبيتين، فأصبح أبو الخطار متعصبا لليمنية[4]، ضد المضرية، وكان أبو الخطار زعيم اليمنية في الأندلس بينما الصميل بن حاتم[5] زعيم القيسية[6].

وكان سبب تلك الفتنة سبباً بسيطاً، أن أبا الخطار بلغ به التعصب لليمانية أن اختصم عنده رجل من قومه مع خصم له من كنانة كان أبلج حجة من ابن عم أبي الخطار، فمال أبو الخطار مع ابن عمه، فأقبل الكناني إلى الصميل بن حاتم الكلابي، أحد سادات مضر فشكا له الكناني ما لحق به عند أبي الخطار[7].

---

(1) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج 1، ص 96؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 66؛ المراكشي، المعجب، ج 1، ص 15.

(2) ابن الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ج 1، ص 369؛ تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 282؛ الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج 1، ص 67.

(3) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج 1، ص 96؛ تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج 1، ص282.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 153 ؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 64.

(5) الصميل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر بن ذي الجوشن الضبابي الكلبي، وهو من أشراف عرب الكوفة، جده شمر أحد قتلة الحسين بن علي، الذي قام برأسه على يزيد بن معأوية . (ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص 67؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص67؛ بن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج 2، ص 287؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 153).

(6) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 65؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 153.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 121 ؛ المقري، نفح الطيب، ج 3.

فذهب الصَّمِيل إلى أبي الخطَّار، فأهان أبو الخطَّار الصَّمِيلَ، وضربه حتى مالت عمامته، فلما خرج قال له بعض من على الباب أبا جوشن ما بال عمامتك مائلة فقال: إن كان لي قوم فسيقيمونها[1] .خرج الصميل من مجلس أبي الخطار وهو غاضب، ونار العصبية تغلى في نفسه، ولا يرى سوى طلب الثأر والانتقام[2]. فذهب إلى داره في قرطبة، ثم بعث إلى خيار قومه؛ فشكا إليهم ما لقى؛ فقالوا: نحن تبع لك فقال:"والله ما أحب أن أعرضكم للقضاعية، ولا لليمانية ولكني سأتلطف، وأدعو إلب مرج راهط، وأدعو لخما وجذاما، وتقدم رجلا يكون له الاسم ولنا الحظ[3]".

واستطاع الصميل بن حاتم، أن يجذب بعض الشخصيات اليمنية الساخطة على أبي الخطَّار من اللخميين والجُذَاميين، كان منهم ثَوَابَة بن سلامة العَامِلِيّ الجُذَامي، الذي وعده الصَّمِيل بالولاية على الأندلس إن تم عزل أبي الخطَّار [4].

ومن هنا يتضح أن ثوابة بن سلامة، لم يكن الرجل السهل، فقد استطاع بذكائه، وحنكته، أن يشكل حلفاً قبلياً ضد أبي الخطار، وبرئاسته، واتفق هؤلاء جميعا على عزل أبي الخطار، عن ولاية الأندلس[5].

علم أبو الخطار بأنباء الحشودات والتحالفات القبلية التي حاكها الصميل بن حاتم، فاستعد للقاء الشامبين القيسية[6]، وكان أبو الخطار مقيما في قرطبة، فاستخلف عليها أحد عماله، واستعد للقاء الصميل وأتباعه[7]، وصار حتى وصل إلى منطقة قريبة من وادي لكة في الأندلس[8]،

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 23؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 153؛ مجهول، أخبار المجموعة، ص57؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 121؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص61 .

(2) م.ن، ص 23؛ م.ن، ص 153؛ م.ن، ص 121.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 153.

(4) م.ن، ص 153؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 121.

(5) مجهول، أخبار، ص57.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 121.

(7)المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 24.

(8) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 24.

نشب القتال بين الطرفين فتقاعست معظم القبائل اليمنية عن أبناء عمومتهم، فتركوا أبا الخطار في قلة مع جنوده وولوا مدبرين، أما هو فقد صمد قليلاً ثم لجأ إلى الفرار [1].

وفي أثناء هروبه ومطاردته وقع أسيراً في يد جيش الصميل بن حاتم، فأسره ثوابه بن سلامة، وأدخله قصر قرطبة، مقيداً بالسلاسل والقيود[2]. وكان بقرطبة أمية بن عبد الملك بن قطن فأخرج منها خليفة أبي الخطار وانتهب ما وجد لهما فيها[3].

بعد انتصار الصميل بن حاتم، تولى ثوابه بن سلامة، أمر الأندلس[4]تنفيذاً للاتفاق بينه وبين الصميل بن حاتم[5].

استمرت ولاية ثوابه بن سلامة، على الأندلس سنة واحدة[6]، وفي رواية أخرى سنتين[7]، وفي أثناء ولاية ثوابة بن سلامة، قام عبد الرحمن بن حسان الكلبي[8]، بجمع مائتي رجل[9]، وثلاثين فارساً[10]، ورواية أخرى أربعين فارساً[11]، وهاجم قصر قرطبة، وأنقذ أبا الخطار من سجنه، وسار به إلى لبلة غربي الأندلس[12].

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 121.

(2)ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص152؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 24؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص15.

(3)م.ن، ج5، ص15.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص25 ؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 24.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 121؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص237؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص25 .

(6) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص25 .

(7)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 40.

(8)م.ن، ص15؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 24.

(9) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 154؛ مجهول، أخبار، ص58.

(10)المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 24.

(11) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 154؛ مجهول، أخبار، ص58.

(12)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص15؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 154؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 24.

وبعد أن استرد أبو الخطار حريته، قام مستنصراً اليمنية، طالبا منهم نصرته في حربه مع المضرية[1]، فاجتمع تحت إمرته خلق كثير فأقبل بهم حتى وصل مدينة قرطبة، وخرج إليه ثوابه بن سلامة، بمن معه من اليمانية والمضرية مع الصميل[2] ، فلما تقاتلت الطائفتان نادى رجل من مضر قال: " يا معشر اليمانية ما بالكم تتعرضون للحرب على أبي الخطار، وقد جعلنا الأمير منكم يعني ثوابة فإنه من اليمن، ولو أن الأمير منا لقد كنتم تعتذرون في قتالكم لنا، وما نقول هذا إلا تحرجا من الدماء ورغبة في العافية للعامة، فلما سمع الناس كلامه قالوا صدق الله والأمير منا فما بالنا نقاتل قومنا فتركوا القتال، وافترق الناس فهرب أبو الخطار فلحق بباجة، ورجع ثوابة إلى قرطبة، فسمي ذلك العسكر عسكر العافية [3].

وبتلك الطريقة استطاع الوالي ثوابة بن سلامة، بهذا الاسلوب الذكي مشتركا مع الصميل بن حاتم، أن يفسدا على أبي الخطار خطته وتحالفه، وأن يكسبا هذا الموقف بسهولة ويحقنا دماء العرب[4]، لم تدم ولاية ثوابة بن سلامة طويلا، فقد مات بعد عام واحد من انتصاره على أبي الخطار، سنة 129هـ، 746م[5]، بعد ذلك عمت الأندلس، وأفريقية، موجة من الفوضى والاضطرابات[6]، كان سببها التنازع على ولاية الأندلس، حتى ان الأندلس بقيت بعد وفاة ثوابة بن سلامة، قرابة أربعة أشهرمن دون وال[7]، فقد تنازع على الولاية بعد وفاة ثوابة بن سلامة، شخصان هما عمرو بن ثوابة بن سلامة ابن الوالي المتوفى، أما الآخر فيدعي يحيي بن حريث من زعماء جذام اليمنية[8]، فاتفقت جماعة في الأندلس على تعيين عبد الرحمن بن كثير

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 24؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص152.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص152.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص15؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 24.

(4) مؤنس، حسين، فجر الأندلس، ص277.

(5) مجهول، أخبار، ص57.

(6)المراكشي، المعجب، ج 1، ص 15؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 154.

(7)ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 153؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 40.

(8) مجهول، أخبار، ص57، 58.

اللخمي[1]، ليدبر الأمور بالأندلس بصورة مؤقته، إلى أن يتم الاتفاق على تعيين وال يدير أحوالها[2].

وبسبب اختلاف الناس فالمضرية أرادت أن يكون الأمير منهم واليمانية أرادت كذلك أن يكون الأمير منهم فبقوا بغير أمير[3]، وبسبب الفوضى والاضطرابات في الأندلس قد تم اتفاق بسيط بين جند الأندلس على اقتسام الإمارة بين االمضرية، واليمنية ومداولتها بين الجندين سنة لكل منهما[4]. فاقترح الصميل بن حاتم، بان يكون الوالي من قريش، فرضوا كلهم بذلك، فاختار لهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري[5]، واتفقوا على أن يعطي منافسه يحيى بن حريث كورة رية؛ فتركت له طعمة[6]، أقام يوسف الفهري في مدينة البيرة، فكتبوا إليه بما اجتمع عليه الناس من تأميره فامتنع، فقال له الناس: إن لم تفعل وقعت الفتنة ويكون إثم ذلك عليك فأجاب حينئذ وسار قرطبة فدخلها وأطاعه الناس[7] .

بعد أن اجتمع الناس على يوسف الفهري، استقام له الأمر، غدر يحيى بن حريث، وعزله عن كورة رية؛ فغضب ابن حريث[8]، وكاتب أبا الخطار. فقال له أبو الخطار: أنا الأمير المخلوع! فأنا أقوم بالأمر فقال ابن حريث: بل أنا أقوم به؛ لأن قومي أكثر من قومك ، فلما رأت جذام ما يدعو إليه ابن حريث، قدموه وأجابوه؛ فأصفقت يمن الأندلس وحميرها وكندتها على تقديمه والطوع له، وانحازت مضر وربيعة إلى يوسف بقرطبة حضرة الملك[9]، وسار أبو الخطار إلى

---

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 154.

(2)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 121؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 153.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 40.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 154، المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 238.

(5)المراكشي، المعجب، ج 1، ص 15 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 40؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 154؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 238.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 154.

(7)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 40؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 154.

(8) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 154.

(9)م.ن، ج 1، ص 154.

شقنده من قرى قرطبة، فاجتمعت إليه اليمانية، واجتمعت المضرية إلى الصميل[1]، وتصادمت الفرقتان؛ فلا تسمع إلا صهيلا وصليلا، ولا ترى إلا قتيلا، حتى تكسرت الخطية وتفللت المشرقية، والتفت الساق بالساق، وانضمت الأعناق إلى الأعناق؛ فلم يعهد حرب مثلها في المسلمين، بعد حرب الجمل وصفين، إلى أن انهزمت اليمانية مع أبي الخطار[2]، ومضى أبو الخطار منهزما، فاستتر في رحى كانت للصميل فدل عليه فأخذه الصميل وقتله[3].

وبعد هذا يقدم لنا ابن عذاري لوحة عنصرية أخرى، فعندما أخذ العدنانيون أبا الخطار زعيم القحطانيين، وأرادوا قتله، قال: ليس على فوت!! ولكن عندكم ابن السوداء!! ابن حريث. فدلهم عليه، وقتلا جميعا[4]. وكان ابن حريث يحقد على أهل الشام ويقول: لو أن دماء أهل الشام سقيت، لشربتها في قدح!!، فلما استخرج من تحت الرحى ليقتل، قال له أبو الخطار: يا ابن السوداء!! هل بقى في قدحك شيء لم تشربه؟ ثم قتلا. وأتى بالأسرى؛ فقعد لهم الصميل، وضرب أعناقهم جميعا[5].

اعتبرت تلك المعركة خاتمة الوالي أبي الخطار، الذي جاء للأندلس ليصلح أمورها فزادها سوءاً على سوء، وتصاعدت الفتنة في عهده، وانتهت الأمور بمقتله[6]، وأصبحت لأندلس تحت سيطرة، ونفوذ يوسف الفهري، والصميل[7].

---

(1)ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 154.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 154.

(3)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 40.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 154 ؛ مجهول، أخبار، ص60.

(5) م.ن، ص 154.

(6) مؤنس، حسين، فجر الأندلس، ص232.

(7) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 154.

الفصل الثالث

حكام الأندلس في عهد الإمارة بين الالتزام بالأخلاق الإسلامية والتفريط

- **المبحث الأول**: مظاهر التزام حكام الأندلس في عهد الإمارة بالأخلاق الإسلامية.
- **المبحث الثاني**: انحرافات حكام الأندلس في عهد الإمارة عن الأخلاق الإسلامية.

المبحث الأول

مظاهر التزام حكام الأندلس في عهد الإمارة بالأخلاق الإسلامية

كان ولاة الأندلس في العهد الأموي، يعينون من قبل الخلافة أو من قبل والي القيروان[1]، فلما اضطرب أمر بني أمية في سنة (126هـ= 742م)، بقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك[2]، وانشغلوا عن مراعاة أقاصي البلاد وقع الاضطراب بأفريقية، والاختلاف في الأندلس أيضاً بين القبائل، ثم اتفقوا بالأندلس على تقديم قرشي يجمع الكلمة إلى أن تستقر الأمور بالشام لمن يخاطب، فقدموا يوسف بن عبد الرحمن الفهري أميراً عليهم فسكتت به الأوضاع واتفقوا عليه[3] .

عندما سقطت دولة الخلافة الأموية في دمشق، إثر هزيمة مروان بن محمد[4]، في معركة الزاب فِي كانون الثاني(132هـ–750م)، نجا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك[5]، من

---

(1) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص39–40.؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 235 ؛ العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، والأندلسي، ص291.

(2) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، بويع سنة خمس وعشرين ومائة، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف، وقتل بالبخراء من تدمر سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن خمس وثلاثين أو ست وثلاثين، قال حاتم بن مسلم ابن خمس وأربعين وأشهر وكانت ولايته سنة وشهرين، واثنين وعشرين يوماً (ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص 363 ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد؛ ج4، ص 418)

(3)المراكشي، المعجب، ج 1، ص 15 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 40؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 154؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 238.

(4) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، وكان يومئذ شيخ بني أمية وكبيرهم وقتل مروان بن محمد بن سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وله تسع وستون سنة، فكانت ولايته خمس سنين.(البلاذري، أنساب الأشراف، ج 3، ص252، الدينوري، الأخبار الطوال، ج1، ص 510) .

(5) هو عبد الرحمن بن معأوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية، كنيته: أبو المطرف. أمه: بربرية من سبى المغرب، تسمى راحا أو رداحا، وفي عبد شمس بن عبد مناف يلتقي نسبه بنسب رسول الله (ص). ولد في دمشق سنة 113؛ مات أبوه وتركه صغير السن، وتوفي سنة (172هـ 788م)؛ ودفن بقصر قرطبة؛ وقد بلغ تسعا وخمسين سنة؛ وقيل: ستين سنة. فكانت مدة خلافته ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ونصف الشهر ؛ ودخل الأندلس وهو ابن خمس وعشرين سنة أو نحوها. بويع له بقرطبة يوم الأضحى من سنة 138.(ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 159؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص26؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 4، ص448).

المذبحة المروعة التي طالت رموز الأمويين، ويمم وجهه صوب المغرب؛ لأن له فيه أقرباء يمكن الاعتماد على مساعدتهم، وهم أخواله من بني نفزة[1].

أعد عبد الرحمن بن معاوية، مولاه بدراً، وجهزه للعبور إلى الأندلس وأمره بأن يعرض أمر دخوله إلى الأندلس، على موالي الأمويين هناك، وكانت عدتهم ما بين الأربعمائة، والخمسمائة وكان رياستهم إلى شخصين هما أبو عثمان عبيد الله بن عثمان، وعبد الله بن خالدِ، فدخل بدر الأندلس، وقام بإجراء اتصالات واسعة مع موالي الأمويين، وعرض عليهم أمر ابن معاوية فوافقوا على دخوله إلى الأندلس[2].

وفي شهر ربيع الثاني سنة(138هـ= 755م)، عبر عبد الرحمن بن معاوية بجيشه القوي ومن معه من القادة مضيق جبل طارق إلى داخل الأندلس، بهيبة وعظمة الفاتحين المنتصرين، وانضم إليه أنصاره، وأخضع البلاد كافة في طريقه، وزحف إلى إشبيلية واستولى عليها وبايعه أهلها، ثم نجح في دخول قرطبة العاصمة، بعد أن هزم جيش يوسف بن عبد الرحمن الفهري في موقعة المصارة [3]في العاشر من ذي الحجة سنة (138هـ= 755م)، ليؤسس بذلك إمارة أموية[4] في قرطبة عام(138هـ=755م)[5].

أولاً: الجهاد:

أحب حكام الأندلس في عصر الإمارة الجهاد وأبلوا ضد الإمارات النصرانية في الشمال[6] بلاءً حسناً، و على الرغم من الثورات التي قامت ضد الأمير عبد الرحمن الداخل؛ إلا أنه في سنة (150هـ=767م)، غزا بلاد جليقية[7] . أما الأمير هشام بن عبد الرحمن[8]، فقد أخمد الفتن،

---

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص 415.

(2) المقري، نفح الطيب، ج3، ص 29.

(3) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 68؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص 159؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 33.

4 لمزيد من الاطلاع حول عدد وأسماء حكام الأندلس في الملاحق، ص 226

(5) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص 448.

6 انظر ملحق الهرائط، خريطة تطور الأندلس، ص229

(7) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص115.

(8) أبو الوليد هشام بن عبد الرحمن بن معأوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وأمه أم ولد واسمها حوراء وهو الثاني من ملوك بني أمية بالأندلس . ولد له هشام سنة(139هـ=756م)، ويعرف ب الرضا لعدله وفضله ويكني أبا الوليد، بويع سنة 171هـ، عند وفاة أبيه، وإمارته سبع سنين وسبعة أشهر وثلاثة أيام وعمره تسع وثلاثون وأربعة أشهر (ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 42؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 308؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص 206؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص 196).

والثورات، وطد حكمه في الداخل، واتجه نحو الشمال للجهاد ضد الإمارات النصرانية التي تشكل خطراً على دولته[1].

وفي أيامه فتح قائده، وحاجبه عبد الواحد بن مغيث مدينة أربونه، ومن الخمس الحاصل منها بنى الجامع، والمنار، والقنطرة [2]. وكان الأمير هشام كثير الغزو ضابطا لثغور المسلمين، حافظا لرعيته، إذ يروى أن رجلاً من رعيته أوصى بمال لتحرير المسلمين المسجونين في بلاد الروم؛ لكنه لم يجد لديهم أي أسير فأوصى لتحرير أهل الذمة لدى الروم[3].

والأمير هشام، هو الذي فتح القلاع من بلاد جليقية[4]، وقتل فيها تسعه آلاف من النصارى[5].

وفي سنة (176هـ=792م)، ولى هشام ولده الحكم[6]طليطلة، فضبطها، وغزا حصون النصارى، وغزا مدينة أربونه، آلبه ففتحها[7].

وفي سنة(177هـ=793 م)، أرسل الأمير هشام قائده عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث، في جيش، يعرف بالصائفة إلى أرض الروم فدخلوا بلاد الفرنج فبلغوا أربونةوجرندة، فبدأ بجرندة وبها حامية الفرنج، فقتل رجالها، وهدم أسوارها، وأشرف على فتحها، ورحل عنها إلى أربونة، ففعل مثل ذلك، وأوغل في بلادهم، وهزمهم، واستمر شهوراً يقاتلهم ويدمر حصونهم[8].

---

(1) العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي والأندلسي، ص223.

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص125.

(3) م.ن، ص125.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 304.

(5) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص125.

(6) الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن أمية، كنيته أبو العاصي، وأمّه أم ولد اسمها زخرف، وهو الثالث من ملوك بني أُمية بالأندلس، ولي الأمر بعد والده . وامتدت أيامه، وأقام في الإمرة سبعاً وعشرين سنة وشهراً . ولقب نفسه بالمرتضى وعاش خمسين سنة . (ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 269 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 14، ص 196 ؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23، ص210).

(7) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص125.

(8) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص166؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص 208.

وفي سنة(178هـ=794م)، بعث هشام جيشاً مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، إلى بلاد الفرنج فغزا ألبة، والقلاع وهزم النصارى، ثم سيّر جيشاً آخر مع أخيه عبد الملك بن عبد الواحد إلى بلاد الجلالقة فخرّب دار ملكهم وكنائسهم، وعاد بغنائم كثيرة[1].

كما غزا الأمير عبد الرحمن الأوسط[2]، أرض جليقية، وقاد الجيش بنفسه. ففتح حصونها، وجال في أرضها[3].

وتعرضت إشبيليه سنة(230هـ=844 م) في أثناء إمارة عبد الرحمن الأوسط على الأندلس، لهجوم المجوس(النورمان)[4]، فسبوا الذرية ونهبوا الأموال [5]، وبقوا فيها سبعة أيام[6]، فأرسل عبد الرحمن عسكراً قاتلهم وهزمهم وحرروا الأموال والذرية، فانهزم المجوس وقتل منهم نحو من خمسمائة مقاتل، وأسر نحو أربعة آلاف، إضافة إلى ثلاثين مركباً[7].

وفي سنة (231هـ=845 م)، غزا محمد ابن الأمير عبد الرحمن، جليقية؛ فحصرها، وحاصر مدينة ليون، ورماها بالمجانيق. فلما أيقنوا بالهلاك، خرجوا ليلا، ولجؤوا إلى الجبال والغياض؛

---

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص 209؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 304؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 337؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 160.

(2) عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل، أبو المطرف وهو عبد الرحمن الأوسط، والرابع من خلفاء بني أمية بالأندلس، وأمه أم ولد يقال لها حلأوة، بويع له يوم وفاة أبيه الحكم المعروف بالربضي، سنة ست ومائتين، وكانت خلافته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وستة أيام(ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 113؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 6، ص 117؛ ابن حيان، المقتبس من أنباء الأندلس، ج 1، ص 6؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص 220).

(3) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص145؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 178.

(4)النورمان هم أهل إسكندنافيا، وهي بلاد تضم الدانمارك والنرويج وفنلندا والسويد، وقد كانت هذه البلاد تعيش في همجية مطلقة، فكانوا يعيشون على ما يسمى بحرب العصابات، فقاموا بغزوات عرفت باسم "غزوات الفايكنج"، وهي غزوات إغارة على أماكن متفرقة من بلاد العالم، ليس من همٍ لها إلا جمع المال وهدْم الديار (السرجاني، راغب، قصة الأندلس، ص175).

(5) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 17، ص7 .

(6) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص178.

(7) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 17، ص7 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص178.

فأحرق ما فيها، وأراد هدم سورها؛ فوجد سعته ثمانية عشرة ذراعاً؛ فتركه؛ وأمعن في بلاد الشرك قتلاً وسبياً[1].

وغزا الأمير محمد[2]، نصارى الشمال الأسباني، واستمر مقاتلاً لهم في بلادهم نحو سته أشهر، وألحق بهم هزيمة نكراء في موقعه وادي سليط، التي تعد من أكبر معارك المسلمين في الأندلس، حيث تعد من أمهات الوقائع لم يعرف مثلها في الأندلس قبلها[3]

وقد تحدث فيها أبو المظفر سبط بن الجوزي أن الأمير محمد هو صاحب وقعة وادي سليط التي لم يسمع بمثلها يقال إنه قتل فيها من الأعداء نحو ثلاثمائة ألف[4]

وقيل إن عددهم مائة ألف وخمسة وأربعون ألفا [5]وفيها يقول عباس بن فرناس:

بكى جبَلا وادي سليطٍ فأَعْولا — على النَّفر العُبْدان والعَصْبة الغلْف

دعاهم صريخُ الحيْن فاجتمَعوا له — كما اجتَمَع الجُعْلان للبَعْرِ في قفٍّ[6]

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص178.

(2)محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، كنيته: أبو عبد الله. أمه: بهير. مولده: في ذي القعدة سنة 207هـ، بويع سنة (238هـ=852م)، وهو ابن ثلاثين سنة وخمسة أشهر. وتوفي سنة (273هـ=886م)، عمره خمس وستون سنة، وكانت خلافته أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما. (ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص113؛ ابن خلدون، العبر في خبر من غبر، ج 2، ص 58؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 232).

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص 455.

(4) ابن خلدون، العبر في خبر من غبر، ج 2، ص 58.

(5) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص147.

(6) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص 455.

لم أجد في مصادرنا العربية ذكراً لجهاد كل من الأمير المنذر بن محمد[1]، والأمير عبد الله بن محمد[2]، ويبدو أن ذلك؛ بسبب توقف الجهاد في مناطق الشمال الإسباني؛ نتيجة لكثرة التمردات والفتن في الأندلس[3].

ثانياً: الشجاعة :

اتصف كثير من حكام الأندلس بالشجاعة، وقد شهد لهم بذلك حتى خصومهم إذ يروي أن أبا جعفر المنصور قال يوما لبعض جلسائه: أخبروني: من صقر قريش من الملوك؟ قالوا: ذاك أمير المؤمنين الذي راض الملوك، وسكن الزلازل، وأباد الأعداء، وحسم الأدواء قال: ما قلتم شيئا قالوا: فمعاوية؟ قال: لا قالوا: فعبد الملك بن مروان؟ قال: ما قلتم شيئا قالوا: يا أمير المؤمنين فمن هو؟ قال: صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية، الذي عبر البحر، وقطع القفر، ودخل بلدا أعجميا، منفردا بنفسه؛ فمصر الأمصار، وجند الأجناد، ودون الدوأوين، وأقام ملكا عظيما بعد انقطاعه، بحسن تدبيره، وشدة شكيمته[4].

---

(1) أبو الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، وأمه أم ولد اسمها إيل، وهو السادس من أمراء بني أمية بالأندلس، وكانت ولايته سنة واحدة وأحد عشر شهرا وعشرة أيام، وكان عمره نحوا من ستة وأربعين سنة(ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص 356؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23، ص 230).

(2) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، وأمه أم ولد اسمها عشار، وهو السابع من أمراء بني أمية ببلاد الأندلس . بويع له بعد وفاة أخيه المنذر، سنة خمسٍ وسبعين ومائتين، وولايته خمس سنين وأحد عشر شهرا (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23، ص 231؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص244).

(3) ابن عذاري البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب، ص302. مؤلف مجهول ، أخبار المجموعة في فتح الأندلس ،ص 142؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص149 ؛ المقتبس ، عهد الأمير عبد الله ، ص 58.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص165 ؛ صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، ج3، ص 33؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 11، ص 241.

كما تميز الحكم بالشجاعة، وقد وصفه صاحب كتاب أخبار مجموعه بأنه كان" شجاعا حازما مظفرا في حروبه أطفأ نيران الفتن بالأندلس، وكسر فروق النفاق، وأذهل أهل الكفر في كل أفق، وكان مع نجدته، وعزة نفسه متواضعاً للحق[1].

ومن شعره الذي يدل على شجاعته وهيبته والدفاع عن ملكه:

رأبـــت صـــدوع الأرض بالســـيف راقعـــا	**وقـدما لأمـت الشـعب مـذ كنـت يافعـا**
فســائل ثغــوري هــل بهــا اليــوم ثغــرة	**أبادرهـــا مستنضـــي الســـيف دارعـــا**
وشـــافه علـــى الأرض الفضـــاء جماجمـــا	**كأقحـــاف شـــريان الهبيـــد لوامعـــا**
تنبئـــك أنـــي لـــم أكـــن فـــي قـــراعهم	**بـــوان وقـــدما كنـــت بالســـيف قارعـــا**
وإنـــي إذا حـــادوا حـــذارا عـــن الـــردى	**فلســت أخــا حيــد عــن المــوت جازعــا**
حميـــت ذمـــاري فاتهكـــت ذمـــارهم	**ومـــن لا يحـــامي ظـــل خزيـــان ضـــارعا[2]**

ثالثاً: التقوى عند حكام الأندلس:

تحلى كثير من حكام الأندلس بالتقوى، يظهر ذلك من خلال مواقف عدة منها:

إن عبد الرحمن بن معاوية، لما خرج من البحر أول قدومه على الأندلس، أتوه بخمر فقال: إني محتاج لما يزيد في عقلي لا لما ينقصه، فعرفوا بذلك قدره ثم أهديت إليه جارية جميلة فنظر إليها، وقال إن هذه من القلب والعين بمكان، وإن أنا اشتغلت عنها بهمتي فيما أطلبه ظلمتها وإن اشتغلت بها عما أطلبه ظلمت همتي ولا حاجة لي بها الآن وردها على صاحبها[3] .

أما عبد الرحمن بن الحكم فقد ظلم نفسه بارتكاب مخالفة شرعية في نهار رمضان، حيث وقع على جارية يحبها في رمضان، ثم ندم أشد الندم، فجمع الفقهاء، وسألهم عن التوبة، فقال يحيى: تكفر بصوم شهرين متتابعين، فلما بادر يحيى بهذه الفتيا، سكت الفقهاء حتى خرجوا، فقال

---

(1)مؤلف مجهول ،أخبار مجموعة فتح الأندلس ،ص 114.

(2) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص 452؛الكتبي، فوات الوفيات، ج 1، ص 372؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 342.

(3) المقري، نفح الطيب، ج3، ص 42.

بعضهم له: لم تفت بمذهب مالك، بالتخيير، فقال: لو فتحنا له هذا الباب، سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة، ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود[1].

ويروى أن الأمير عبد الله بن محمد، كان يخرج إلى الجامع، ويلزم فيه الصلاة إلى جانب المنبر، وهو الذي بني الساباط بين القصر والجامع بقرطبة، لمحافظة على الصلوات في جماعة، وكان يقعد للمظالم على باب قصره، فترفع إليه الظلامات، ويصل إليه الكبير والصغير، ولم يشرب قط نبيذاً ولا مسكرا، قائما بحدود الله تعالى، وأحكام كتابه، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم[2].

ومن الأوصاف الجميلة للأمير عبد الله التي لا تصدر إلا على صاحب تقوى أنه" كان من أمراء العدل، مثابراً على الجهاد، ملازما للصلوات في الجامع[3]"، وقيل عنه حسب ما رواه عيسى بن أحمد الرازي عن أبيه أحمد بن محمد قالوا عن الأمير عبد الله " كانوا يعدون الأمير عبد الله من أصلح خلفاء بني أمية بالأندلس وأمثلهم طريقة، وأتمهم معرفة وأتمهم ديانة، كان يجتهد بالليل، ويقوم ليالي شهر رمضان، بالاشفاع مع الأئمة المرتبين لها بالمسجد الجامع بقرطبة ، وكان بنيته في ذلك الورع الراغب في الخير رحمه الله [4].

وكان لتخلق حكام الأندلس بالتقوى، أثر كبير في سلوكهم، وسياستهم مع الرعية، يظهر ذلك من خلال التزام حكام الأندلس بالشريعة الإسلامية، عندما خرج عبد الرحمن بن معاوية، من البحر أول قدومه على الأندلس، أتوه بخمر فقال: إني محتاج لما يزيد في عقلي لا لما ينقصه[5].

وهذا يدل على رفض الأمير عبد الرحمن الداخل، للخمر على التزامه بالتشريع الإسلامي الذي يحرم الخمر، والتزامه الشخصي بما نهى الله عنه، ولا ينجرف وراء أهوائه، ونزواته الشخصية.

يقول ابن حزم الأندلسي: وأما بنو أمية بالأندلس، لم يشرب أحد منهم خمر العنب–عدا الحكم الربضي– وإنما كانوا يشربون العسل المطبوخ فقط[6] .

---

(1)المقري ، نفح الطيب ، ج 1 ، ص10-11.

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص120.

(3)الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،ج14،ص156.

(4)ابن حيان، المقتبس في عهد الأمير عبد الله ، ص53.

(5) المقري، نفح الطيب، ج3، ص 42.

(6) ابن حزم، كتاب نقط العروس في تواريخ الخلفاء، ج2، ص 73.

حتى الحكم الربضي الذي استثناه من بين الأمويين كان سلوكه هذا قبل ثورة الربض، وبعدها رجع وكفر عن ذنوبه، وندم وتاب عن ذلك، ويدل على ذلك وصيته لابنه عبد الرحمن الأوسط.

ومن مظاهر التزام الأمويين بالشريعة الإسلامية أن الأمير هشام بن عبد الرحمن الذي عرف بهشام الرضا لعدله وفضله قد أخرج متصدقاً يأخذ الصدقة على كتاب الله وسنة رسول الله[1] .

وهذا يدل على أن أهمية الزكاة كركن من أركان الإسلام، ولها دور في التآلف بين أفراد الأمة الإسلامية .

ووصفه ابن حزم الأندلسي، الأمير هشام، بأنه من أعدل الأمراء بعد الصحابة رضوان الله عليهم[2].

وقال عنه ابن عبد ربه:" انه كان شريف النفس كامل المروءة حاكما بالكتاب والسنة آخذ الزكاة من حلها ووضعها في موضعها"[3].

وتبين من خلال النص أنه حاكم بالكتاب والسنة النبوية، وأنه مهتم بالزكاة ويأخذها من مصادرها ويوزعها على مستحقيها كما أمرنا الله في القرآن الكريم .

أما عبد الرحمن الأوسط الذي خلف والده الحكم بن هشام فقد كان عالماً بعلوم الشريعة والفلسفة وغيرها[4]، وقال عنه ابن حزم عبد الرحمن بن الحكم ورعاً محمود السيرة[5].

وكان أول ما بدأ به حينما تولى الحكم انه بدا بتغيير المنكر وهدم فندقاً كان معداً لبيع الخمر[6].

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 308؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص 210.

(2) ابن حزم، كتاب نقط العروس في تواريخ الخلفاء، ج2، ص75.

(3)العقد الفريد، ج5، ص316 .

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص292.

(5)رسائل ابن حزم ،ج2، ص 192.

(6)ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ،ج2، ص18.

أما الأمير عبد الله فكان من أكثر الأفراد الأمويين التزاما بالإسلام، حيث إنه من أصلح خلفاء بني أمية بالأندلس وأمثلهم طريقة، وأتمهم معرفة، وأمتنهم ديانة[1].

ومن خلال ذلك نستطيع القول إن الأمويين في الأندلس، كانوا متمسكين تمسكا تاما بالشريعة الإسلامية حكما، وسلوكا، ودعوة، ولا شك أن هناك بعض الثواقب التي كانت تشوب سلوك بعضهم، ولكن الاتجاه العام للدولة هو الالتزام بالشريعة الإسلامية .

رابعاً: التسامح:

اتصف كثير من حكام الأندلس في عهد الإمارة بالتسامح؛ إذ يروى أنه ثار على عبد الرحمن بن معاوية ثائر؛ فغزاه وظفر به. فبينا هو في الطريق، إذ نظر إلى الثائر، وهو على بغل في كبوله، وتحت الأمير عبد الرحمن فرس له؛ فلما لحقه، قنع رأسه بالقناة، وقال: يا بغل ماذا تحمل من الشقاق والنفاق فقال الثائر: يا فرس ماذا تحمل من العفو والإشفاق فقال: له عبد الرحمن بن معاوية، والله لا تذوق موتا على يدي أبدا، فأطلقه[2] .

ووصل تسامحه إلى أهل الذمة الذين أوصى بالتسامح معهم النبي صلى الله عليه وسلم، إذ يروى أن ذمية اسمها سارة [3]كانت تأتي للخليفة هشام، رأت حفيده عبد الرحمن لما ملك عبد الرحمن توسلت إليه ، وأحسن إليها ، واعترف بذمامها، وإذا جاءت إلى قصره لا يحجب عياله عنها [4]. وكذلك من تسامحه مع أهل الذمة أن مسجد قرطبة لما ضاق بالمسلمين نظر عبد الرحمن لضيق المسجد، واحضر أعاجم قرطبة، وسألهم بيع ما بقي من الكنيسة ، وأوسع لهم البذل فيه وفاء بالعهد الذين صولحوا عليه ، وأباح لهم بناء كنائسهم التي كانت هدمت وقت الفتح [5]. ويقول

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص 207.

(2)م.ن، ص164؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص450.

(3) سارة ،بنت المند ذهبت لمقابلة هشام بن عبد الملك لتشكو عمها أرطباش ،الذي سيطر على ضياعها فكتب هشام لعامله في أفريقيا حنظلة بن صفوان، لإنصافها من عمها أرطباش وإمضائها وإخوتها على سنة الميراث ،فيما ما كان في يد والدها وانفذ كتاب لعماله بالأندلس لأبي الخطار ابن عمه(المقري،نفح الطيب،ج1، ص266–267).

(4)المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص267.

(5) ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1 ،ص350.

الإمام الذهبي:" أن عبد الرحمن ابتاع الشطر الثاني من النصارى بمائة ألف دينار وقبضوها على ملأ من الناس[1]".

من تسامحه مع أهل الذمة كتاب عهد الأمان الذي كتبه للنصارى قال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب أمان ورحمة، وحقن دماء وعصمة، عقده الأمير الأكرم الملك المعظم عبد الرحمن بن معاوية، ذو الشرف الصميم، والخير العميم، للبطارقة والرهبان، ومن تبعهم من سائر البلدان، أهل قشتالة وأعمالها، ما داموا على الطاعة في أداء ما تحملوه، فأشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب، وعشرة آلاف رطل من الفضة، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل، ومثلها من البغال، مع ذلك ألف درع وألف بيضة، ومن الرماح الدردار مثلها في كل عام، ومتى ثبت عليهم النكث بأسير يأسرونه، أو مسلم يغدرونه، انتكث ما عوهدوا عليه، وكتب لهم هذا الأمان بأيديهم إلى خمس سنين، أولها صفر عام اثنين وأربعين ومائة[2].

خامساً: التواضع:

كما تحلى حكام الأندلس في عهد الإمارة بالتواضع، ومن تواضعهم، أنهم نقشوا على خاتمهم عبارات الرضى والثقة بالله مثال ذالك، نقش خاتم عبد الرحمن: " عبد الرحمن بقضاء الله راض[3] " وقيل " وبالله يثق عبد الرحمن وبه يعتصم"[4].

ومما يدل على ذلك التواضع الجم أنه لم يتخذ لقب المظفر، أو الناصر، أو المنصور[5].

---

(1) سير أعلام النبلاء ،ج 8 ، ص248.

(2)م.ن، ج8، ص250.

(3) القرطبي، ابن حيان، المقتبس من أنباء الأندلس، ج1، ص7؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص7.

(4) المقري، نفح الطيب، ج3، ص 54.

(5) عنان، محمد، ض201 .

وكان لتخلق حكام الأندلس بالتواضع في سلوكهم وسياستهم مع الرعية، إنهم كانوا يقابلون الرعية وجهاً لوجه، والنظر في مظالمهم، واحتياجاتهم، فكان الأمير الحكم بن هشام، له يومان في الأسبوع يقعد فيهما مع العامة بنفسه، وينظر في أمورهم بإشرافه ويكف مظالمهم بإنصافه ويحضر مجلسه القضاة، والفقهاء، وكان يقيم الصلوات بنفسه، ويشهد الجنائز [1] .

وكان الأمير عبد الله بن محمد " يقعد في الساباط قبل صلاة الجمعة وبعدها؛ فيرى الناس، ويشرف على أخبارهم وحركاتهم، ويسر بجماعاتهم، ويسمع قول المتظلم؛ ولا يخفى عليه شيء من أمور الناس. وكان يقعد أيضا على بعض أبواب قصره في أيام معلومة؛ فترفع إليه فيه الظلمات، وتصل إليه الكتب على باب حديد قد صنع مشرجبا لذلك؛ فلا يتعذر على ضعيف إيصال بطاقة بيده، ولا إنهاء مظلمة على لسانه[2]. وكان أهل المكانات وذوو المنازل والأقدار يتحفظون من كل أمر يوجب الشكوى بهم، وينقبضون عن التحامل على من دونهم، ويهابون عقابه، ويحذرون إنكاره، ويتحرون موافقة مذاهبه. وكانت اللذات مهجورة في أيامه، واللهو غير مقترف من جميع خاصته وعامته، وإعمال الخير وإظهار البرّ والتقوى فاش في كل طبقة من رجاله ورعيته[3].

سادساً: الحزم:

وكان أمراء الأندلس حازمين، يقول ابن حيان القرطبي: " كان الإمام عبد الرحمن الداخل راجح العقل، راسخ الحلم، واسع العلم، كثير الحزم، نافذ العزم، لم ترفع له قط راية على عدو إلا هزمه، ولا بلد إلا فتحه، شجاعا مقداما شديد الحذر، قليل الطمأنينة، لا يخلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل الأمر إلى غيره[4].

فلما سخط عبد الرحمن الداخل، على خادمه بدر سلب نعمته، وانتزع دوره وأملاكه، واغرمه على ذلك نحو 40 ألفاً [5].

---

(1) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص128.
(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص 206.
(3) م.ن، ص 206.
(4) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 49.
(5)الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج1 ،ص 445.

ومن المواقف الدالة على حزم عبد الرحمن الداخل، أنه عندما انتصر على حسين الأنصاري، ودخل سرقسطة، هنأه أحد الجند بصوت عالٍ قال: "والله لولا أن هذا اليوم يوم أسبغ عليّ فيه النعمة من هو فوقي فأوجب عليّ، ذلك أن أنعم فيه على من هو دوني، لأصليتك ما تعرضت له من سوء النكال، من تكون حتى تقبل مهنئاً رافعاً صوتك غير متلجلج، ولا متهيب لمكان الإمارة، ولا عارف بقيمتها حتى كأنك تخاطب أباك أو أخاك ، وإن جهلك ليحملك على العود لمثلها فلا تجد مثل هذا الشافع في مثلها من عقوبة، فقال ولعل فتوحات الأمير يقترن اتصالها باتصال جهلي وذنوبي فتشفع لي متى أتيت بمثل هذه الزلة لا أعدمنيه الله تعالى، فتهلل وجه الأمير، وقال ليس هذا باعتذار جاهل ثم قال: نهونا على أنفسكم إذا لم تجدوا من ينبهنا عليها ورفع مرتبته وزاد في عطائه.[1]

يتبين مما سبق أن عبد الرحمن الداخل ، تذكر نعمة الله سبحانه وتعالى ، بأن منّ عليه ونصره على عدوه في سرقسطة ، وأن سياسته مع الرعية امتازت بالشدة عندما يكون هناك خطأ ، وباللين عندما يلتمس العذر لرعيته، وكان من مظاهر اللين ، تكريمه للرعية، وزيادة العطاء لها[2].

سجن هشام الرضى ولده عبد الملك لبعض ما أنكره عليه فبقى في السجن أيام أبيه، وبعضا من أيام أخيه الحكم إلى سنة 198هـ، فكان سجنه تسع عشرة سنة[3]، ومن المرجح أن هشام سجن ابنه عبد الملك لشيء أنكره عليه، وإن كان ذلك فهذا يدل على حزمه حتى مع أقرب الناس إليه.

وفي عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة(237هـ=851م)، قام رجل من المعلمين بشرق الأندلس؛ فادّعى النبوءة، وتأول القرآن على غير تأويله؛ فاتبعه جماعة من الغوغاء، وقام معه خلق كثير. وكان من بعض شرائعه النهي عن قص الشعر وتقليم الأظفار، ويقول: [لا تغيير لخلق الله] فبعث إليه يحيى بن خالد؛ فأتى به. فلما دخل عليه، كان أول ما خاطبه به أن دعاه إلى اتباعه والأخذ بما شرع؛ فشاور فيه أهل العلم؛ فأشاروا بأن يستتاب فإن تاب، وإلا قتل.

---

(1)المقري ، نفح الطيب ، ج3 ، ص41.

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج1 ، ص74؛ابن تغري بردي النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ،ج2 ، ص7؛ المقري ، نفح الطيب ، ج3 ، ص41؛ صفوت، أحمد زكي، ذيل جمهرة خطب العرب، ج 1، ص 164.

(3)مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص126.

فقال: كيف أتوب من الحق الصحيح فأمر بصلبه. فلما رفع في الخشبة، قال: أتقتلون رجلا أن يقول: ربي الله فصلبه[1].

وكان لتخلق حكام الأندلس بالحزم، أثر كبير في سلوكهم، وسياستهم مع الرعية، يظهر ذلك من خلال إن تصرف عبد الرحمن الأوسط بحزم مع أصحاب الانحرافات العقدية؛ يدلل على حرصه على وأد الانحرافات العقدية أولاً بأول؛ حتى لا تصير منهجاً عند الجهال يصعب التخلص منه.

سابعاً: إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم:

ومن بديع أخبار الحكم أن العباس الشاعر، توجه إلى الثغر فلما نزل بوادي الحجارة، سمع امرأة تقول: واغوثاه بك يا حكم، لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيمنا وأيتمنا، فسألها عن شأنها فقالت: كنت مقبلة من البادية في رفقة فخرجت علينا خيل عدو فقتلت وأسرت فصنع قصيدته التي أولها

تململت في وادي الحجارة مسهرا	**أراعي نجوما ما يردن تغورا**
إليك أبا العاصي نضيت مطيتي	**تسير بهم ساريا ومهجرا**
تدارك نساء العالمين ينصرة	**فإنك أحرى أن تغيث وتنصرا**

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه، فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد، فخرج بعد ثلاث إلى وادي الحجارة ومعه الشاعر وسأل عن الخيل التي أغارت من أي أرض العدو كانت، فاعلم بذلك فغزا تلك الناحية، وأثخن فيها، وفتح الحصون، وخرب الديار، وقتل عددا كثيراً، وجاء إلى وادي الحجارة فأمر بإحضار المرأة وجميع من أسر له أحد في تلك البلاد، فأحضر فأمر بضرب رقاب الأسرى بحضرتها، وقال للعباس: سلها هل أغاثها الحكم فقالت المرأة وكانت نبيلة: والله لقد شفى الصدور وأنكى العدو وأغاث الملهوف فأغاثه[2].

فارتاح لقولها وبدا السرور في وجهه وقال:

ألم تر يا عباس أني أجبتها	**على البعد أقتاد الخميس المظفرا**

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص 173.

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص129، 130 ؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص343-344 .

فأدركـــــت أوطــــارا ويــــردت غلـــة ونفســـت مكروبـــا وأغنيـــت معســـرا

فقال عباس نعم جزاك الله خيرا عن المسلمين وقبل يده[1] .

ويذكر أن حسانة التميمية، جاءت إلى عبد الرحمن ابن الحكم ، تشتكى والي البيرة جابر بن لبيد، وكان الحكم قد وقع بخط يده تحرير أملاكها وحملها في ذلك على البر ، والإكرام فتوسلت إلى جابر بخط الحكم فلم يفدها دخلت حسانة على عبد الرحمن بن الحكم وأنشدت

إلـــى ذي النـــدى والمجدســـارتركائبي علـــى شـــحط تصـــلى بنـــار الهـــواجر

ليجبـــر صـــدعي إنـــه خيـــر جـــابر ويمنعنـــي مـــن ذي الظلامـــة جـــابر

فـــإني وأيتـــامي بقبضـــة كفـــه كـــذي ريـــش أضـــحى فـــي مخالـــب كاســـر

جـــدير لمثلـــي أن يقـــال مروعـــة لمـــوت أبـــي العاصـــي الـــذي كـــان ناصـــري

ســـقاه الحيـــا لـــو كـــان حيـــا لمـــا اعتـــدى علـــي زمـــان بـــاطش بطـــش قـــادر

أيمحـــو الـــذي خطتـــه يمنـــاه جـــابر لقـــد ســـام بـــالأملاك إحـــدى الكبـــائر[2]

لما انتهت حسانة من قول قصيدتها رفعت إلى عبد الرحمن خط والده ، وحكت جميع أمرها فرق لها عبد الرحمن، وأخذ يقبل خط أبيه ، ويضعه على عينه وقال تعدى ابن لبيد طوره حين رام نفذ رأي الحكم، وحسبنا أن نسلك سبيله بعده ونحفظ بعد موته عهده انصرفي يا حسانة فقد عزلته لك ووقع لها بمثل توقيع أبيه الحكم فقبلت يده وأمر لها بجائزة[3].

وبعثت إليه قصيده:

ابـــن الهشـــامين خيـــر النـــاس مـــأثرة وخيـــــر منتجـــــع يومـــــا لـــــرواد

إن هـــز يـــوم الـــوغى أثنـــاء صـــعدته روى أنابيبهـــا مـــن صـــرف فرصـــاد

قـــل للإمـــام أيـــا خيـــر الـــورى نســـبا مقـــــابلا بـــــين آبـــــاء وأجـــــداد

جـــودت طبعـــي ولـــم تـــرض الظلامـــة لـــي فهـــــاك فضـــــل ثنـــــاء رائـــــح غـــــاد

---

(1) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص130 ؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص344.

(2) م.ن، ص142، 143؛ م.ن ،ج4 ،ص 167-168.

(3) م.ن، ص142، 143 المقري ، م.ن، ص168 .

فـــإن أقمـــت ففـــي نعمـــاك عاطفـــة وإن رحلـــت فقـــد زودتنـــي زادي[1]

وكان لتخلق حكام الأندلس لإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم في سلوكهم وسياستهم مع الرعية، ويظهر ذلك من خلال تعرض بلاد الأندلس في عصر الإمارة إلى كوارث ومجاعات؛ وللحكام الأندلس دور مهم في مواجهة تلك الحالات.

وفي عهد الحكم الربضي، سنة (197هـ= 822م)، عمت أرض الأندلس أجمعها مجاعة شديدة[2].

ومات في تلك المجاعة خلق كثير بشرق الأندلس، وكذلك كانت المجاعة والوباء في سنة (198هـ=813م)، بأفريقية والمغرب والأندلس، ذهب فيها ثلث الناس[3].

وفي سنة 199هـ، كانت المجاعة التي عمت الأندلس؛ ومات أكثر الخلق جهدا[4].

وفي مواجهة الأزمة أكثر الأمير الحكم من مواساة أهل الحاجة وفرق الأموال الكثيرة على الضعفاء والمساكين وعابري السبيل[5]، ويمدحه الشاعر عباس بن ناصح الجزيري فقال له:

نكـــد الزمـــان فأمنـــت أيامـــه مـــن أن يكـــون بعصـــره عســـر

طلـــع الزمـــان بأزمـــة فجـــلا لـــه تلـــك الكريهـــة جـــوده الغمـــر[6]

وفي عهد عبد الرحمن بن الحكم (206هـ-238هـ =822م-852م)، نالت أهل الأندلس مجاعة شديدة صدر أيام الأمير عبد الرحمن سنة سبع ومائتين وكان سببها انتشار الجراد بالأرض ولحسه الغلات وتردده بالجهات، فنالت الناس مجاعة عظيمة، كفى حدها الأمير بإطعام الضعفاء والمساكين من أهل قرطبة، فيهم باسم أيوب العابد المستجاب، بعد أن تصفح وجوه الناس حوله، فلم تقع عينه عليه، فنادى باسمه مستحلفاً له بالله أن يبرز إليه، فلما أكثر من

---

(1) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص142، 143 المقري، نفح الطيب ،ج4 ،ص168.

(2) المقري، نفح الطيب، ج1، ص 341.

(3) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص131.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 171.

(5) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص131.

(6) المقري، نفح الطيب، ج1، ص 341.

الإرجاف به برز ودنا منه، فاجتهد يحيى في الدعاء، وأيوب يؤمن وينادي ربه فسقى الناس ليومهم[1].

ويقول النويري، وفيها كان بالأندلس مجاعةٌ شديدة ذهب فيها خلق كثير وبلغ المُد في بعض المدن ثلاثين ديناراً[2] .

ويقول ابن عذاري سنة(232هـ=846م)، قحطت الأندلس قحطا شديدا؛ وكانت فيها مجاعة عظيمة، حتى هلكت المواشي، واحترقت الكروم، وكثر الجراد[3].

ويقول ابن حيان وفيها كان القحط الذي عم الأندلس، فهلكت المواشي، واحترقت الكروم، وكثر الجراد، فزاد في المجاعة وضيق المعيشة[4].

وفي سنة (267هـ=880م)، في عهد محمد بن عبد الرحمن، كانت زلزلة عظيمة ما سمع الناس قبلها بالأندلس مثلها تهدمت منها القصور، وانحطت الصخور، والجبال، وهرب الناس من المدن إلى البرية من شدة اضطراب الأرض وتساقطت السقوف، والحيطان[5] .

أما في عهد الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن (273 هـ - 275هـ=886م- 888م)، قحطت الأندلس سنة (274هـ=887م)، وكان القحط في الحقيقة راجعا لتأخر موعد سقوط المطر واستمر هكذا الحال واستسقى الناس مراراً ثم نزل المطر بعد ذلك فسقى الناس وارتفع البأس[6].

كما عمل الأمير المنذر على إسقاط عشر العام عن الرعية وما يلزمهم من جميع المغارم [7].

ومن خلال ما ذكر نلاحظ أن بلاد الأندلس قد تعرضت للعديد من المجاعات، والقحط وقد تنوعت سبل مواجهتها ما بين أداء صلاة الاستسقاء، أو توزيع الصدقات للمحتاجين .

(1) ابن حيان، المقتبس من أنباء الأندلس، ج 1، ص 27.
(2) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23، ص 220.
(3) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص 178.
(4) ابن حيان، المقتبس من أنباء الأندلس، ج1، ص 1.
(5) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص147.
(6) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص90.
(7) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص149.

ثامناً: الكرم:

اتصف كثير من حكام الأندلس بالكرم، فقد روى أن عبد الرحمن الداخل، "كان كثير الكرم، عظيم السياسة[1]".

ويروي أن رجلا يعرف بالهواري دخل على هشام في حياة أبيه عبد الرحمن ابن معاوية، وهو مرشح للخلافة فقال له إن فلانا مات عن ضيعة تعود بكذا وكذا من الغلة، وأنها تباع في دين أو عن وصية وهي ناعمة مثمرة وطيبة الأرض مخصبة وحضه على اشترائها فقال له: أنا أريد أمرا إن بلغته غنيت عنها، وإن قطع بي دونه خسرتها ولاصطناع رجل أحب إلى من اكتساب ضيعة فقال له الهواري: فاصطنعني بها تجد أكرم مصطنع، فأمر بابتياعها، فأشار بعض من حضر إلى أن الاستعداد بالمال أعون على درك الآمال فأطرق عنه ثم قال:

البذل لا الجمع فطرة الكرم   فلا ترد بي ما لم ترد شيمي

ما أنا من ضيعة وإن نعمت   حسبي اصطناع الأحرار بالنعم

ملك الورى والعباد قاطبة   لا ملك بعض الضياع من هممي

تفيض كفى في السلم بحر ندى   وفي سجال الحروب بحر دم[2]

ومن كرم الحكم، أن حسانة التميمية بنت أبي المخشى الشاعر، تأدبت وتعلمت الشعر فلما مات أبوها كتبت إلى الحكم وهي إذ ذاك بكر لم تتزوج

إني إليك أبا العاصي موجعة   أبا المخشى سقته الواكف الديم

قد كنت أرتع في نعماه عاكفة   فاليوم أوي إلى نعماك يا حكم

أنت الإمام الذي انقاد الأنام له   وملكته مقاليد النهى الأمم

لا شيء أخشى إذا ماكنت لي كنفا   أوي إليه ولا يعروني العدم

لا زلت بالعزة القعساء مرتديا   حتى تذل إليك العرب والعجم

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 49.

(2) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 42.

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه وأمر لها بإجراء مرتب، وكتب إلى عامله على ألبيرة فجهزها بجهاز حسن [1].

وكان لتخلق حكام الأندلس بالكرم في سلوكهم وسياستهم مع الرعية، ويظهر ذلك من خلال الاهتمام بالرعية وأحوال الناس، ومنها ما قام به عبد الرحمن الداخل من سداد أموال الديات من بيت مال المسلمين، إذ يذكر أن رجلاً من بني كنانة كان قد اشتكى إلى هشام بن عبد الرحمن الداخل جور أخيه أبي أيوب الذي كان والياً على بكورة جيان في مسألة دفع الدية عن رجل من كنانة، قتل رجلاً خطأ فيقول:" قتل رجل من كنانه رجلاً خطأً فحملت الدية على العاقلة، فأخذ بنو كنانة عامة، وحيف على من بينهم خاصة، وقصدني أبو أيوب، إذ عرف منك مكاني فعدت بك من ظلامتي[2]. فعرض هشام الأمر على الأمير عبد الرحمن الداخل فأمر بأداء الدية من بيت مال المسلمين، وبالكتاب إلى أبي أيوب في ترك التعرض للكناني وأهله[3].

ومن ضمن اهتمام الحكام بالرعية رفع الضرائب عن الناس في المناسبات المهمة أو من غير مناسبة عوناً للرعية ومن تلك الضرائب، ضريبة الحشود والبعوث التي أمر الأمير محمد بن عبد الرحمن بإلغائها ورفعها عن أهل قرطبة، وأقاليمها وغيرها من البلاد؛ وسبب رفعها إلى زيادة الملتحقين من المتطوعة في الغزوات التي جرت في عهده ويقول ابن حيان:" كانت عدة الفرسان المستنفرين لغزو الصائفة المجردة إلى جليقية في مدة الأمير محمد مع الولد عبد الرحمن ابنه على هذه التسمية المفصلة: من ذلك كورة البيرة: ألفان وتسعمائة؛ جيان: ألفان ومائتان؛ قبرة: ألف وثمانمائة؛ باغه: تسعمائة؛ ....الخ، وقال: ونفر من أهل قرطبة لتلك الغزوة عدد لم يوقف على قدره[4].

وكان هذا العدد الذي غزا به بعد أن رفع الضريبة التي كانت على أهل قرطبة وأقاليمها وغيرها من البلاد؛ وقطع عنهم الحشود التي كانوا يؤخذون بتجديدها في كل سنة للصوائف الغازية لدار

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج4، ص167.

(2)مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص 111.

(3)م.ن، ص 112.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص186.

الحرب، وأسقطها منهم ووكلهم إلى اختيار أنفسهم في الطواعية للجهاد من غير بعث. فحسن موقع ذلك منهم، وتضاعف حمدهم له وشكرهم واغتباطهم بدولته[1].

كما قام الأمير المنذر بمناسبة توليه الإمارة سنة (273هـ= 986م)، أخرج الأموال، وفرق العطايا في الناس، وسرح السجون، وتحبب إلى الناس؛ بأن اسقط عنهم عشر ذلك العام، وما يلزمهم فيه من خراج، ومعونه[2] .

تاسعاً: العدل:

اتصف كثير من حكام الأندلس بالعدل، فقد يروى أن حضر عبد الرحمن بن معاوية جنازة فتصدى له، في منصرفه عنها رجل متظلم عامي ، فقال أصلح الله الأمير، إن قاضيك ظلمني ، وأنا أستجيرك من الظلم ، فقال له: تنصف إن صدقت، فمد الرجل يده إلى عناه، وقال: أسألك بالله لما برحت من مكانك حتى تأمر قاضيك بإنصافي فانه معك فوجم الأمير، والتفت إلى من حوله من حشمه فرآهم قليل ودعا بالقاضي وأمر بإنصافه[3] .

كان هشام بن عبد الرحمن منصفا لرعيته ، يروى أن اعترض له يوما متظلم من أحد عماله، يقال إن أحد رجال العامل أوقفه شفقة على العامل، ووصل الخبر لهشام فبعث إلى الشاكي، وقال: "احلف على كل ما ظلمك فيه؛ فإن كان ضربك، فاضربه؛ أو هتك لك سترا، فأهتك ستره؛ أو أخذ لك مالا، فخذ من ماله مثله، إلا أن يكون أصاب منك حدا من حدود الله[4].

قال الحكم مقولة عن العدل "ما تحلى الخلفاء بأزين من العدل، ولا امتطوا مثل التثبت، ولا أزدلفوا بمثل العفو "[5] .

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص186 ؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص150.

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص149.

(3)المقري ،نفح الطيب ، ج2 ،ص37.

(4) ابن عذاري ،البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ص 244؛ مؤلف مجهول ،أخبار مجموعة الأندلس ،ص 121.

(5)م.ن، ص 252؛ابن سعيد ،المغرب في حلى المغرب ،ج 1، ص 13.

قال ابن خلدون عن الحكم بن هشام: "كانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس ، وكان يباشر الأمور بنفسه، ويقرب الفقهاء ، والعلماء والصالحة"[(1)].

من عدالة الأمير محمد موقفه من هاشم بن عبد العزيز، حيث كتب هاشم ضد رجل من خدم الأمير فقال الأمير لهاشم: هذا كتابك قال: نعم قال: ماذا ترى؟ قال التنكيل ، والتشريد قال الأمير لهاشم: خذ ضبارة من الكتب فيها مائة كتاب كل كتاب موجب لقتله ، وهو يقرأ هاشم يرتعد فجعل يحلف ويقول حسادي، والأمير أولي بالتشبث حتى تنكشف براءتي قال الأمير: رب عجلة أعقبت ندماً ، ثم أمر الأمير هاشم أن لا يعرف أحد من أصحاب البطائق التي اطلع عليها فإن علم أحد عاقبتك [(2)].

إن الأخبار الدالة على المنذر تدلل على عدالته، قيل إنه لما بلغه موت أبيه لم يمنعه ذلك من الاهتمام بأمور منطقة رية، بل ولى عليها سليمان بن عبد الملك بن أخطل، وعبد الرحمن بن حريش قد أحّبته الرعية، لقد بلغ من أخباره أنه أسقط العشور عن أهل قرطبة [(3)]

أما الأمير عبد الله، من أهم ما تميزت به سيرته العدل قال عنه ابن عذاري " فيرى الناس، ويشرف على أخبارهم وحركاتهم، ويسر بجماعاتهم، ويسمع قول المتظلم؛ ولا يخفى عليه شيء من أمور الناس. وكان يقعد أيضا على بعض أبواب قصره في أيام معلومة؛ فترفع إليه الظلامات، وتصل إليه الكتب على باب حديد قد صنع مشرحبا لذلك؛ فلا يتعذر على ضعيف إيصال بطاقة بيده، ولا إنهاء مظلمة على لسانه."[(4)].

قال عنه ابن حيان " فتح للعامة بابا محدثا تجاه قصر دانيا من مسكنه اقترب إليهم منه سماه باب العدل فيناديه متظلموهم ، ومستضعفوهم من قبله ينزع إجابتهم ويأمر بأخذ رقاعتهم ، فلا يخنزل حاجاتهم دونه ولا تحجب مظالمهم عنه ولا تزال ينزع من أجل ذلك مظالم ، ويؤمن الخائف فعظم الانتفاع بهذا الباب "[(5)].

---

(1)المقري ، نفح الطيب ،ج1 ،ص 342.

(2)مؤلف مجهول ، أخبار المجموعة في فتح الأندلس ،ص 142-143.

(3) ابن عذاري البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، ص280الخطيب أعمال الإعلام ،ص24.

(4)م.ن، ص302.

(5)المقتبس ، عهد الأمير عبد الله ، ص 58.

نستنتج من ذلك أن الأمير عبد الله، كان يسمع لقول المتظلم، والهدف هو إحقاق الحقوق وردع الظلمة ومن عظمته أن الجميع يصل إليه لا يتعذر الضعفاء من الناس للوصول إليه، وأن المظالم لا تحجب عنه .

من عدالة الأمير عبد الله الإحسان لمن يحسن الإساءة لمن يسيء لقد بلغه أن أيوب بن سليمان بن هاشم المعافر، والي السوق مكروه من الناس أصدر قرار بعزله لكراهية الأهالي له [1] .

عاشراً: الشورى:

اتصف كثير من حكام الأندلس بالشورى، حيث قال تعالى:﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [2] وقال أيضاً:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [3].

اختيار القضاة فعلى سبيل المثال القاضي معاوية ابن صالح الذي تولى القضاء في عهد عبد الرحمن الداخل، قال يحيي: فيما روي عن جعفر الطيالسي معاوية ابن صالح ثقة [4]. ولاختيار المنصب المناسب كان يستشير فيمن يولي منصب القضاء، ولقد أشار على ابنه هشام، وابن مغيث أن يعين مصعب ابن عمران، فرفض مصعب، وغضب عبد الرحمن ، وافتل شاربه فما كان منه، إلا أن قال عليك كذا وكذا ، ومن أشار بك [5].

أراد الحكم تقديم رجل من الفقهاء يختص به للشهادة، أخذ الحكم بآراء العلماء مثل يحيي بن يحيي، وعبد الملك، وغيرهما، فكان رأيهما أنه شديد الفقر، ولا تأمنه على حقوق المسلمين ولا سيما أنك تريد ظهوره في المواريث، والوصايا بقي الحكم مهموما ، وقال لابنه: عبد الرحمن ألا تري هؤلاء الذين نقدمهم وننوه عند الناس بمكانهم حتى كلفناهم ما ليس عليهم شطط بل ما لا يعيبهم قال عن عبد الرحمن لوالده أنت أولى الناس بالإنصاف ، أن هؤلاء ما قدمتهم أنت ولا نوهت بهم إنما قدمهم علمهم ، اقترح عبد الرحمن إعطاء الفقيه من ماله استدعي الحكم يحيي ،

---

(1)ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص55.

(2)آل عمران ،آية 159.

(3)سورة الشورى ،آية 38.

(4)الحميدي، جدوة المقتبس، ص304-307.

(5)ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص228.

وعبد الملك ، قال: كم من المال ما تغني الرجل قال كذا وكذا، أعطي الحكم الرجل مالاً ما يؤهله للغني [1].

نلاحظ مما سبق أن الحكم كان يأخذ بمبدأ الشورى، ولا سيما فيمن يتولى المناصب العليا، احترام الحكم رأي العلماء يحيي بن يحيي، وعبد الملك عندما أشار أن الرجل الذي تريده لا يصلح ، لأنه فقير لا يؤمن على حقوق الناس قبل الحكم بنصيحة ولده عبد الرحمن، عندما قال لوالده أن الذي قدمهم العلم هل ترضي للجاهل، وأشار بتنفيذ رغبة العلماء .

أما عبد الرحمن بن الحكم، فقد كثر القضاة في أيامه لأن المشاور في عزلهم وولايتهم يحيى بن يحيى الليثي؛ فكان لا يولى رجلا إلا برأيه؛ فكان يحيى بن يحيى، إذا أنكر من القاضي شيئاً، قال له: استعف وإلا رفعت بعزلك فكان يستعفي أو يشير يحيى بعزله، فيعزل[2].

واستشار عبد الرحمن بن الحكم العلماء في من يوليه منصب القضاء، قيل لما توفى يحيي بن معن بقي بلا قاض نحو ستة أشهر مبرر عبد الرحمن قال: " والله ما يمنعني من التعجل إلا النظر لهم بأني لا أجد رجلاً أرضاه غير واحد وهو لا يجيبني "[3] . نصحه أحد الجلساء بأن يعرض القضاء على يحيي بن يحيي، وإن رفض فعليه أن يدل على من يصلح لهذا المنصب ، وبالفعل نفذ عبد الرحمن تلك المشورة ، وبعث ليحيي بن يحيي رفض المنصب ؛ فأمره أن يدله على من يصلح للمنصب فرفض ، وكانت حجته انه لا يريد أن يشركه في جوره، فما كان من عبد الرحمن إلا إن فرض عليه المنصب ، وبقي ثلاثا وهو لا يمد يده لكتاب فما كان من يحيي إلا إن أشار أن يولى إبراهيم ابن عباس [4].

لقد استشار الأمير محمد العلماء بشأن القاضي عمرو بن عبد الله المعروف بالقبعة، المتهم بسرقة3000 دينار من أموال الأيتام، ولقد أخذ الأمير محمد بقول بقي بن مخلد أن يجبر ذالك من بيت مال المسلمين، فأخذ برأيه وعزل عمرو بن عبد الله[5].

---

(1)المقري، نفح الطيب ،ج3 ،ص 214-215.
(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص7 .
(3)النباهي، تاريخ قضاة الأندلس ، ص14.
(4)م.ن ص15.
(5)ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص86-87.

قال مؤمن بن سعيد لعمري لقد أزري بعمرو أبو عمرو ومثل أبو عمرو بوالده يزري

وقـــد كـــان عمـــرو يستضـــاء بنـــوره فأضـــحي أبـــو عمـــرو كســـوفا علـــى البـــدر[1]

وفي عهد الأمير عبد الله، وكان الوزراء يطالعون بآرائهم الخليفة في بطاقة، فطالعه وزيره النضر بن سلمة برأيه في أمر في ورقة، فلما وقف عليها لم يعجبه ذلك الرأي فكتب في أسفلها هذين البيتين[2]:

أنـــــت يـــــا نضـــــر آبـــــده لـــــيس ترجـــــى لفائـــــدة

إنمـــــا أنـــــت عـــــدة لكنيـــــف ومائـــــدة[3]

من عدالة الأمير عبد الله أنه شاور العلماء في قتل الزنديق، لقد شاور بقي بن مخلد في قتل الزنديق[4]، أفتي لا يقتل حتى يستتاب [5].

يتضح مما سبق حرص حكام الأندلس في عهد الإمارة على تطبيق مبدأ الشورى، خوفاً من الوقوع في الظلم واختيار الرجل المناسب في المكان المناسب.

حادي عشر: العفو:

حرص حكام الأندلس على تطبيق خلق العفو عند المقدرة، وهذا إن دل شئ إنما يدل على محبتهم لرعيتهم، فقد روي أن ثار على الأمير عبد الرحمن بن معاوية ثائر فغزاه وظفر به، وقد حمل على بغل فنظر إليه عبد الرحمن، وتحته فرس وقال:" يا بغل ماذا تحمل من الشقاق والنفاق؟ فقال الثائر: يا فرس ماذا تحمل من العفو والرحمة؟ فقال له عبد الرحمن: والله ما تذوق موتا على يدي أبدا"[6].وهناك أيضا موقف لعفو عبد الرحمن كان قادراً على أن يبطش

---

(1)ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص87.

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص154؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 353.

(3) المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 353؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص 122.

(4)ابن بشكوال ، الصلة . ص197.

(5)الذهبي، سير أعلام النبلاء،ص14،ص 156.

(6) ابن السماك، الزهرات المنثورة، ج2، ص11؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص 239.

بمعارضيه، إلا أنه بعد الانتهاء من موقعة المصارة[1]، "لا تستأصلوا شأفة أعداء ترجون صداقتهم" [2].

أن الحكم عفا عن، الفقيه طالوت الذي خرج عن الحكم، وهو من أهل ربض شقنده، وطالب بخلع الحكم، وتعيين أخيه المنذر، اختبأ طالوت عاما عند يهودي ثم ذهب لصديقه الكاتب أبو بسام فوشى به الحكم، وقام الحكم بتوبيخ طالوت، وتعنيفه فما كان من طالوت إلا أن قال كيف أخرج عنك، وسمعت مالك يقول سلطان جائر مدة خير من فتنة ساعة، فقال الحكم: انصرف إلى منزلك، وأنت آمن، ثم سأله أين اختبأ قال: عند يهودي[3].

وكذلك قام الحكم بالعفو عن قرعوس[4]، قيل إن قرعوس كلمه فتى على لسان الحكم قال: "مثلك من أهل الديانة، والأمانة في العلم يتابع السفلة فلو نفذ لهم أمركم، كان يهتك من الستور، ويستحل الفروج إلى أن يقوم يريح الناس، "قال معاذ الله أن أفعل وأن أقع في مثل هذا بيد أو لسان، قد سمعت مالكاً والثوري يقولان: سلطان جائر سبعين سنة خير من أمة سائبة ساعة من نهار، فقال له الحكم: أنت سمعت هذا منهما فخلى سبيله"[5].

ومن عفو الأمير عبد الله، موقفه العادل من أبناء هاشم بن عبد العزيز، حيث قام بإطلاق سراحهم وصرف عليهم ضياعهم وولى أحدهم الوزارة والقيادة [6].

---

(1) المصارة هذه الواقعة كانت لعبد الرحمن الداخل ضد يوسف الفهري " ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص131."

(2) المقري، نفح الطيب، ج3، ص42؛ السرجاني، قصة الأندلس من الفتح للسقوط، ج 1، ص157.

(3) م.ن، ج 2 ،ص 639؛ عياض ، ترتيب المدارك ،ج1 ، ص 293-294 ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص72/70 .

(4)قرعوس بن العباس بن قرعوس بن حميد، قرعوس سمع من مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وابن جريج وابن أبي حازم والليث لم يتحقق بالحديث تحقق بالمسائل كان متديناً ورعاً فاضلاً توفى أيام الأمير عبد الرحمن 220هـ= 835هـ عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص 285؛ ابن حيان، المقتبس، ص214.

(5) عياض، ترتيب المدارك، ج 1، ص 285.

(6)ابن عداري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ص 277.

من عفو الأمير عبد الله مع مماليكه انه ذات يوم اعتذر له أحد مماليكه فوقع على عدرة كاتباً "إن مخايل الأمور لتدل على خلاف قولك وتنبئ عن باطل تنصلك .ولو أقررت بذنبك، واستغفرت لجرمك، لكان أجمل بك، وأسدل لستر العفو عليك!"[1].

فقال له " مهلا عليك رويدا بل تقدمت لك خدمة وتأخر لك الغفران وما للذنب مجال بينهما وفد وسعك الغفران"[2].

ثاني عشر: الوفاء:

اتصف كثير من حكام الأندلس بالوفاء بالعهد يروى أن، عبد الرحمن الداخل أمر بألف دينار لمن يأتيه برأس عبد الرحمن الفهري[3][4]، فقام رجل يدعى مسكار بقتل عبد الرحمن الفهري وجاء برأس الفهري إلى عبد الرحمن الداخل فقام عبد الرحمن بمكافأته[5].

يبين لنا من هذه الرواية أن عبد الرحمن الداخل كان يفي بوعوده، فمن أخلاق الحكام الوفاء بالعهد.

ثالث عشر: حب العلم:

تميز حكام الأندلس في عهد الإمارة، بمحبتهم للعلم، حيث يروى أن عبد الرحمن الداخل، راجحَ العقل، راسخَ الحِلم، واسعَ العلم، كثير الحزم، نافذ العزم[6].

أما الأمير هشام بن عبد الرحمن، فقد كان محبا في أمور البر مقربا للعلماء، والصلحاء مؤيدا منصورا فتشبه بورعه وهيبته وزهده، بعمر بن عبد العزيز[7].

---

(1)الخطيب ، أعمال الأعلام ،ص 26؛ ابن عداري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ج1، ص206.

(2)م.ن ،ص 26.

(3) عبد الرحمن بن حبيب الفهري، المعروف بالصقلبي، لأنه كان طويل أشقر مثل الصقالبة، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص 203 ؛ العبادي، التاريخ العباسي والأندلسي، ص312.

(4) النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج23، ص203.

(5) العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، ص 11.

(6) المقري، نفح الطيب، ج 3، ص49 .

(7) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص120.

أما الأمير الحكم بن هشام، فكان فصيحاً، بليغاً، شاعراً مجيداً، أديباً، نحوياً[1]؛ أما الأمير عبد الرحمن الأوسط، فكان أديباً شاعراً جواداً من أسمح الناس، وأنداهم كفا وأكثرهم عطفا وأوسعهم فضلاً، كانت أيامه على طولها أيام سكون، وأمن وعافية وطمأنينة واستقامه من الرعية، ما خرج عليه منها خارج ولا قام عليه قائم فكانت أيامه أطيب الأيام وأسرها كادت أن تكون كلها أعياداً بخصبها، وكثرة خيراتها ودعتها وأمنها، وسرورها فكان يقال لأيامه أيام العروس[2].

أما الأمير محمد بن عبد الرحمن فقد كان مستكملاً لكل خير جامعا لكل فضيلة محبا للعلوم مؤثرا لأصحاب الحديث عارفا بمصالح دنياه وأخراه حسن السيرة، وقال عنه الفقيه بقي بن مخلد:" ما رأيت من الملوك أكمل عقلا[3]، ولا أبلغ لفظاً من الأمير محمد بن عبد الرحمن، ولقد دخلت عليه ذات ليلة يوم في مجلسه فأفتتح الكلام بحمد الله ثم أثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الخلفاء فحلى كل واحد منهم بحليته، ووصفه بصفته وذكر ما آثره وسيرته بأفصح لسان وأوضح بيان حتى انتهى إلى نفسه فحمد الله تعالى على ما قلده وشكره على ما خوله وسكت"[4].

أما المنذر بن محمد قال ابن القوطية:" من أهل العقل، والسخاء، والإكرام لأهل العلم، والصلاح.[5]"

بينما الأمير عبد الله بن محمد قيل عنه، متفننا في جميع العلوم النافعة للدين والدنيا تاليا لكتاب الله[6]".

---

(1)الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 269؛ ابن عذاري ، البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ص173.

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص139.

(3) ابن خلدون، العبر في خبر من غبر، ج 2، ص 58.

(4) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص147.

(5)تاريخ افتتاح الأندلس، ص113.

(6) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص153.

المبحث الثاني

انحرافات حكام الأندلس في عهد الإمارة عن الأخلاق الإسلامية

أولاً: الظلم:

لجأ حكام الأندلس إلى وسائل عنيفة، تصل إلى إزهاق الأرواح؛ في سبيل حماية مناصبهم وإلى شن حملات عسكرية من أجل الحفاظ على مناصبهم ونذكر منها:

قتل عبد الرحمن بن معاوية، ابن أخيه المغيرة سنة (167هـ =783م)، وقتل معه الصميل بن حاتم، ونفى أخاه الوليد بن معاوية إلى العدوة بماله [1].

ترى الباحثة: إذا كان ابن أخي المغيرة مخطئاً، فما ذنب أخويه الوليد أن ينفى، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [2] .

ومن تجاوزات عبد الرحمن الداخل، التمييز العنصري، يذكر أن سبب عداوة عبد الرحمن الداخل لسليمان الأعرابي، أن عبد الرحمن كان يميل إلى المضرية ، ويعادي اليمنية التي ينتمي إليها سليمان الأعرابي [3].

تقبل نصيحة مستشاريه الذين أشاروا عليه بعدم الخروج للعامة، وكانت حجتهم أن عيون العامة، لا تأمن بوادرهم عليه فليس الناس ، كما عهدوا فترك يومئذ الجنائز ، وحضور المحافل ووكل إليها ولده هشاماً[4] .

ترى الباحثة: أن عبد الرحمن الداخل لا يصح أن يستجيب لرأي مستشاريه، فالتقرب من الرعية لا يضيع الهيبة، لقد كان السلف الصالح يتقربون إلى الرعية وكان لهم هيبة.

---

(1)المقري، نفح الطيب ، ج3،ص46.

(2)سورة الزمر، آية 7.

(3) العبادي، التاريخ العباسي والأندلسي، ص312.

(4)المقري ،نفح الطيب، ج2، ص 37.

ومن تجاوزات الأمير هشام بن عبد الرحمن، قطع لسان أبا المخشي في عهد والده عبد الرحمن أن الشاعر أبو المخشي كان يمدح سليمان بن عبد الرحمن ، وهو شقيق هشام كانت بينهم منافسة[1]؛ مما أثار عليه حقد هشام، ثم إن الشاعر قال بيتا من الشعر يعرض فيه:

وليسوا مثل من أن سئُل عُرفاً   يُقلبُ مقلةً فيها اعورارا

كان هشام أحول العين؛ فاغتاظ لذلك واستدعاه هشام إلى مدينة مارده، التي كان والياًعليها، فرحل الشاعر طامعا في جائزته، فأمر هشام بقطع لسانه[2].

ترى الباحثة أن الشاعر لو ارتكب جريمة لا يكون العقاب بقطع اللسان، ونرى أن هشام تجاوز الحد في عقوبته للشاعر أبو المخشي.

قام هشام بن عبد الرحمن بشراء الذمم:قال الشنتريني " زاد من مشيخة الشورى من مال العين ففرض لكل واحد خمسة عشر ديناراً، مشاهرة على خبث أصله وتساهلوا في مأكل لم يستطبه فقيه مثلهم على اختلاف السلف في قبول جوائز الأمراء الذين سبكوا خبائث الضرائب."[3] على ومن تجاوزات هشام، تعيين الوزير القزاز حيث اتصف بالظلم والجور، وكسدت تجارة قرطبة [4].

أما الأمير الحكم بن هشام، كان من نتيجة سياسته اختلال ميزان العدل، ويقظة العنصرية، والشعور بالظلم أن وقعت في عهده مذبحتان كبيرتان[5]:

إحداهما لأهل طليطلة، وفي سنة (191هـ=807م)، أوقع الحكم بأهل طليطلة، فقتل منهم ما يزيد على خمسة آلاف رجل من أعيان أهله[6]؛ فلما أعيا الحكم شأنُهم أعمل الفكرة، فاستعان

---

(1) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ،ص 57.

(2) العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي، والأندلسي، ص322.

(3)الشنتريني ، الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،ج5 ، ص 517 .

(4)م.ن، ص 51.

(5) عويس، عبد الحليم، العصبية القومية، وأثرها في سقوط الأندلس، ص50 .

(6) وكان سبب ذلك أن أهل طليطلة كانوا قد طمعوا في الأمراء وخلعوهم مرة بعد أخرى، وقوِيت نفوسهم ؛ ولحصانة بلدهم وكثرة أموالهم، فلم يكونوا يطيعون أمراءهم طاعةً مُرْضِيةً(ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص344 ؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23، ص 214).

بعمروس بن يوسف المعروف بالمولد، وأظهر طاعة الحكم ودعا إليه فاطمأنّ إليه لهذا السبب؛ واستقدمه فقدِم عليه، فبالغ الحكم في إكرامه وأطلعه على عزْمه في أهل طليطلةفوافقه عليه، وكتب إلى أهلها يقول ' إنني قد اخترت لكم فلاناً وهو منكم لتطمئنّ قلوبكم إليه وأعفيتكم ممّن تكرهون من عُمّالنا ومَوالينا، ولتعرفوا جميل رأينا فيكم ' ومضى عمروس ودخل طليطلة فأنس أهلها به واطمأنوا إليه وأحسن عشرتهم[1] .

وأمر بإحضار وجوه أهل طليطلة، في الحاضرة والبادية فحضروه، وصنع لهم وليمة وادخلهم قصره عشرة بعد عشرة، وضرب رقابهم حتى ملأ بهم حفرة عظيمة كانت في رحبة القصر قتل منهم سبعمائه رجل، وقيل قتل منهم خمسة آلاف ومائتي رجل، فأتى رجل فلم ير أحدا فقال: أين الناس فقيل: إنهم يدخلون من هذا الباب ويخرجون من الباب الآخر، فرأى بخار الدم يصعد من القصر فقال:" هذا والله بخار الدم لا بخار الطعام يا أهل طليطلة قتل والله أشرافكم وخياركم وفقهاؤكم[2]". وأعلم الناس هلاك أصحابهم فكان سبب نجاة من بقي منهم فذلت رقابهم بعدها وحسنت طاعتهم بقية أيام الحكم وأيام ولده عبد الرحمن[3].

أما المذبحة الثانية فهي أكثر بشاعة وأعمق أثراً، وقد وقعت في العاصمة قرطبة، من جراء الشعور بالظلم والكراهية لسياسة الحكم، وأخلاقه الشخصية، وتحريض الدعاة وعلماء الإسلام عليه وتشنيعهم به، وقد استجاب لهم سكان حي الربض[4].

وفي سنة(198هـ=813م)، كانت وقعة الربض بقرطبة، وسببها أن الحكم كان كثير التشاغل بالشرب واللهو والصيد وغير ذلك مما يُجانسه[5]، قام الفقهاء إنشاد أشعار الزهد والحض على قيام الليل في الصوامع؛ أعني صوامع المساجد وأمروا أن يخلطوا مع ذلك شيئا من التعريض به مثل أن يقولوا: يا أيها المسرف المتمادي في طغيانه المصر على كبره المتهاون بأمر ربه، أفق من سكرتك وتنبه من غفلتك، وما نحا هذا النحو فكان هذا من جملة ما هاجه وأوغر صدره

---

(1) الكامل في التاريخ، ج5، ص344 ؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23، ص 214

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص131، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص67

(3) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص67

(4) عويس، عبد الحليم، العصبية القومية، وأثرها في سقوط الأندلس، ص53

(5) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23، ص 217

عليهم، وكان أشد الناس عليه في أمر هذه الفتنة الفقهاء هم الذين كانوا يحرضون العامة ويشجعونهم[1].

وسبب ثورة الربض، قام الحكم بقتل، عشرة من رؤسائهم وصلبهم، فهاج لذلك أهل الربض، وانضاف إلى ذلك أن مملوكاً له سلّم إلى صيْقل سيفاً ليصقله له فمطلة الصقيل، فأخذ ذلك المملوك السيف ولم يزل يضرب به ذلك الصقيل إلى أن مات، وذلك في شهر رمضان، فكان أول من شهر السلاح أهل الرَّبض القبلي، واجتمع أهل الأرباض جميعهم بالسلاح، واجتمع الجُند والأمويون والعبيد بالقصر، وفرق الحكم الخيل والسلاح[2] .

وحكى أبو مروان بن حيان صاحب أخبار الأندلس أنه لما تسور عليه القصر وأحس بالشر قال لأخص غلمانه اذهب إلى فلانة إحدى كرائمه، وقل لها تعطيك قارورة الغالية فأبطأ الغلام وتلكأ فأعاد ذلك عليه فقال: يا مولاي هذا وقت الغالية فقال له ويلك يا ابن الفاعلة بم يعرف رأسي إذا قطع من رءوس العامة إن لم يكن مضمخا بالغالية، ثم إنه ظهر بعد هذا عليهم وذلك أنهم كانوا يقاتلون القصر وعامة الحشم والجند يشغلونهم إلى أن دهمتهم الخيل من ورائهم، فانهزموا وقتلوا قتلا قبيحا وأمر بديارهم ومساجدهم فهدمت وحرقت[3] ، وأمر بنفي من بقي منهم عن البلاد فخرجوا حتى نزلوا جزيرة إقريطش من جزائر البحر الرومي المقابلة لبر برقة أول المغرب، فلم يزالوا هنالك سنين إلى أن تفرقوا فرجع بعضهم إلى الأندلس، واختار بعضهم سكنى صقلية وانتقل بعضهم إلى الإسكندرية [4].

وقد كان من آثار تلك السياسة العنصرية العنيفة للحكم الربضي، بقى ثغر برشلونة في يد النصارى، ولم يسترده المسلمون بعد ذلك[5].

أما الأمير عبد الله فمن تجاوزاته للعدل أنه قام بقتل والديه، وأخيه القاسم: قال عنه ابن حزم " كان قاتلا تهون عليه الدماء مع ما كان يظهر من غضبه فانه احتال على أخيه المنذر لما

---

(1) المراكشي، المعجب، ج 1، ص 20.
(2) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23، ص 217.
(3) المراكشي، المعجب، ج 1، ص 21.
(4) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص132 ؛ المراكشي، المعجب، ج 1، ص 21؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص 173.
(5) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص132 .

قصده بالعسكر وواطأ عليه حجاما سم المبضع الذي قصده به، ثم قتل ولديه معا بالسيف واحداً بعد واحد، وقتل أخاه القاسم ثالثهم إلى قتل من غيرهم "[1].

ومن ظلم الأمير عبد الله أيضاً، ظلم الوزير سليمان بن وانسوس[2]، قال عنه الأمير عبد الله:

هلوفـــــة كأنهـــــا جوالــــــق نكــــراء لا بــــارك فيهـــا الخـــالق

للقمـــــل فــــي حافاتهـــا نفـــائق فيهـــا لبـــاغي المتكـــا مرافـــق

وفـــي احتـــدام الصـــيف ظـــل رائـــق إن الـــــذي يحملهـــا لمـــــائق[3]

ثم قال له اجلس يا بربري فجلس فغضب وقال: " يا أيها الأمير إثما كان الناس يرغبون في هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم ، وأما إذا صارت حالته للذل فغنينا عنكم فإن حلتم بيننا وبينها فلنا دور تسعنا لا تقدرون على أن تحولوا بيننا وبينها ثم وضع يده في الأرض وقام من غير أن يسلم ثم نهض لمنزله ووأمر الأمير بعزله "[4].

الأمير عبد الله فقد بعث الوليد بن غانم ليرضيه دخل عليه الوليد ولم ينهض قال له الوليد: لماذا لم تنهض قال سليمان لأني كنت حينئذ عبد مثلك، والآن أنا حر يئس منه ابن غانم ورجع للأمير يخبره ظل الأمير يبعث له حتى أرضاه ورضه لأفضل ما كان عليه[5].

يتضح لنا أن الأمير عبد الله تراجع عن ظلمه لسليمان والوصف الذي وصفه له فلم يستمر عبد الله بظلمه، وبعث ليرضه وبالفعل أرضاه ورده لأحسن، ها هي الأخلاق الإسلامية لدى الأمير عبد الله، فهذا الموقف يحسب للأمير.

---

(1)رسائل ابن حزم ،ج2 ، ص21.

(2) الوزير سليمان بن بن محمد بن أصبغ بن عبد الله وانسوسالمكناسي، جليلاً أديباً، من رؤساء البربر وكان جده أصبغ رئيسا بماردة مطاعا ثار فيها على الأمير الحكم بن هشام فملكها لنفسه (الحلة السيراء ، ج1 ، ص160؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ج 22 ص 185).

(3) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج1، ص80؛ ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج1 ، ص123؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ج 22 ص 185.

(4)ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ج، ص123؛ الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج1، ص80؛ الذهبي، تاريخ الإسلام, ج 22, ص 185.

(5)ابن الآبار ،الحلة السيراء ،ج1،ص 124.

ومن ظلم الحكام في الأندلس قتل العلماء:

وفي عهد الحكم بن هشام، قتل الفقيه أبو زكريا يحيي بن مضر القيسي يحيي بن مضر القيسي صلب عام 189هـ ، كان عالما متقنا قتل بسبب الهيج، حيث أراد خلع الحكم بن هشام [1]كان قدوة في الدين، والورع سمع من سفيان، ومالك بن أنس روي عنه مالك قال: حدثنا يحيي بن مضر عن سفيان الثوري أن الطلح المنضود هو الموز، وكان المدعو قتل مع جماعة من العلماء وغيرهم [2].

قتل الحكم بن هشام، اثنين وسبعين رجلا من أشراف أهل قرطبة، وعلمائها، وفقهائها وصلبهم[3]، ومنهم أبو كعب عبد البر ، ويحيي بن مضر ومسرور بن الخادم ، وسبب ذلك أنهم أرادوا الغدر به ، وهموا بالخلاف عليه وطلبوا رئيسا يقومون به[4]، فخافه الناس، وذعر منه جميع أهل الأندلس[5].

قال ابن حزم عنه "كان طاغيا مسرفا له آثار سوء قبيحة هو الذي أوقع بأهل الربض الواقعة المشهورة" فقتلهم وهدم ديارهم ومساجدهم[6].

وقال عنه "من المجاهرين بالمعاصي السفاحين للدماء لدينا الحكم صاحب الربض ، وقد كان من جبروته أن يخصي من اشتهر بالجمال من أبناء الرعية ليدخلهم قصره"[7] .ذكر أن هناك كثيراً من تضرر ، بسبب ظلم الحكم لقد قام الحكم بخصي طرفة بت لقيط، وأخيه عبد الله بن لقيط، ونصر صاحب منية نصر أبوه من مسالمة أهل الذمة ، وشريح صاحب مسجد شريح [8].

---

(1) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص325.

(2)المقري ، نفح الطيب ، ج1، ص 324.

(3) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص131.

(4)ابن عذاري و البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب،ص 247.

(5) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص131.

(6)رسائل ابن حزم ،ج 2 ،ص 192.

(7)ابن سعيد ، المغرب في حلى الغرب ،ج 1 ، ص 17؛ فوات الوفيات ،الكتبي ، ج1 ، ص371.

(8)ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ج 2 ،ص 75.

ومن تجاوزات الأمير المنذر للعدل قام (سنة 273هـ=886م)، أمر الأمير المنذر بسجن هاشم بن عبد العزيز وزير أبيه وخاصته، وأمر بقتله؛ وقتل الوزير هاشم بن عبد العزيز؛ وسبب قتله أبيات الشعر قالها:

أعـــزي يـــا محمـــد عنـــك نفســـي ‏ ‏ ‏ ‏ معـــــاذ الله والأيـــــدي الجســــام

فهـــلا مـــات قـــوم لـــم يموتـــوا ‏ ‏ ‏ ‏ ودوفـــع عنـــك لـــي يـــوم الحمـــام

كـــأن المـــوت صـــادف منـــك غنمـــا ‏ ‏ ‏ ‏ أو استشـــفى بقربـــك مـــن ســـقام[1]

بعث بـه الأميـر لـيلاً، فقتلـه ، وسـجن أولاده، وحاشـيته، وانتهـب مالـه، وهـدم داره، وألقـي اده بالسجن، وأغرمهم مائتي ألف دينار، فلم يزالوا في السجن حتى موت المنذر [2].

وكان الأمير المنذر سيئ الخلق أول أمره كثير الإصغاء للوشاة مفرط القلق لما يقال في جانبه، معاقبا لمن يقدر على معاقبته، كثر التشكي على المنذر، فما كان من والده عبد الرحمن، إلا أن وضعه في جبل منقطع عن العمران لا يزوره أحد، ضجر من ذلك وقيل له أمر والدك كتب المنذر لوالده " إني قد توحشت في هذا الموضع توحشا ما عليه من مزيد وعدمت فيه من كنت آنس إليه، وأصبحت مسلوب العز فقيد الأمر والنهي فإن كان ذلك عقابا لذنب كبير ارتكبته ، وعلمه مولاي ولم أعلمه فإني صابر على تأديبه ضارع إليه في عفوه وصفحه وإن أمير المؤمنين، وفعله لك الدهر لا عار بما فعل الدهر[3]. لما علم عبد الرحمن أدبه قال له " وصلت رقعتك تشكو ما أصابك من توحش الانفراد في ذلك الموضع وترغب أن تأنس بخولك، وعبيدك، وأصحابك، وإن كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكناك في ذلك المكان، وما فعلت ذلك عقابا لك وإنما رأيناك تكثر الضجر والتشكي من القال والقيل فأردنا راحتك[4].

---

(1) الأصبهاني، الأغاني، ج7، ص169؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص189؛الخطيب أعمال الإعلام ،ص24–25؛ابن حمدون، التذكرة الحمدونية ج 4 ص 210.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص189؛الخطيب أعمال الإعلام ،ص24–25.

(3)المقري ، نفح الطيب ، ج3 ،ص574–575.

(4)المقري ، نفح الطيب, ج3 ، ص575–576.

بينما الأمير محمد، فهو لم يستجب لأقوال العلماء، سأل الأمير أبو وهب عبد الأعلى بن وهب عن الورع ، فقال له عبد الأعلى يطلب أهل الربض ويرد عليهم مصرياتهم وما أخذ لهم أو قيمته فظهر على الأمير إنكار ذلك وأمره بالقيام [1].

ومن تجاوزاته للعدل، عزل القاصي سليمان بن أسود[2]: إن عزله ليس عيبا في سليمان ، ولكن عزل من أجل تحقيق مصلحة دنيوية، وهي شراء دار للأيتام لكرائمه قيل إن سليمان شطط في ثمنها ، وأشار هاشم بن عبد العزيز على الأمير بعزله ويعين أبو عبد الله عمرو بن عبد الله الذي سيساعد الأمير في شراء دار الأيتام لكرائمه، وكان ذلك [3] .

تعيين إبراهيم ابن حسين بن عاصم لتولي أحكام السوق ، والشرطة:غلب على أهل الشر وقتل وصلب بلا مشاورة سلطان ولا فقيه قصد بذلك التشديد عام المجاعة لما كثر تطأول أهل الشر إذ جيئ بالفاسد يقال له اكتب وصيتك يعلم انه مقتول ثم يأمر بصلبه لقد كان شديدا ، تجاوز الحد من الأمثلة على الظلم قوم جاءوا بفتي من جيرانهم يريدون زجره، وقال شيخ القوم إنه يستحق ما يستحق هؤلاء وأشار إلى المصلبين على وجه التغليظ قال إبراهيم للقوم: اذهبوا وقال للفتي اكتب وصيتك قال الفتي: اتق الله لم يبلغ ذنبي القتل وصلبه ، وعلم القوم إن الفتي قتل ، وقالوا لم نشهد بما يوجب قتله فقال: ألم تقل يا هذا كذا قالوا إنما قاله على المثل قال فأثمه في رقابكم [4].

---

(1) عياض ، ترتيب مدارك ، ج1،ص 446.

(2) سليمان بن أسود بن يعيش بن سليمان بن جشبيد بن المعلى بن إدريس بن محمد بن يوسف الغافقي من أهل قرطبة يكنى أبا أيوب . (ابن الفرضي، تاريخ العلماء بالأندلس، ج 1، ص 218).

(3)ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ،ج1 ، ص100/99.

(4) عياض ، ترتيب مدارك ، ج1،ص 458.

ثانياً: الولع بالموسيقا والغناء:

عندما تولى الأمويون الحكم في الأندلس أولعوا بالغناء والموسيقا، وأجزلوا العطايا للمغنين والموسيقيين[1].

وفي عهد الأمير الحكم بن هشام، دخل الأندلس من المغنين علون وزرقون فنفقا عليهم وكانا محسنين لكنّ غناءهما ذهب لغلبة غناء زرياب عليه[2] .

كتب زرياب رسالة لأمير الأندلس الحكم بن هشام، وخاطبه وذكر له نزاعه إليه واختياره إياه، ويعلمه بمكانه من الصناعة التي ينتحلها ويسأله الإذن في الوصول إليه فسر الحكم بكتابه، وأظهر له من الرغبة فيه والتطلع إليه وإجمال الموعد ما تمناه، فسار زرياب نحوه بعياله وولده وركب بحر الزقاق إلى الجزيرة الخضراء فلم يزل بها حتى توالت عليه الأخبار بوفاة الحكم، فهم بالرجوع[3]، فكان معه منصور إليهودي المغني رسول الحكم إليه، فثناه عن ذلك ورغبه في قصد القائم مقام الحكم، وهو عبد الرحمن ولده وكتب إليه بخبر زرياب، فجاءه كتاب عبد الرحمن يذكر تطلعه إليه والسرور بقدومه عليه وكتب إلى عماله على البلاد أن يحسنوا إليه ويوصلوه إلى قرطبة، وأمر خصيا من أكابر خصيانه أن يتلقاه ببغال ذكور وإناث وآلات حسنة، فدخل هو وأهله البلد ليلا صيانة للحرم وأنزله في دار من أحسن الدور، وحمل إليها جميع ما يحتاج إليه وخلع عليه . وبعد ثلاثة أيام استدعاه وكتب له في كل شهر بمائتي دينار راتبا وأن يجرى على بنيه الذين قدموا معه، وكانوا أربعة عبد الرحمن وجعفر وعبيد الله ويحيى عشرون دينارا لكل واحد منهم كل شهر، وأن يجرى على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار منها لكل عيد ألف دينار، ولكل مهرجان ونوروز خمسمائة دينار، وأن يقطع له من الطعام العام ثلاثمائة مدي ثلثاها شعير وثلثها قمح، وأقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع ما يقوم بأربعين ألف دينار [4].

فقد استمع عبد الرحمن الأوسط، لزرياب غناه يوما فأطربه فأعطاه ثلاثة آلاف دينار[5].

والواضح أن زرياب كانت لديه خشية من قدومه إلى الأندلس عندما علم بوفاة الحكم؛ لاعتقاده أن عبد الرحمن الأوسط، لن تكون له الحماسة تجاه زرياب ما لأبيه، غير أنه وجد العكس، فإن

---

(1) حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، ج2، ص338.

(2) المقري، نفح الطيب، ج3، ص130.

(3)م.ن، ص124.

(4) م.ن، ص 125.

(5) ابن سعيد المغربي، المغرب، ج1، ص51.

ما منحه عبد الرحمن لزرياب يعد من دائرة الترف والإسراف؛ حيث بولغ في استقباله وإكرامه هو وابناؤه؛ ويدل على ذلك ولع بعض الحكام الأمويين بحياة الترف التي لا تستقيم عندهم من غير مجالس اللهو والغناء[1].

وقد بني عبد الرحمن الأوسط، داراً عرفت دار المدنيات بالقصر، تنسب لجارية تدعي فضل المدينة كانت حاذقة بالغناء كاملة الخصال[2] .

---

(1) زيارة، نادر فرج، الترف، ص184.

(2) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4، ص 241؛ المقري، نفح الطيب، ج 3، ص140.

الفصل الرابع

حكام الأندلس في عهد الخلافة بين الالتزام بالأخلاق الإسلامية والتفريط

- **المبحث الأول**: مظاهر التزام حكام الأندلس في عهد الخلافة بالأخلاق الإسلامية:
- **المبحث الثاني**: انحرافات حكام الأندلس في عهد الخلافة عن الأخلاق الإسلامية:

المبحث الأول

مظاهر التزام حكام الأندلس في عهد الخلافة بالأخلاق الإسلامية

عند التأمل في سير حكام الأندلس في عهد الخلافة؛ نلاحظ أنهم قد التزموا بوجه عام بالأخلاق الإسلامية؛ يتبين ذلك من خلال النقاط الآتية:

أولاً: العدل:

تحلى خلفاء الأندلس بوجه عام بالعدل، وتقدم مصادرنا روايات عدة من عدلهم، ففي عهد عبد الرحمن الناصر[1]، ضاعت لرجل صرة من المال، فقال إن الذي يجدها له عشرة دنانير، فجاءه رجل بها، فلم يعطه عشرة دنانير، فقال: إن الصرة بها مئة وعشرة، واتهمه أنه أخذ العشرة، أي أخذ حقه، عرضت القصة على الناصر، فقال: صدق الرجل الذي جاء بالصرة، ولو لم يكن صادقاً ما جاء بها، وقال صدق التاجر فهي ليست صرته، فصرته مائة وعشرة، والصرة التي جاء بها الرجل مائة، وأمر برد الصرة إلى الرجل [2].

ومن صور العدل عند الخليفة الناصر، احترامه للسلطة القضائية، وما يصدر عنها من أحكام، يُفهم ذلك من أن الخليفة الناصر احتاج إلى شراء دار بقرطبة، لحظية من نسائه أراد أن يكرمها، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخي نجدة، وكان أولاد زكريا أخي نجدة أيتاما في حجر القاضي، فقيل للناصر: لا يجوز إلا بأمر القاضي؛ لأنه هو الوصي على دار الأيتام، فقال القاضي: لا يجوز بيعها إلا لحاجة أو وهي الشديد، أو غبطة، أما الحاجة فلا حاجة لهؤلاء

---

(1) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معأوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، أمه: أم ولد تسمى مزنة. كنيته. أبو المطرف، لقبه: الناصر لدين الله، وهو أول منْ لُقِّب بأمير المؤمنين ببلاد الأندلس، وكان منْ قَبله يُسمَّون ببني الخلائف، أعظم بني أمية بالمغرب سلطانا وأفخمهم في القديم والحديث شانا وأطولهم في الخلافة بل أطول ملوك الإسلام قبله مدة وزمانا ولي بقرطبة، سنة ثلاثمائة، عند وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد وتوفي في شهر رمضان سنة خمسين وثلاثمائة، فكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام لم يبلغها خليفة قبله (ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص197؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص207؛ بن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج3، ص330؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23، ص 232 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج 3، ص3).

(2)ابن سعيد ،المغرب في حلى المغرب ’ص 126؛ الصفدي الوافي بالوفيات ، ج18 ،ص 137.

الأيتام ببيعها، وأما الوهي فليس فيها، وأما الغبطة مكانها فأمر وصي الأيتام بنقض الدار، وبيع أنقاضها ففعل ذلك، وباع الأنقاض فكانت لها قيمة أكثر مما قومت به للسلطان، فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها فأحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك فأرسل عند ذلك للقاضي منذر وقال له: أنت أمرت بنقض دار أخي نجدة فقال له: نعم فقال: وما دعاك إلى ذلك قال أخذت فيها بقول الله تعالى: " أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا[1]" مقوموك لم يقدروها إلا بكذا وبذلك تعلق وهمك فقد نض في أنقاضها أكثر من ذلك وبقيت القاعة والحمام فضلا ونظر الله تعالى للأيتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك وقال :نحن أولى من انقاد إلى الحق فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيرا[2].

ندرك مما سبق احترام الناصر للسلطة القضائية، فهو عندما أراد شراء دار الأيتام قيل لا يجوز إلا بأمر من القاضي، واحترم ذلك واتجه للقضاء لكي يشترى الدار، وحكم القضاء بأنه لا يجوز كما يتبين عدل القضاة، فهم لم يخونوا مهنة القضاء، وحكموا العدل، فلا فرق ولا تمييز عندهم بين العامة والخليفة.

ومن عدالة الناصر كذلك أنه كان يقسم دخل مملكته أثلاثا، ثلث للجند، وثلث يدخره في بيت المال، وثلث ينفقه على الزهراء، [3] وقيل: إن جبايته مقسومة ثلاثة أقسام للجند وللبناء والضرائر [4]

ومن الشواهد أيضا على عدالة الناصر هو أن معتوهاً تصدى له، وثار في وجهه وصاح عليه صياحا منكرا، وهرول نحوه، ومد يده إلى شكائم عنانه، يريد القبض عليه، فقام جنده من الصقالبة بقتل المعتوه يحسبونه خارجيًا، عاين عبد الرحمن الموقف، وعرف بحمقه، وسب الخصيان، وأغلظ عليهم، وأمر بالسؤال عن أولياء المقتول، وتعهدهم بالإحسان[5].

---

(1) سورة الكهف، آية 79.

(2)المقري ، نفح الطيب، ج2 ، ص 16-17 . الإسبيلي، مطمح الأنفس، ج 1، ص 253.

(3)الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8 ،ص286.

(4)الخطيب، أعمال الاعلام، ص 38.

(5)ابن السماك، الزهرات المنثورة،ج2، ص20.

لقد أدرك الناصر بفطنته الخطأ الذي ارتكبه جنده، فلم يبرر خطأهم ولم يهمل الحدث الذي أدى إلى قتل بريء خطأ، فوبخ جنده لتسرعهم، وعزم على تعويض أهل المعتوهالذي قتل خطأ،وهذا يؤكد على حرصهعلى العدل واحقاق الحق [1]

وكان عبد الرحمن الناصر إذا أخطأ أو ظلم يتراجع عن الخطأ أو الظلم، فعندما شتم العلماء الذين أفتوا بعدم أخذ أحباس المرضي، اعتذر إليهم وقال: أمير المؤمنين يعتذر إليكم، ويعلمكم بندمه، على ما فرط منه أنه متبصر في أعدادكم، ولقد أمر لكل واحد منكم بصلة وكسوة، علامة لرضاه عنكم، فدعوا له، وقبضوا ما أمر لهم به، وانصرفوا غالبين لم يمسسهم سوء[2] .

كما تحلى بالعدل الخليفة المستنصر[3]، وهناك روايات عدة تبين ذلك، منها: أن امرأة منقطعة كان لها أرض تجاور بعض قصور الأمير، فاحتاج إليها ليبني فيها شيئاً مما أراد بناءه، فسأومها الوكيل في البيع فامتنعت، فأخذها الوكيل قهراً، وبنى فيها منظرة بديعة، وأنفق عليها جملة وافرة، فوقفت المرأة لابن بشير القاضي، وقصّت عليه قصّتها، فركب حماره، وجعل عليه خرجاً كبيراً لا يطيق حمله إلا جماعة من الرجال، وقصد الزهراء، والمستنصر في تلك المنظرة، فدخل عليه فقال: ما جاء بالقاضي في هذا الوقت ؟ فقال: أُريد ملءَ هذا الخرج من تراب هذا الموضع، فتعجَّب منه الحكم، وأمر فمُلِئَ الخرج، ثم خلا القاضي به فقال: أدل عليك أدلال العلماء على الملوك الحلماء أن لا ينقل هذا الخرج على الحمار إلا أنا وأنت، فضحك الحكم وقال: كيف نطيق ذلك أيها القاضي؟ فبكى ابن بشير وقال: فكيف نطيق أن نطوق هذا المكان أجمعه من سبع أرضين، في حلقي وحلقك يوم القيامة، وأنا شريكك في الإثم، إن رضيت هذا الحكم ؟ وقصّ

---

(1) الصوفي , العدل عند حكام الأندلس في عهدي الإمارة والخلافة, ص86.

(2)عياض، ترتيب المدارك ، ج2 ، ص81؛ الطرطوشي، سراج الملوك، ج 1، ص 25.

(3) الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، ويلقب بالمستنصر بالله، ، وهو التاسع من أمراء بني أمية ببلاد الأندلس، إذ ولي سبعٌ وأربعون سنة، يُكنى أبا العاص ؛ أُمه أُمُّ ولد اسمها مَرجان، وكان حسن السيرة، جامعاً للعلوم محباً لها مكرماً لأهلها وكانت إمارته خمسٍ عشرة سنة، وخمسة أشهر، وتوفى سنة ست وستين وثلاثمائة.

(ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ج2، ص193 ؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر،ج1، ص 228؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص 234).

عليه القصة، فبكى الحكم وقال: وعظْت فأبلغت أيها القاضي، ثم خرج عن المكان وسلّمه إلى المرأة ما بُني فيه وغُرس[1] .

تؤكد الرواية السابقة على احترام الحكم المستنصر للعلماء، والاستجابه لنصائحهم الذي كان لها أثر على شخصيتهم فصححت اعوجاجهم، وردوا المظالم إلى أصحابها.

وهذا إن دل إنما يدل على عداله النظام الحاكم في الأندلس، ولا سيما في عهد المستنصر، فهو لا يريد أن يكون أحد من رعيته مظلوماً.

ومن عدالة الحكم المستنصر التحذير من أكل أموال اليتامى؛ إذ قال للقاضي منذر " لقد بلغني أنك لا تجتهد للأيتام، وأنك تقدم لهم أوصياء سوء، يأكلون أموالهم، قال نعم: وإن أمكنهم .. لم يعفوا عنهم، قال: وكيف تقدم مثل هؤلاء؟! قال لست أجد غيرهم، ولكن أحلني على اللؤلؤي، [2] وأبى إبراهيم ومثل هؤلاء، فإن أبوا أجبرتهم بالسوط والسجن، ثم لا تسمع إلا خيرا[3]".

تبين الرواية السابقة حرص الحكم المستنصر، على تعيين أوصياء أمناء على الأيتام، فمن مقتضيات العدل عند الحاكم أن يكون الحاكم عادلاً مع الأيتام استجابة لقوله تعالى:" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ**[4]

وكان الخليفة المنصور بن أبى عامر[5] مهتماً بتحقيق العدل، والشواهد على ذلك كثيرة، منها:

---

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص 235.

(2) اللؤلؤي ، محمد بن أحمد أبو بكر اللؤلؤي يقال أحمد بن عبد الله بن أحمد الأموي هذا قول ابن الفرضي وغيره سئل خالد بن سعيد يوم عن مسألة عويصة فقال للسائل على أبي بكر اللؤلؤي فإليه تأتي الأحمال الكبار وإنما تأتينا المحتملات (عياض ، ترتيب المدارك ، ج2 ، ص 91).

(3)الإسبيلي، مطمح الأنفس، ج 1، ص 275 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج2 ،ص 19 ؛ النباهي ، قضاة الأندلس ،ص 73.

(4)سورة النساء، آية 29.

(5) هو محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الداخل إلى الأندلس أول الفتح وهو معافري النسب، أمه برهة بنت يحيى بن برطال، دخل جده عبد الملك المعافري الأندلس، مع طارق بن زياد في أول الفتح. (مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس ، ص175).

أن تاجراً قدم، ومعه كيس فيه ياقوت نفيس، فتجرد ليسبح في النهر، وترك الكيس، وكان أحمر على ثيابه، فرفعته حدأة في مخالبها، فجرى تابعا لها، وقد ذهل، فتغلغلت في البساتين، وانقطعت عن عينه، فرجع متحيرا، فشكا ذلك إلى بعض من يأنس به، فقال له: صف حالك لابن أبي عامر، فتلطف في وصف ذلك بين يديه، فقال ننظر إن شاء الله تعالى في شأنك، وجعل يستدعي أصحاب تلك البساتين، ويسأل خدامها عمن ظهر عليه تبديل حال، فأخبروه أن شخصًا ينقل الزبل اشترى حماراً وظهر من حاله ما لم يكن قبل ذلك، فأمر بمجيئه، فلما وقعت عينه عليه، قال له أحضر الكيس الأحمر، فتملك الرعب قلبه وارتعش وقال دعني آتي به من منزلي، فوكل به مسرة صاحبه، فجبره، ودفعه إلى صاحبه، فقال والله لأحدثن في مشارق الأرض ومغاربها أن ابن أبي عامر يحكم على الطيور، وينصف منها، والتفت ابن أبي عامر إلى الزبال، فقال له لو أتيت به أغنيناك، لكن تخرج كفافا لا عقابا ولا ثوابا [1].

تبين الرواية السابقة أن للمنصور بن أبى عامر، هيبة لقد استغلها في إرجاع الحقوق لأصحابها، وإن دل على ذلك يدل على عدالته.

أن إرجاع المنصور ابن عامر، الحقوق إلى أهلها وحرصه على ذلك يؤكد عدالته، ويروى أن أحد تجار المشرق قصد المنصور ومعه أحجارٌ كريمة، أعطاه المنصور صرة ثمينة، وأراد التاجر الاغتسال في نهر قرطبة، وإذ بحدأة تحمل الصرة تحسبها لحما، اغتم الرجل، وسأل عنه المنصور، وعرف بالقصة، فأمر بالسؤال على من تغير حاله، قيل جنان، فأمر بإحضاره ضرب سراويله، وأخرج الصرة، فرح التاجر، فقال الجنان، صرفت عشرة، قال التاجر: منحتها لك، قال ابن عامر: أنا أولى بتعويض التاجر عشرة دنانير، وأعطى الجنان عشرة دنانير لعدم إفساد الصرة [2].

تبين الرواية حرص المنصور بن أبى عامر على إرجاع الحقوق إلى أصحابها، كما تبين كرمه فلقد عوض التاجر عشرة دنانير الذي صرفها الجنان، إذ تبين الروايات السابقة سهولة وصول أناس بسطاء للحاكم، وهذا إن دل إنما يدل على عدالة النظام الذي كان سائداً في الأندلس.

---

(1)المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص401-402.

(2)م.ن ، ص412-413؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ص396.

ووصل عدل المنصور في الخاصة والعامة، واطرحه المهاودة، وبسطه الحق على الأقرب فالأقرب من خاصته وحاشيته، أمر مضروب به المثل(1).

ومن عدالة المنصور ابن أبى عامر أن الرعية كانت تتوجه إليه تشكو من كل ظالم، على سبيل المثال أحد عوام الناس توجه للمنصور ابن عامر يشكو الوصيف قائلاً: يا ناصر الحق إن لي مظلمة عند ذلك الوصيف، قال: دعوته للحاكم فلم يأت، فقال المنصور أو عبد الرحمن ابن فطيس بهذه المنزلة من العجز والمهانة، قال له: اذكر مظلمتك، فذكر الرجل معاملة بينهما، قال ابن عامر: ما أعظم بليتنا بالحاشية، وقال للوصيف: انزل صاغراً، إما يرفعه الحق، أو يضعه، قال لصاحب الشرطة: خذ بيد هذا الظالم، وقدمه لصاحب المظالم، لينفذ الحكم من سجن أو غير ذلك، قال المنصور للرجل: انتصفت وبقي انتصافي فيمن تهأون في منزلتي، وتنأول الوصيف بأنواع من الذلة وأبعده عن الخلافة (2).

إن توجه الرعية إلى الخليفة مباشرة، ليرفعوا مظالمهم التي لم يتمكن القاضي من حلها، دليل على تمتعهم بعدل المنصور، وإن تدخل المنصور بنفسه لحلها يؤكد حرصه على تحقيق العدل قي عهده.

ويروى أن محمد فصّاد المنصور وخادمه وأمينه على نفسه، فإن المنصور احتاجه يوما إلى الفصد، وكان كثير التعهد له فأنفذ رسوله إلى محمد فألفاه الرسول محبوسا في سجن القاضي محمد بن زرب لحيف ظهر منه على امرأته قدر أن سبيله من الخدمة يحميه من العقوبة، فلما عاد الرسول إلى المنصور بقصته أمر بإخراجه من عمله عنده ثم يرده إلى محبسه، ففعل ذلك على ما رسمه، وذهب الفاصد إلى شكوى ما ناله فقطع عليه المنصور وقال له: يا محمد إنه القاضي وهو في عدله ولو أخذني الحق ما أطقت الامتناع منه عد إلى محبسك أو اعترف بالحق فهو الذي يطلقك فانكسر الحاجم وزالت عنه ريح العناية وبلغت قصته للقاضي فصالحه مع زوجته وزاد القاضي شدة في أحكامه(3).

وهذا يدل على أن المنصور ابن عامر كان يطبق القانون على جميع أفراد رعيته حتى على موظفيه .

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص269 .

(2) م.ن ، ص269 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص 409-410 .

(3) م.ن، ص 413؛ م.ن، ص 410، 411.

كما يروى أن هناك خصومة بين التاجر المغربي وفتاه البورقي، والبورقي وهو أكبر خدم المنصور توجهت يمين على البورقي ظن أن الجاه يمنع أحلافه صرخ التاجر للمنصور في طريقه للجامع متظلما من الفتي فوكل أمر الفتي للحاكم أنصف منه وسخطه والمنصور قبض نعمته على الفتاه ونفاه [1].

تؤكد الرواية السابقة على حرص المنصور بن أبى عامر، على إنصاف المظلومين حتى لو كانوا من المقربين إليه، أو كبار خدمه.

وقد عرض على المنصور بن أبي عامر اسم أحد خدمه في جملة من طال سجنه، وكان شديد الحقد عليه، فوقع على اسمه، بأن لا سبيل إلى إطلاقه، حتى يلحق بأمه الهاوية، وعرف الرجل بتوقيعه، فاغتم وأجهد نفسه في الدعاء والمناجاة، فرق المنصور إثر ذلك، واستدعى النوم فلم يقدر عليه، وكان يأتيه عند تنويمه آت كريه الشخص، عنيف الأخذ، يأمره بإطلاق الرجل ويتوعده على حبسه، فاستدفع شأنه مرارا، إلى أن علم أنه نذير من ربه، فانقاد لأمره، ودعا بالدواة في مرقده، فكتب بإطلاقه، وقال في كتابه: هذا طليق الله على رغم أنف ابن أبي عامر، وتحدث الناس زماناً بما كان منه[2] .

تبين الرواية على تقوى المنصور ين أبى عامر، وخوفه من الله، بدليل أن المنصور قال: هذا طليق الله على رغم أنف ابن أبي عامر، أما القول بأن آت كريه كان لابن عامر.

تلك هي بعض أخبار الخليفة المنصور، وهي تشير بوضوح إلى العدل الذي تحقق في عهده، فهو يحرص على تحقيق العدالة بين كل المواطنين في الدولة، لا فرق بين حاكم ومحكوم، وبين مواطن ومواطن، حتى لو كان المواطن من عناصر البلاط أو المسؤولين في الحكم والدولة، أو حتى لو كان من حاشية المنصور ذاته[3].

---

(1)المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص410 ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ص 395.

(2)م.ن، ص 419.

(3) الأحمد، ناصر بن محمد، المنصور بن عامر، ص10.

وقد شهد المؤرخون بعدالة عبد الملك ابن عامر فقال الذهبي:" كان عبد الملك ابن عامر [1] ذا سعد عظيم وكان فيه حياء مفرط يضرب به المثل كان من الشجعان فدامت الأندلس في أيامه في خير وخصب وعز [2].

وقال ابن الخطيب: "كان مراقباً لله، محباً للصالحين، يظهر العدل، ويحمي الشرع، وينصر المظلوم، ويوفي الرعية، ويقمع عدو الدين .... وكان مما تقرب به إلى قلوب الناس إسقاط سدس الجباية عن جميع البلاد "[3]

يلاحظ مما سبق أن عبد الملك بن عامر اتصف بالأخلاق الإسلامية، مراقبة الله، ومحبة الصالحين وإظهار العدل، وإعطاء الرعية حقها، ونصرة المظلوم، وحماية الشرع، وقمع عدو الدين .

ومن الدلائل على عدالة عبد الملك تفقده للسجون والكشف عمن طال سجنه، كما هجر اللهو، والراحة، واستبدل للسهر والإشراف على شؤون الرعية بنفسه، وقام بإصلاح ما كان فاسداً في أمره، وقد تم له ذلك فأصلحت أحوال البلاد، وازدادت الثروة المالية [4].

اتصف علي بن حمود[5] بالعدل واهم ما قيل عنه:" لما صارت إليه الولاية قهر البرابر وأمضى الأحكام، وأقام العدل وكان مفتوح الباب مرفوع الحجاب يقيم الحدود ثم سار رأيه في الناس فألزمهم المغارم وانتزع منهم السلاح [6].

---

(1)عبد الملك ابن عامر لما توفي الحاجب ابن عامر قام في منصبه ابنه الملقب المظفر أبو مروان عبد الملك بن محمد فجرى في الغزو والسياسة، والنيابة عن هشام المؤيد، وحجابته مجري أبيه، وكانت أيامه أعياداً دامت سبع سنين إلى أن مات، توفي سنة 399هـ، وثارت الفتن بعده. (الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج17 ،ص124؛ الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج1، ص28؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص25).

(2)سير أعلام النبلاء ، ج17 ، ص124.

(3)أعمال الأعلام ، ص84.

(4) م.ن ، ص86، 89.

(5) علي بن حمود بن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن ادريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، كنيته أبو الحسين، أمه حره بنت عم أبيه اسمها قرشية، عمره أربع وخمسون سنة(مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص205، 206؛ ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ص 96 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص97؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص135) .

(6) الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص129.

وقيل عنه أيضاً: "تقدم من القهر للناس بالغلبة حتى صار أقل الرعية يرفع أعتاهم إلى الحكام بما شاء من وجوه الدعاوي يتحرى عليها الأحكام فبرقت الدعاوي للعدل يومئذ بارقة، وجلس بنفسه لمظالم الناس وهو مفتوح الباب مرفوع الحجاب للوارد والصادر يقيم الحدود مباشرة بنفسه لا يحاشي أحداً من كبار قومه من بعض ما جرى في مجلس له مباشرته إقامة الحدود بنفسه[1]".

وقيل عنه:" ذهب رحمه الله مذهب العدل، وظهرت له سيرة محمودة وآثار كريمة وحكم على البربر فرد أموال الرعية وصلح أمر الناس في أيامه [2]".

وقيل أيضاً: علي ابن حمود كان حازماً عادلاً حسن السيرة وكان قد عزم أن يعيد لأهل قرطبة أموالهم التي أخذها البربر [3].

يتبين مما سبق تبين ما يلي أن حكم ابن حمود للرعية كان بالغلبة وقوة السلاح، ومن الأمور الدالة على عدله أنه كان يجلس بنفسه للنظر في مظالم الناس، وكان بيته مفتوحاً للرعية، لا حاجب ولا وارد. أما القاسم بن حمود[4] فقد تولى عام(408هـ= 1017م) أقام ثلاث سنوات، وأربعة أشهر، خلع وفر إلى إشبيلية [5]. وقيل عنه كان يتشيع قليلا وبقي في الملك إلى سنة (412هـ= 1021م)[6].

---

(1)الشنتريني، الذخيرة من محاسن أهل الجزيرة ، ج1 ، ص97-98.

(2) مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص 206 .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 9 ، ص273.

(4)هو أمير المؤمنين القاسم بن حمود بن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، كنيته أبو محمد، لقبه المأمون، بويع له الخلافة سنة 408هـ، بعد مقتل أخيه علي بن حمود، فأقام خليفة ثلاث سنين، وأربعة أشهر.(مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص207؛ ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ج2، ص200 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 100 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص517).

(5) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس ،ص206.

(6)الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج17 ، ص؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 100 136.

أما يحيي بن علي بن حمود[1] فقد بويع له بالخلافة سنة(412 هـ= 1021م) فتحبب إلى الناس، فقرب منازلهم، وأسقط عنهم نصف الخراج، وسرح السجون، وقرب العلماء والفقهاء، وأجزل العطايا للقواد قتل عام (417هـ=1026 م)[2].

ثانياً: الجهاد:

كانت الأندلس يوم تولي عبد الرحمن الناصر الحكم، في حالة من الفوضى، وكانت الحروب الداخلية والفتن المتلاحقة التي استمرت طوال حكم المنذر، وأخيه عبد الله، قد أرهقت الإمارة الأندلسية، وكانت مهمته خطيرة وصعبة، وكان سنه ثلاثاً وعشرين سنة، لذلك بايعه كل أصحاب المكانة، ولم ينافسه أحد لخطورة المهمة التي كانت ستواجه مَن يتولى الحكم في الأندلس في ذلك الحين، لكن عبد الرحمن كان أميراً حازماً، وذكياً عادلاً، وعاقلاً شجاعا[3].وكانت أول غزوة للناصر، هي غزوة المنتون، فتح فيها سبعين حصنا[4].

التقى عبد الرحمن الناصر، مع ابن حفصون في وادي التفاح بجيّان، وكان ابن حفصون في عشرين ألف فارس، فهزمه عبد الرحمن وأفنى أكثر من معه قتلاً وأسْراً [5].

ولم يزل عبد الرحمن يغزو حتى أقام العوج ومهد البلاد ووضع العدل وكثر الأمن ثم بعث جيشا إلى المغرب الأوسط، فملك سبتة، وفاس، وسجلماسة، وعمّرها، وغزا برغواطه بناحية سلا وقتل ابن حفصون، وصارت الأندلس أقوى ما كانت وأحسنها حالا وصفا وجهه للروم وشن الغارات على العدو وغزا بنفسه بلاد الروم اثنتي عشرة غزوة ودوخهم ووضع عليهم الخراج ودانت له ملوكها فكان فيما شرط عليهم اثنا عشر ألف رجل يصنعون له في مدينته التي بناها وسمّاها الزهراء[6]

---

(1) هو أمير المؤمنين يحيي بن علي بن حمود، ولد سنة 384هـ، بويع له الخلافة سنة 412هـ، بعد فرار عمه عن قرطبة، كنيته أبو محمد، أمه حرة بنت عم أبيه اسمها البونة، لقبه المتعلي بالله، (مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس، ص207).

(2) مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص 207.

(3)م.ن، ص160، 161.

(4)م.ن، ص161.

(5)م.ن، ج23، ص233؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8، ص267 .

(6) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص233؛ م.ن، ج 8، ص267 .

وفي عام (301هـ= 914م)، سيطر الناصر على إشبيلية، وسرقسطة[1].

وفي سنة(308هـ= 920م)غزوة موبش، ومعركة الفرج، الفرج، يذكر أن المشركين من أهل جليقية أتوهم في جمع كثير؛ فأغاروا على ما لاقوه في بسيطهم من الدواب والسوام، ثم عرجوا على حصن بقربهم، يعرف بالقليعة؛ فأحدقوا به طامعين في التغلب عليه؛ فانحشد إليهم جميع أهل المدينة بفارسهم وراجلهم، وواضعوهم القتال بأثبت بصائرهم؛ فمنحهم الله – عز وجل – أكتاف الكفرة، وأطال أيديهم عليهم؛ فقتلوا وأسروا كثيرا منهم، واتبعوهم من أول النهار إلى آخره، والسيف يعمل فيهم، وبعثوا بجملة من رؤوسهم؛ فاستبشر الناصر بما ورده وتفال باسم المحلة التي كان فيها عند ورود الفتح عليه[2].

وفي سنة (332هـ=944م)، أغزى الناصر لدين الله القائد أحمد بن محمد بن إلياس إلى جليقية؛ فدخل دار الحرب؛ فغنم، وأحرق جملة من حصونهم، وفي سنة (337هـ=948م)، كانت وقيعة أرتقيرة على العدو[3].

وفي سنة (339هـ=951م)، أخرج الناصر قائده أحمد بن يعلى نحو جليقية، فافتتح ثلاثة حصون، وسبى نحوا من ألف سبية، وفي سنة 340، كانت للمسلمين غزوات على الروم، منها فتح على يد قائد بطليوس بجيليقة، هزمهم أقبح هزيمة، قتل جملة من حماتهم ومقاتلتهم، وسبى من نسائهم وذراريهم نيفا على ثلاثمائة رأس؛ ووصل ذلك السبي إلى قرطبة؛ وفتح آخر على يدي أحمد بن يعلى قائد الناصر؛ وفتح آخر على يدي رشيق قائد الناصر على طلبيرة؛ وفتح آخر على يدي يحيى بن هاشم النجيبي[4].

وفي سنة(351هـ=962م)، غزا الحكم المستنصر بالله، بلاد الروم؛ ففتح بها حصونا كثيرة ومدنا جليلة، وسبى وغنم، وانصرف غانما ظافرا[5]، وفي سنة 354هـ، أمر الحكم بعمل الأجفان

---

(1)مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص161.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 216.

(3) م.ن، ص234 .

(4) م.ن، ص236، 237 .

(5) م.ن، ص244 .

الغزوانية في جميع سواحله، وفيها خرج غازياً إلى بلاد الجوف فقتل، وسبي، وقفل بعشرة آلاف سبيه[1] وفي سنة 366هـ، غزى الحكم قواده إلى جليقية، وبرشلونة، وبشكنسة، فقتلوا، وسبوا[2].

لما توفى الحكم ولى ولده هشام صغيراً فأهمل الأمور[3]، وترك الغزو فانتشرت الروم في كل جهة من ثغور المسلمين، وتطاولوا إلى البلدان، وسبوا، وغنموا، فقدم الناس من الثغور يشكون ما حل بهم فعز ذلك على المنصور بن أبي عامر، وعرض نفسه على جعفر المصحفي، ليجاهد العدو بنفسه، والقيام بحروبه على أن يختار في الجند، ويجهز معه العساكر، ويعطيه مائة ألف دينار للنفقة على الجند فأعطى ما أراد من المال، وجهز معه من الجيوش ما شاء فتوجه إلى غزو جليقية، وهي أول غزواته، ففتح فيها فتوحات[4]، وكان ذا همة عالية في الجهاد، مواصلاً لغزو الروم، وربما خرج لصلاة العيد فيقع له فيه الجهاد، فلا يرجع إلى قصده ويركب من فوره بعد انصرافه من الصلاة، فلا يصل إلى أوائل الدروب إلا وقد لحقه كل من أراد من العساكر، وغزا ستاً وخمسين غزوة[5] لم يهزم قط في غزاة[6].

أما عبد الملك المظفر ابن المنصور، فغزا ثماني غزوات بعد موت أبيه، غزا برجلونة، وغزا جليقية، وغزا قشتيلة، ومات في غزاته الثامنة [7].

ولى مكانه أخوه عبد الرحمن الناصر، أربعة أشهر ونصف الشهر ، وقتل سنة 399هـ، قتله محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله[8]، ولم تذكر المصادر العربية عن جهاده لسبب قصر مدته في الخلافة.

---

(1)مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص171

(2)م.ن، ص173

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص25

(4)مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص176

(5) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص237

(6)مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص185

(7)م.ن، ص195

(8)الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص306؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص195

ثالثاً: الشجاعة:

ومن شجاعة عبد الرحمن الناصر في الأندلس، قال النويري: وولي والأندلس نار تضطرم، وجمرةٌ تتّقد شقاقاً ونفاقاً، فأخمد نيرانها وسكّن زلازلها، وغزا غَزوات كثيرة، وكان يُشبّه بعبد الرحمن الداخل، ولم يجد من المال ما يستعين به على مصالح جيشه، فاتفق أن صاحب الدُّوجَر أغار على قرطبة في نحو ثلاثمائة فارس، فهزمه عبد الرحمن وأسره . فسّم إليه الحصن بجميع ما فيه فتقوّى به، ثم التقى مع ابن حفصون في وادي التفاح بجيّان، وكان ابن حفصون في عشرين ألف فارس، فهزمه عبد الرحمن وأفنى أكثر من معه قتلاً وأسْراً[1].

وبعث إلى المغرب الأوسط، فملك سبتة وفاس وسجلماسة وعمّرها، وغزا الروم بعد ذلك اثنتي عشرة غزوة حتى دوّخ بلادها، ووضع عليهم جزية يؤدونها . وكان فيما شرط عليهم اثنا عشر ألف صانع يصنعون له في مدينته التي بناها وسمّاها الزهراء[2] .

وما يحكى عن شجاعة المنصور بن أبي عامر، وتوسع رقعة البلاد الإسلامية الأندلسية، في عهده، ما أورد عن شجاع مولى المستعين بن هود، لما توجهت إلى مدينة سالم وقد نصب على قبر المنصور بن أبي عامر سريره وامرأته متكئة إلى جانبه، فقال لي: يا شجاع، أما تراني قد ملكت بلاد المسلمين وجلست على قبر ملكهم قال فحملتني الغيرة أن قلت له: لو تنفس صاحب هذا القبر وأنت عليه ما سمع منك ما يكره سماعه ولا استقر بك قرار، فهم بي فحالت امرأته بيني وبينه وقالت له صدقك فيما قال أيفخر مثلك بمثل هذا[3].

رابعاً: الحزم:

اتصف عبد الرحمن الناصر، بالحزم، والقوة، والحنكة السياسة، ومن المواقف التي تدل على الحزم لعبد الرحمن الناصر، تصديه لمدعي النبوة في جبال غمارة حميم، قيل إن عام (325هـ=937م)، ادعى رجل النبوة بجبال غمارة وديانته مليئة بالانحرافات، الصلاة صلاتان، واحدة عند طلوع الشمس، والثانية عند غروبها، ثلاث ركعات، في كل صلاة ويسجدون وبطون أيديهم تحت وجههم، وأما قرآنهم ففيه: خيلني من الذنوب يا من خلا البصر ينظر في الدنيا،

---

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23، ص 233.

(2) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23، ص 233؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8، ص267.

(3) المقري، نفح الطيب، ج1، ص399.

أخرجني من الذنوب يا ما أخرج موسى من البحر، أما ركوعهم آمنت بحميم وبأبي يحلف صاحبه، وآمنت بثاليث عمة حميم ثم يسجد، وكانت ثاليث كاهنة، ومن الانحرافات فرض الصيام صوم يوم الاثنين، والخميس إلى الظهر، وصوم يوم الجمعة، وصوم عشر أيام من رمضان، ويومين من شوال، ومن أفطر عمدا يوم الخميس، كفارته يتصدق ثلاث عروض من البقر، ومن افطر يوم الاثنين كفارته ثوران، أما الزكاة فالعشر من كل شيء، وأسقط الوضوء والطهر من الجنابة، وأسقط الحج، وأحل أكل أنثى الخنزير، وقال: إن الحوت لا يؤكل إلا بزكاة، وحرم أكل البيض، ورؤوس الحيوانات بعث الناصر بجيش عظيم، والتقى عند جيش مسمورة، وقتل حميم، وبعث برأسه إلى قرطبة ورجع تبعه إلى الإسلام [1].

نلاحظ مما سبق أن الناصر كان يتعامل بحزم مع الانحرافات الدينية؛ التي تهدف إلى الإساءة إلى الإسلام عقيدة وعبادة ومنهاجاً، فهكذا أمور لا يصح التعامل معها إلا بالحزم والشدة.

لقد تصرف الناصر بحزم مع أي موظف يتصف بالفساد، أو يفعل أشياء قبيحة، في أحد الأيام رفع للناصر لدين الله عن محمد بن يحيي بن عمر بن لبابة [2] أشياء قبيحة أمر الناصر إسقاط منزلته من الشورى وألزمه بيته ومنعه من الإفتاء[3].

استقرت الأمور المالية لبني أمية وازدادوا ثراءً عن طريق مناصبهم الإدارية أو أقطاعاتهم وأعمالهم، واستغل بعض منهم منصبه في جمع الأموال، فتصدى الخليفة الناصر له كما لأحد وزرائه الأمويين، وهو محمد بن سعيد المعروف ابن السليم؛ الذي تولى المناصب العديدة من الولايات، فجمع أموالاً كثيرة أنكر عليه الخليفة وقال له " ما بال رجال من خاصتنا توسعوا في دنيانا، فطفقوايحتجون الأموال، ويضيعون تعمدنا، وهم يرون غليظ مؤونتنا في الإنفاق على شؤوننا التي بقدرتنا عليها صلاح أحوالهم ورفاهية عيشهم. ويعلمون أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قسطاس الموازين، قاسم عماله أرباحهم في تجاراتهم؛ فجعلها في بيت المال، وهو من هو، وهم من هم، والأسوة في فعله فسكت ابن السليم عنه وغالطه في تعرضه

---

(1) مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص166.

(2)محمد بن يحيي بن عمر بن لبابة ابو عبد الله بلقب بالبربري ابن أبي الشيخ ابن لبابة جل سماعه من عمه محمد بن عمر بن لبابة ت 336هـ (ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ص 348؛ عياض ، ترتيب المدارك ،ج ،ص 80).

(3) م.ن ، ص 348-349؛ م.ن، ص 80.

كأنه يعني غيره، فازداد الناصر حنقا عليه وغيظا؛ فقال له يوما في بعض مجالسه الخاصة معه، وقد أخذ الشراب منه، وشق تفاحة بسكين في يده: "وددت أن أشق هكذا رأس من أعرف له مالا كثيرا غله دوننا، ولم يسهم بيت المال منه: فطار عقل ابن السليم، ولم يختلجه الشك في أنه المعني به؛ فقام بين يديه، وقال: "يا أمير المؤمنين طال ما عرضت بي فسكت؛ بلى والله إن عندي مالا كثيرا، وهو دون ظنك فيه، حطته بالتقتير، وأعددته للدهر العثور، ولست والله أعطيك منه درهما، فما فوقه، ورأيك في جميل إلا أن تستحل وأعوذ بالله أن تمد يدك إليه بغير جناية مني عليك فإن الأنفس محضرة الشح. قال: فخجل الناصر[1] وأطرق يتلو قول الله تعالى: **إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ**[2].

نلاحظ مما سبق أن من حزم الناصر، أنه كان يحاسب عماله فلا مجال للفساد في دولة الناصر رد محمد بن سعيد فإنه نفي تهم الفساد وقال إن ما عنده من مال كان نتيجة تدبيره وانه يستبعد أن يحل الناصر ما حرم الله في التعدي على هذا المال .

أما عن الحزم عند الحكم المستنصر، فقد ضرب بيد من حديد وتشدد على الشعراء الهجائيين الذين ينالون من أعراض الناس، ففي عام (361هـ=972م)، كما أمر الحكم صاحب مدينة الزهراء محمد بن أفلح بمطاردة الشعراء الهجائيين لصون أعراض الناس من ألسنتهم، وكان منهم عيسى بن قرلمان، ملقب بالزبراكة، ومؤنس الكاتب أحمد بن الأسعد، ويوسف بن هارون البطليموسي، وغيرهم ظفر صاحب المدينة بهم وأودعهم السجن، اختفى البطليموسي، ثم سلم نفسه لصاحب المدينة، بعد مدة رق الخليفة لمحنتهم، وأمر الإفراج عنهم [3].

وحزم المنصور بن أبي عامر، وشدته في ضبط أمور الأندلس، وحرصه على نشر العدل في حكمه؛ وتتوفر العديد من الروايات التى تصور الحزم منها ، أنه كان بقرطبة في عهده فتى من أهل الأدب، قد رقّت حاله في الطب، فتعلق بكتاب العمل، واختلف إلى الخزانة مدة، حتى قلد بعض الأعمال، فاستهلك كثيرا من المال، فلما ضم إلى الحساب، أبرز عليه ثلاثة آلاف دينار، فرفع خبره إلى المنصور، فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه ولزم الإقرار بما برز عليه، قال له: يا فاسق، ما الذي جرأك على مال السلطان، تنتهبه؟! فقال: قضاءٌ غلب الرأي، وفقر أفسد

---

(1)ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ج1، ص240.

(2)سورة محمد، أيه 37.

(3) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص491-492.

الأمانة، فقال المنصور والله لأجعلنك نكالا لغيرك، ليحضر كبل وحداد، فأحضر فكبل الفتى، وقال احملوه إلى السجن، وأمر الضابط بامتحانه والشدة عليه، فلما قام أنشأ يقول:

أواه أواه وكـــــــــــــــــم ذا أرى أكثـــــــــر مـــــــــن تـــــــــذكار أواه

مـــــا لأمـــــرىء حـــــول ولا قـــــوة والحـــــــــــول والقـــــــــــوة لله

فلما سمع المنصور، منه هذين البيتين من الشعر أمره برده وقال له: أتمثلت أم قلت؟ قال الفتى بل قلت، فأمر المنصور بفك قيده، فأنشده الفتى يقول:

أمـــا تـــرى عفـــو أبـــي عـــامر لا بـــــد أن تتبعـــــه مِنَّـــــه

كـــــذلك الله إذا مـــــا عفـــــا عـــن عبـــده أدخلـــه الجنَّـــة

فأمر بإطلاقه، وسوغه ذلك المال، وأبرأه من التبعة فيه [1].

ومن صور الحزم عند المنصور: أنه كان حريصاً على تنقية المجتمع الإسلامي من الشوائب، نضرب مثالاً على ذلك قام المنصور بإحراق ما كان في خزائن الحكم من كتب الدهرية، والفلاسفة، بمحضر كبار العلماء، منهم الأصيلي، وابن دكوان، والزبيدي، وغيرهم واستولى على حرق جميعها بيده[2].

وإنّ المنصور عندما قام بحرق الكتب كان بحضور العلماء؛ أي إن العلماء يوافقون المنصور على حرقه للكتب، فالمنصور يفعل ذلك من أجل القضاء على الانحرافات الفكرية والشوائب التي كانت سائدة آنذاك .

وكان المنصور حازماً مع الرعية يشهد على ذلك معاملته لصاعد بن الحسن، لما كذب على المنصور، أمر أن يقذف بكتاب الفصوص في النهر فقال صاعد: عاد إلى معدنه إنما توجد في قعر البحار فصوص [3]. إن تصرف ابن عامر مع صاعد تصرف عدل عندما اكتشف كذب صاعد أمر برمي كتابه في النهر .

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج1، ص 418، 419 .

(2)ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ص397.

(3)ابن بسام، الذخيرة في محاسن الجزيرة، ج7، ص16.

ومما يروى عن حرص المنصور بن أبي عامر، على شؤون الدولة وحرصه على نشر الأمن أنه، كان جالسا في بعض الليالي، وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر؛ فدعا بأحد الفرسان، وقال له: انهض إلى فجّ طليارش، وأقم فيه؛ فأول خاطر يخطر عليك، سقه إليَّ. قال: فنهض الفارس، وبقى في الفج في البرد والريح والمطر واقفا على فرسه، إذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له، ومعه آلة الحطب؛ فقال له الفارس: إلى أين تذهب، يا شيخ؟ فقال: وراء حطب. فقال الفارس في نفسه: هذا شيخ مسكين نهض إلى الجبل يسوق حطبا. فما عسى أن يريد المنصور منه؟ قال: فتركته. فسار عنّي قليلا؛ ثم فكرت في قول المنصور، وخفت سطوته؛ فنهضت إلى الشيخ، وقت له: ارجع إلى مولانا المنصور. فقال: وما عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي؟ سألتك بالله أن تتركني لطلب معيشتي، فقال له الفارس: لا أفعل ثم قدم به على المنصور، ومثله بين يديه، وهو جالس، لم ينم ليلته تلك. فقال المنصور للصقالبة: فتشوه ففتش؛ فلم يوجد عنده شيء؛ فقال: فتشوا برذعة حماره، فوجدوا داخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا إلى المنصور، يحزمون عنده إلى أصحابهم من النصارى ليقبلوا ويضربوا في إحدى النواحي المعلومة. فلما انبلج الصبح، أمر بإخراج أولئك النصارى إلى باب الزاهرة؛ فضربت أعناقهم، وضربت رقبة الشيخ معهم[1].

ومن حرص المنصور على الأمن أنه في أحد الأيام ولقد وقعت عينه على بارقة سيف قد سله بعض الجند بأقصى الميدان لهزل أو جد، بحيث ظن أن لحظ المنصور لا يناله فقال المنصور: علي بشاهر السيف فمثل بين يديه لوقته فقال له: ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه إلا عن إذن؟ فقال الجندي: إني أشرت به إلى صاحبي مغمدا فزلق من غمده. فقال: إن مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه ونودي عليه بذنبه[2] .

وكان كذلك للمنصور موقف مشرف ضد الزنادقة، ولا سيما ضد عبد العزيز الخطيب الذي قال:

قال ما شئت إلا ما شاءت الأقدار   فاحكم أنت الواحد القهار

فكأنما أنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم   **وكأنما أنصارك الأنصار**

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 270؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص411

(2) م.ن، ص419؛ ابن السماك ، الزهرات المنثورة ، ج2 ،ص 15.

عاقبه المنصور بضربه خمسمائة سوط نودي عليه باستخفافه ثم حبسه ونفاه بعد ذلك عن الأندلس [1].

خامساً: الحلم :

وهناك موقف للمنصور ابن عامر تجلى في هذا الموقف عظمته وحلمه، هذا الموقف مع الشاعر المعروف أبي عمر يوسف الرمادي قال له ابن عامر كيف ترى حالي معك؟ قال: فوق قدري ودون قدرك غضب المنصور ندم الرمادي وقال: أخطأت والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق ما كان ضرني لو قلت له إني بلغت السماء وتمنطقت بالجوزاء وأنشدته:

متـــــى يــــأت هــــذا المــــوت لا يلــــف حاجـــة
لنفســـــــي إلا قـــــــد قضـــــــيت قضـــــــاءها

استغل حساد الرمادي وقالوا " وصل الله لمولانا الظفر والسعد إن هذا الصنف صنف زور وهذيان لا يشكرون نعمة ولا يرعون إلا ولا ذمة كلاب من غلب وأصحاب من أخصب وأعداء من أجدب وحسبك منهم أن الله جل جلاله يقول فيهم " وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ[2]" إلى ما لا يفعلون والابتعاد منهم أولى من الاقتراب وقد قيل فيهم ما ظنك بقوم الصدق يستحسن إلا منهم فرفع المنصور رأسه، وكان محبا في أهل الأدب، والشعر، وقد اسود وجهه وظهر فيه الغضب المفرط، ثم قال: ما بال أقوام يشيرون في شيء لم يستشاروا فيه ويسيئون الأدب بالحكم فيما يدرون أيرضي أم يسخط، وأنت أيها المنبعث للشر دون أن يبعث قد علمنا غرضك في أهل الأدب، والشعر عامة، وحسدك لهم لأن الناس كما قال القائل:

مـــــن رأى النــــاس لــــه فضــــلا عـــــــــــــــليهم حســـــــــــــــدوه

وعرفنا غرضك في هذا الرجل خاصة، ولسنا إن شاء الله تعالى نبلغ أحدا، غرضه في أحد ولو بلغناكم في جانبكم وإنك ضربت في حديد بارد وأخطأت وجه الصواب فزدت بذلك احتقارا وصغارا"[3].

---

(1)ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ص397.

(2) سورة الشعراء، آية 224.

(3)المقري ، نفح الطيب ، ج3 ، ص364؛ صفوت، أحمد، ذيل جمهرة خطب العرب، ج1، ص174؛ 175؛ 176.

ونلاحظ مما سبق، أن المنصور ابن عامر، كان يملك نفسه عند الغضب، فعندما غضب من أبي عمر يوسف الرمادي، لم يتصرف ببطش، إنما ملك نفسه عند الغضب، وكان رد المنصور على الحساد رداً حاسماً، حيث ردهم إلى نحورهم ولم ينسق إلى أكاذيبهم وحسدهم لأبي عمر يوسف الرمادي .

سادساً: الشورى:

اتصف حكام الأندلس في عهد الخلافة بمبدأ الشورى، اذ يروى أن عبد الرحمن الناصر، احتاج لشراء المحشر من أحباس المرضى قال له ابن بقي: لا حيلة عندي وهو أولى بحرمة الحبس قال الناصر لابن بقي تحدث مع الفقهاء، وتكلم مع الفقهاء ولم يجعلوا له سبيلا [1] . أما محمد بن لبابة أباح لأمير المؤمنين ذلك وأمر الناصر بالشورى في المسألة قال ابن لبابة إن الفقهاء أخذوا برأي مالك أن المسألة فيها فسحة أهل العراق لا يجوزون الحبس أصلاً قال الفقهاء: لماذا لا تأخذ برأي مالك؟ قال لهم: أسألكم بالله أن مسألة وقعت بكم وأخذتم بغير مالك في خاصة أنفسكم وأرخصتم في ذلك قالوا بلا قال امير المؤمنين: أولى عبد الرحمن أخذ برأي ابن لبابة، وعوض أهل المحشر تعوض عظيم[2].

يلاحظ أن حصول الناصر على أرض المحشر لم يكن ظلماً وعدواناً، بل وجد من الفقهاء من يوافقه قام بتعويض أهل المحشر تعويض عظيم .

---

(1)عياض ، ترتيب المدارك ، ج2 ، ص80.

(2)م.ن ، ص82-83.

كان الحكم المستنصر من خيرة بني أمية خلقا وعلماً وعدلاً [1]. فمن محاسن الحكم شدد في الخمر في ممالكه وأبطله بالكلية وأعدمه [2] . فالحكم رام قطع الخمر من الأندلس وأمر بإراقتها، وتشدد في ذلك وشاور في استئصال شجرة العنب وقيل أنهم يصنعونها من التين وغير ذلك فوقف عما هم به [3].

الحكم المستنصر، استشاره العلماء بخصوص الزنديق أبى الخير مسمى أبى الشر أفتي أبو بكر بن السليم والحجاري، في جماعة بالأعذار فيمن شهد عليه أفتى أبو إبراهيم وابن المشاط القاضي منذر بطرح الأعذار أمر الحكم الأخذ برأي أبي إبراهيم وأصحابه وأمر بالقتل دون إعذار[4].

وكان المنصور بن أبي عامر، له مجلس في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلم للكلام واستشارة العلماء[5]؛ والاستشارة هدفها عدم الوقوع في الظلم، حدث إن المنصور ابن عامر استشار العلماء في قضايا عديدة نذكر منها:

امرأة حرة بقرطبة لها مملوكة صبية باعها مولاها من رجل يخرجها عن قرطبة شكت أمها، أفتى ابن المكوى [6] بمنعها من إخراجها وبيعها على مشتريها خالفه ابن زرب وغيره من الفقهاء أخذ المنصور بقول ابن المكوى [7].

استشار المنصور ابن أبي عامر، أبو محمد الاصيلي، في أرض موقوفة على بعض كنائس أهل الذمة، أراد شراءها فمنعه جماعة من الفقهاء غير الاصيلي وحده أفتى بجواز شرائها [8].

---

(1)عنان ، محمد ، دولة الإسلام في الأندلس ،ص510.

(2)المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص396؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج16 ،ص 231.

(3)م.ن ، ج 3 ، ص214؛ الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس ، ص40 ؛ ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ج2 ، ص194 ؛ ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ج1 ، ص203 ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ج1 ، ص126 ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص19.

(4)عياض، ترتيب المدارك ، ج2 ،ص 98.

(5) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص237.

(6) أبو عمر أحمد بن عبد الملك الاشبيلي المعروف ابن المكوى مولى بني أمية من سكان قرطبة (عياض ترتيب المدارك ، ج2 ،ص 239).

(7)عياض ترتيب المدارك ، ج2 ،ص 239.

(8)م.ن، ص 242-243.

وأيضاً استشار المنصور ابن أبي عامر، في قضية عبد الملك بن منذر البلوطي، استشار الفقهاء منهم من قال بالقتل وانه من المحاربين[1] ابن المكوى قال ما أرى عليه شيئا هو رجل هم بمعصية فلم يفعلها لم يجرد سيفا ولا خاف سبيلا حيث قال الرسول أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم[2].

قيل إن محمد ابن يحيي بن خميس أبا عبد الله الذي توفي (401هـ=1010م)، قال إنه سمع عبد الملك بن منذر بن سعيد يوم صلبه " اللهم إن كنت كشفت سري في الدنيا فلا تكشفه في الآخرة يا ارحم الراحمين "[3] ولكن هناك من ذهب إلى ابعد من ذلك قيل إن التهم التي وجهت المنذر أنه معتزلي وضم ثلاثة من إخوانه سعيد، وعبد الوهاب، والحكم، إلى مذهب ابن مسرة [4].

سابعاً: الكرم:

ومن كرم عبد الرحمن الناصر، عمل ديواناً خاصاً بالأمويين، وحقوقهم المالية، ولا سيما بعد دخول عدد من الأسر الأموية إلى الأندلس، وقد سمى ذلك الديوان بديوان قريش، وكانت تصرف منه الأمويين بين عطاءات، ورواتب[5]، وقدم إلى الأندلس في أول ولاية المستنصر رحمة الله، الحكم بن محمد بن هشام القرشي "المقري" فأكرمه أمير المؤمنين وأجرى عليه العطاء في ديوان قريش إلى أن مات[6].

ومن صور عدالته وكرم الحكم المستنصر، أخذ في إبرام، وصلاح شان رعيته فأحسن إليها، وسرح السجون، وأخذ بالرفق، وإخراج مائة ألف دينار، وفذي الأسرى وأدى عن أهل الديون وعدل في الرعية[7].

---

(1)عياض ترتيب المدارك ، ج2 ،ص 188.

(2)م.ن ،ص240

(3) ابن بشكوال ،الصلة ،ص 716-717.

(4)بروفنسال ، الحضارة العربية في إسبانيا ،ص181-182.

(5) مصطفى، خزعل ياسين، بنو أمية في الأندلس، ص175(رسالة دكتوراه).

(6) ابن الفرضي، تاريخ العلماء بالأندلس، ج 1، ص 143.

(7) مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص170.

وكان للعلماء نصيب في كرم الحكم المستنصر، وكثيراً ما امتدت تلك المساعدات إلى علماء يقيمون بعيداً عن الأندلس[1]، فحين علم بأن أبا الفرج الأصفهاني يعد كتابه الشهير الأغاني، أرسل إليه مئة ألف دينار من الذهب العين فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرجه إلى العراق[2] .

ومن صور كرم الخليفة المنصور بن أبي عامر، مع أحمد بن محمد بن دراج أبو عمر الكاتب المعروف القسطلي[3]. اتهم انه منتحل سارق لا يستحق أن يثبت في ديوان العطاء، فالمنصور أمر بإحضاره 382هـ ، واختبره وزالت عنه التهمة وأوصله بمائة ألف دينار [4].

وأيضا من كرمه، وختن المنصور بن أبي عامر، أولاده فختن معهم من أولاد أهل دولته خمسمائة صبي ومن أولأد الضعفاء ما لم تُحص عدتهم، وأنفق فيه خمسمائة ألف دينار[5] .

ثامناً: محبة حكام الأندلس للعلماء واحترامهم:

أعلى عبد الرحمن الناصر، شأن العلماء ورفع منزلتهم فوق منزلته نفسه، وخضع لأوامرهم ونواهيهم، فطبق ذلك على نفسه أولاً قبل أن يطبقه على شعبه، واجتهد قدر طاقته في تطبيق أحكام الشريعة، ولقد ورد أنه كان يحضر خطبة الجمعة، وكان يخطبها القاضي المنذر بن سعيد[6]، قيل إن في خطبة جمعة عرض بالناصر؛ وقيل إن سبب تعرض منذر لعبد الرحمن، هو تعطيل شهود الجمعة ثلاث جمع بلا عذر من شكية ولا مرض[7]. فلما رأى القاضي المنذر بن سعيد من ذلك ما رأى أراد أن يعطيه درساً قاسياً لعله يتعظ ويعتبر فبدأ خطبته[8]، بقوله

---

(1) نعنعي، عبد المجيد، الدولة الأموية، ص410 .

(2) العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي والأندلسي، ص420.

(3)أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج كان كاتبا من كتاب الإنشاء في أيام المنصور ابن عامر وهو من جملة العلماء المتقدمين من الشعراء ت 420هـ ، ابن الخراط ، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار ، ص 186.

(4)الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص97-98 ؛ الضبي ، بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس ،ص202 .

(5) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص237.

(6) القاضي منذر بن سعيد البلوطي أبو الحاكم قاضي قضاة الأندلس وكان إماما فقيها خطيبا شاعرا فصحيا ذا دين متين (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 7، ص 367).

(7)الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار واقتباس الأنوار، ص41.

(8) المزروع، وفاء عبد الله بن سليمان، الحكم المستنصر، ص25.(رسالة ماجستير) .

تعالى" أتبنون بكل ريع آية تعبثون "[1] ثم تلا " أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم [2]" ثم تلا " قوله تعالى **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا**[3]".

وأتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت، والتحذير من فجاءته، والدعاء إلى الزهد في هذه الدار الفانية، والحض على اعتزالها، والرفض لها، والندب إلى الإعراض منها؛ والإقصار عن طلب اللذات، ونهى النفوس عن أتباع هواها . فأسهب في ذلك كله، وأضاف إليه من آي القرآن ما يطابقه، وجلب من الحديث والآثار ما يشاكله، حتى اذكر من حضره الناس وخشعوا، ورقوا، واعترفوا، وبكوا، وضجوا، ودعوا، وأعلنوا في التضرع إلى الله في التوبة، والابتهال في المغفرة، وأخذ خليفتهم من ذلك بأوفر حظ، وقد علم أنه المقصود به؛ فبكى، وندم على ما سلف له، واستعاذ بالله من سخطه، إلا أنه وجد على منذر بن سعيد لغلظ ما تقرعه به؛ فشكا ذلك لولده الأمير الحكم بعد انصرافه، فقال:" والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وما عنى بها غيري فأسرف، وأفرط في تقريعي ثم أقسم ألا يصلي خلفه صلاة الجمعة خاصة، فكان يصلي بقرطبة، وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة، وترك الصلاة بالزهراء[4]".

وأشار الحكم عليه بعزله عن خطبة الجمعة فرد عليه قائلاً:" أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه، لا أم لك يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد هذا ما يكون وإني لأستحيي من الله ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة، شفيعا مثل منذر في ورعه، وصدقه؛ ولكنه أحرجني فأقسمت ولوددت أني أجد سبيلا إلى كفارة يميني بملكي بل يصلي بالناس حياته، وحياتنا إن شاء الله تعالى[5]

---

(1)سورة الشعراء، 128 .

(2)توبة ، 109، 110.

(3)النساء، آيه77.

(4)النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ج1، ص70 ؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص 571.

(5)الإسبيلي، مطمح الأنفس، ج1، ص247 ؛ الحموي، معجم الأدباء، ج 5، ص526؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ج1، ص70؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص 571.

يتضح مما سبق صورة رائعة من محاسبة العلماء للحكام، ويبن ذلك روح الديمقراطية التي امتاز بها عبد الرحمن الناصر، عندما تعرض المنذر بن سعيد في خطبة الجمعة، لسياسته المالية، وقد أثارت تلك المعارضة غضب الخليفة الناصر، وشكا لولده الحكم، وعرض عليه الحكم بعزل القاضي لكن الناصر رفض ذلك.

لم يكن هذا الدرس وحده الذي تلقاه عبد الرحمن الناصر من المنذر بن سعيد، بل تكررت المواقف، ولكن بطريقة أخرى فعندما بني الناصر، مدينة الزهراء، واتخذ لسطح العلية الصغرى التي على الصرح قراميد ذهب وفضة، وأنفق عليها أموالاً هائلة، وجعل سقفها صفراء فاقعةً إلى بيضاء ناصعة، تسلب الأبصار بلمعانها، وجلس فيها مسروراً فرحاً، فدخل عليه القاضي أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي، حزينا، فقال: هل رأيت ملكاً قبلي فعل مثل هذا فبكى القاضي وقال: والله ما ظننت أن الشيطان يبلغ منك هذا مع ما آتاك الله من الفضل، حتى أنزلك منازل الكافرين . فاقشعر من قوله، وقال: وكيف أنزلني منازل الكافرين قال: أليس الله يقول: وتلا قوله تعالى ﴿ **وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ** "[1]. فوجم عبد الرحمن ونكس رأسه ملياً ودموعه تسيل على لحيته خشوعاً لله تعالى وقال: جزاك الله خيراً، وقام يستغفر الله، وأمر بنقض القبة وإعادتها ترابا[2].

ويتبين من ذلك ندم الخليفة الناصر، وهو أمير المؤمنين وأكبر شخصية في الدولة على إسرافه، ولم يتأخر في الرجوع إلى الحق كأي رجل من الرعية، وهكذا كان العلماء مع الحكام يقدمون النصح والإرشاد، حيث برزت صلابة العلماء في التمسك بدينهم والاعتزاز به، وتقبل الحكام النصح بصدر رحب .

إنّ احترام الحكم المستنصر للعلماء، وتقديره لمكانتهم العلمية، جعلهم يحرصون ويهتمون بدروسهم وبتلاميذهم، وكان الفقيه أبو إبراهيم إسحاق، معظما عند الناصر، وابنه الحكم، وكان أبو إبراهيم في مجلسه بالمسجد، ومجلسه حافل بجماعة الطلبة، وذلك بين الصلاتين، إذ دخل عليه خصي من أصحاب الرسائل جاء من عند الخليفة الحكم، فوقف وسلم وقال له: يا فقيه

---

(1) سورة الزخرف ،أيه 33.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام ج 25 ص 443- 444؛ النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس ،ص 72.؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج16 ، ص177؛ الخطيب ،أعمال الأعلام ، ص39؛ الرشاطي الأندلس في اقتباس الأنوار ، ص42-43.

أجب أمير المؤمنين ولكن الفقيه قال: له سمعا وطاعة لأمير المؤمنين ولا عجلة فارجع إليه وعرفه وفقه الله عني أنك وجدتني في بيت من بيوت الله تعالى مع طلبة العلم، يسمعون مني ويستفيدون من أحاديثه، وعندما ينتهي مجلسه سيحضر إليه، ولكن الخصي تضجر وتبرم لرفضه طلب أمير المؤمنين، ونقل ذلك إلى الخليفة فلم يتضجر بل استحسن رده، وقال له على لسان الخصي:" جزاك الله خيرا عن الدين وعن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين وأمتعهم بك[1].

وقد أمرت أن أبقى معك حتى ينقضي شغلك وتمضي معي فقال له: حسن جميل، ولكني أضعف عن المشي إلى باب السدة، ويصعب علي ركب دابة لشيخوختي وضعف أعضائي، وباب الصناعة الذي يقرب إلي من أبواب القصر، وأقرب وأرفق بي فإن رأى أمير المؤمنين، أن يأمر بفتحه لأدخل إليه منه هون علي المشي وودع جسمي، ومضى عنه الفتى ثم رجع وقال: يا فقيه قد أجابك أمير المؤمنين إلى ما سألت، وأمر بفتح باب الصناعة وانتظارك من قبله، ومنه خرجت إليك وأمرت بملازمتك، مذكرا بالنهوض عند فراغك، وقال: افعل راشدا وجلس الخصي جانبا حتى أكمل مجلسه، قام إلى داره فأصلح من شأنه ثم مضى إلى الخليفة الحكم، فوصل إليه من ذلك الباب وقضى حاجته من لقائه ثم صرفه على ذلك الباب فأعيد إغلاقه على إثر خروجه[2].

ويتضح لنا مما سبق احترام الخليفة الحكم المستنصر للعلماء، وقضاء حاجة العالم كما أرادها، وهكذا كان العلماء مع الملوك، والملوك مع العلماء احترام وتقدير.

للمظفر موقف من العالم محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيي بن عفان بن سعيد بن سلمة بن عبدوس الخشني ابن المشكيالي توفي عام(400هـ =1010م)،[3] أبو عبد الله من طليطلة قصده المظفر اثر صلاة جمعة، فالشيخ لزم داره أستأذن بن عامر محمد بن إبراهيم فقال محمد ابن إبراهيم لمن حوله من طلبة العلم لا تقوموا فامتثلوا لأمره، فدخل المظفر عليه فأكرم مثواه ودعا محمد بن إبراهيم وقال: اللهم ادخل في قلوب رعيته الطاعة وادخل لهم في قلبه الرأفة والرحمة ثم انصرف[4].

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 377.

(2) م.ن، ص 378.

(3)ابن بشكوال ، الصلة ، ص713.

(4)م.ن ، ص712-713.

ومن أهم ما قيل عن المظفر إجحافه بالمال والتوسعة على الناس وقيل إنه هجر اللهو والراحة واستيقظ من الغفلة واهتم بالعمال وجلس معهم واتصفت أحواله بالصلاح والوقار [1].

تاسعاً: التقوى:

وتمر حادثة في البلاد وقد أصابهم قحطٌ، وأراد الناس الاستسقاء، فجاء عبد الرحمن الناصر رسولٌ من القاضي منذر بن سعيد، رحمه الله، يحركه للخروج، فقال الرسول لبعض الخدم: يا ليت شعري ما الذي يصنعه الأمير فقال: ما رأيته أخشع لله منه في يومنا هذا، وأنه منفردٌ بنفسه، لابسٌ أخشن ثيابه، يبكي ويعترف بذنوبه، وهو يقول: هذه ناصيتي بيدك، أتراك تعذب الرعية من أجلي وأنت أحكم الحاكمين، لن يفوتك شيء مني . فتهلل وجه القاضي لما بلغه هذا، وقال: يا غلام أحمل الممطر معك، فقد أذن الله بسقيانا . إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء . فخرج، وكان كما قال . وكان عبد الرحمن يرجع إلى دين متين وحسن خلق[2] .

ولقد كان لهذا الموقف أثره الكبير في حسه الديني، ويتبين أن صلاح الراعي في قربه من الله، وعرف أن الرعية دائماً تكون على دين ملوكها فإن صلحوا صلحت، وإن فسدوا فسدت[3].

ومن الدلائل على حسن سيرته عندما دخل شهر رمضان سنة 360 هـ =971م)، اقضي الخليفة المستنصر فيه عادته من إشاعة الصدقات وتجديد القربات فنعش الله به خلقا وبسط رزقا [4] .

عاشراً: الصبر:

يذكر أن المنصور بن أبي عامر، شهد جنازة لبعض الأشراف بقرطبة، في أيام ملكه فجلس على قبر منه شق تأوي إليه الزنابير، فلما أحست به خرجت إلى ساقيه وملأت سراويله، وغشيت بدنه، وأفرطت في لسعه، وما ظهر منه لذلك اضطراب، ولا قلق، ولا فارق السكينة والوقار حتى انصرف إلى قصره حين دفنت الجنازة فأخذ في علاج جسمه[5].

---

(1)الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص89.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص 367؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ج 25 ص 444؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج16 ، ص177. ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 289.

(3) المزروع، وفاء عبد الله بن سليمان، الحكم المستنصر، ص25.(رسالة ماجستير).

(4) ابن حيان، المقتبس، حديث عن 5 سنوات من حكم المستنصر 360-364 ، ص23.

(5) مؤلف مجهول، ذكر الأندلس، ص178 .

المبحث الثاني

انحرافات حكام الأندلس في عهد الخلافة عن الأخلاق الإسلامية

بعد الأنباء من ذكر كل ما توفر عن أخلاقهم نذكر الجوانب السلبية، انحرافات حكام الأندلس في عهد الخلافة عن الأخلاق الإسلامية.

أولاً: الظلم:

قتل الناصر ولده عبد الله وقد بلغه أن جماعة من أهل قرطبة بايعوه بالخلافة، وكان أهلا لذلك فضلاً وعلماً، فالناصر شديد الجرأة على الدماء مرهوب السطوة ثقيل العقاب والسخطة[1].

قام عبد الرحمن الناصر، بتعذيب جارية، حيث أمر أن يلثم وجهها بألسنة الشمع وهي تستغيث ولا يرحمها حتى هلكت[2].

قتل جارية حدث شرطيه انه استدعي للقصر ليلاً ، فأمره الناصر بضرب عنق جارية لا نظير لها في الدنيا؛ وهي تسترحمه فلا يرحمها، قال وسمعت للسيف في عنقها صويا لم أعلم ما هو، فلم صممت عليها النطع خرجت بها إلى الحفرة والفيت عقدا لا قيمة له في الدنيا رجعت فأعلمته فقال اذهب فهو لك [3].

تقديم الحكم المستنصر، ابنه هشام ولياً للعهد، قال ابن السليم ولست بأشد عقوباته لتقديمه على الأمة صبيا لم يدرك الحلم [4].

ونلاحظ من ذلك، إن سياسة الخليفة المستنصر في الحكم أدت إلى ضياع هيبة الخلافة الأموية في الأندلس وذلك عندما قام بتولية ابنه هشام الطفل، بالرغم من أنه كان كثير الانتقاد لبني العباس لتوريثهم الملك لأبنائهم قبل بلوغ سن الرشد، فمهد بذلك لرجل مثل المنصور بن عامر ليستبد بالسلطة ويحجر على الخليفة نفسه[5].

---

(1)الخطيب ،أعمال الأعلام ، ص39.

(2)ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ،ج ،ص 124.

(3)الخطيب، أعمال الأعلام ، ص39-40.

(4)عياض ، ترتيب المدارك ، ج2 ،ص179.

(5) العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد الخلافة الأموية ،ص 52.

وقال الشاعر أبو أسود الدؤلي:

لا تنـــــه عـــــن خلــــق وتـــــأتي مثلـــه عـــار عليـــك اذا فعلـــت عظـــيم[1]

تعيين موظف سيئ الخلق، لم يكن المنصور بن عامر موفقاً في اختيار أحمد بن عبد الله بن محمد بن عروس الموروري الحضرمي، ولـي القضـاء ثم صـحب ابن عـامر نـال الـوزارة وتقلد المدينة، صادر المقوس وارتكب الجرائم وأغرق في ظلم العباد توفي (366هـ=977م)، وترك من المال مالاً كثيراً مما غله فحاز ابن عامر على أكثره [2].

تعيين أبو العاصي أمية بن أحمد بن حمزة القرشي المرواني، تولى لابن عامر الإنفاق في سبيل الأمانات وفي بناء الجوامع والحصون وتوزيع الصدقات كان متأخراً في علمه وعقله ومن غفلاته صرف يوما إلى المنصور درهمين زعم أنهما بقيا له من صدقة وأنه لم يجد لما يدفعهما فضحك المنصـور [3] . نستنتج ممـا سـبق أن المنصـور لـم يكـن موفقـاً فـي اختيـار الرجـل المناسـب فـي المكان المناسب حيث اختار أبا العاصي وهو غير كفء لهذا المنصب.

قتل جارية: قال بعض الشعراء شعراً تغزل فيه بصبح[4] أم المؤيد فغنت به جارية ادخلت على المنصور ابن عامر ليبتاعها فأمر بقتلها [5]

نلاحظ بأي وجه حق يقتل المنصور بن عامر جارية لمجرد قولها شعراً عن صبح إن تصرف المنصور مع الجارية تجأوزا للعدل فالتصرف السليم أن تعزر لكن الأمر يوصل

لا تظلمـــــن إذا كنـــــت مقتـــــدر فـــــالظلم آخـــره يأتيـــك النـــــدم

تنـــــام عينـــاك والمظلـــوم منتصـــب يـــدعو عليـــك وعـــين الله لـــم تـــنم[6]

---

(1)العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 219؛ مسلم، تفسير الثعلبي، ج 4، ص347 .

(2)عياض ، ترتيب المدارك ، ج 2 ، ص171.

(3) م.ن ، ص252.

(4) صبح : ان القول عن قصة غرامية بين المنصور وصبح مبالغ فيه فالجدية التى اكتنفت اعمال الحاجب المنصور ابن عامر وصدق الجهاد الذي شمل حياته كلها والطموحات البعيدة التى كانت تبدو عن لسانه كل هذه تجعل القصة مبالغاً فيها (عقيلان ، أبطال ومواقف ، ص373).

(5) ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص119.

(6) الجوزي ، التبصرة ، ص85.

أما تجاوزات محمد بن هشام[1] الملقب بالمهدي فقد أمر بنهب دور آل المنصور، ونهب جميع ما في الزهراء من أموال وسلاح، وقلعت الأبواب وأظهر من الفساد أكثر مما عمله شنجول، وزاد المهدي في الغي وعمد إلى نصران يشبه المؤيد فقصده حتى مات وأخرجه إلى الناس وقال هذا المؤيد فصلى عليه ودفنه [2].

وجود الحاجب عند موظفي الناصر: ان تلبيس إبلبيس على الولاة والحكام تشديد الحجاب فلا يصل إليهم أهل المظالم [3]. نضرب مثالا في عهد الناصر أحمد بن عبد الملك زار الوزير عبد الملك بن جهور وكانا جميعاً يخدمان الناصر فوافقه محجوبا لم يمكنه الاجتماع به فكتب إليه

أتينـــاك لا عـــن حاجـــة عرضـــت لنـــا إليــــك ولاقلــــب إليــــك مشــــوق

ولكننـــا زرنـــا بفضـــل حلومناحمـــارا تــــــــولى برنــــــــا بعقــــــــوق

أجابه ابن جمهور

حجبنـــاك لمـــا زرتنـــا غيـــر تـــائق بقلـــب عـــدو فـــي ثيـــاب صـــديق

وما كان بيطار الشآم بموضعيباشر فيه فرنا بخليق[4].

ومن ظلم، المستعين[5]، أخذ يفسد وينهب ويعمل كل قبيح [6]، رجاله قتلوا المؤيد وقتلوا بقرطبة نيفاً وعشرين ألفاً وفعلت عساكر المستعين ما لم يفعله النصارى، عسف وجار وخرب البلاد[7].

---

(1) محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، كنيته أبو الوليد، لقبه المهدي، أمه أم ولد اسمها مونة، ولد سنة 366هـ، قتل في سنة 400هـ، قتله حاجبه العامري، (مؤلف مجهول ،ذكر الأندلس،ص199).

(2)الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ص17 ، ص 128-129.

(3)ابن الجوزي، تلبيس إبليس ،ص 129.

(4)الحميدي ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ،ص197 ؛ ابن الآبار، الحلة السيراء ،ج1 ، ص238 ؛ الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص297 ؛ ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص168-169.

(5)سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، أبو أيوب، أمه أم ولد اسمها ظبية، مولده سنة 335هـ، لقبه المستعين بالله، بويع سنة 399هـ.(مؤلف مجهول ،ذكر الأندلس،ص203؛ ا بن حزم، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ج 2، ص198؛ الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج1، ص200 ؛ المراكشي، المعجب، ج1، ص44).

(6)الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج17،ص133.

(7)م.ن،ص284.

ومن ظلم، علي بن حمود قيل ان ابن حمود خرج يوما على باب عامر فرأى فارساً من البرابر يحمل عنباً فأستوقفه قال له: من أين لك هذا العنب قال أخذته كما يأخذ الناس فأمر بضرب عنقه ووضع رأسه وسط الحمل وطيف به البلد كله [1] نستنتج مما سبق أن علي ابن حمود بالغ في تطبيق الحدود، حيث إنه قتل رجلاً لأنه سرق، وهذا مخالف لتعاليم الإسلام، فكما نعرف إن حد السرقة هو قطع اليد وأن هذا الحد لا يطبق في حالة التدهور الاقتصادي.

وكان يحيى بن علي بن حمود، ظلوماً[2]، مذموم السيرة فحاصر إشبيلية، فاجتمع رؤساء إشبيلية، وأعيانها وأطاعوا القاضي محمد بن إسماعيل، وقالوا له أما ترى ما حل بنا من هذا الظالم وما أفسد من أموال الناس، فقم بنا نخرج إليه ونملكك ونجعل الأمر إليك ففعل، ووثبوا على يحيى فركب إليهم، وهو سكران فقتل[3].

أما المأمون بن حمود، والخليفة المستظهر بالله[4] لم تعثر الباحثة لتجاوزات لهم.

أما المستكفي بالله[5] من تجاوزته قتل وزيره أحمد الحايك [6].أحد عوام الناس وصف المستكفي فقال له :"يا ولي العهد يفعل ذلك لانكم تجورون ولا تعدلون وتفسدون ولا تصلحون وتغدرون ولا توفون......الخ"[7].

---

(1)ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ج1 ، ص98.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص528.

(3) بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، ص22؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص528

(4) هو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، وهو أخو المهدي بن عبد الجبار، كنيته أبو المطرف، أمه أم ولد اسمها غادة، ولد سنة 391هـ، ولى الخلافة، وتسمى بأمير المؤمنين، وتلقب بالمستظهر بالله، بويع له بعد خروج ابن حمود سنة 417هـ، وكان سنه اثنتين وعشرين سنة، قتل بقرطبة، فكانت أيامه سبعة وأربعين يوماً. (مؤلف مجهول ،ذكر الأندلس،ص209) .

(5) هو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الناصر لقبه المستكفي بالله، أمه أم ولد اسمها جوراء، ولد سنة 366هـ، قتل في قرطبة (مؤلف مجهول ،ذكر الأندلس،ص211 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 103).

(6)الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج17،ص397.

(7) مؤلف مجهول ،ذكر الأندلس،ص211.

أما المعتد بالله[1]وهشام لم نعثر على تجاوزات لقصر مدة حكمهما.

يتضح للباحثة أن الحقبة الذي تلت الدولة العامرية، أي من عام(399هـ=1009م) وحتى نهاية الخلافة (422هـ =1031م) مليئة بالفتن وصدق القائل (الفترة الباقية في العصر الأموي بالأندلس أي إلى 12 ذي الحجة سنة (422هـ= 1031م) مليئة بالفتن والاضطرابات وتصارعت فيها العناصر المختلفة في الدولة من البرر والصقالبة والعرب، وخربت فيها مدن عامرة، كالزهراء والزاهرة، ويكفي للدلالة على مدى انقسام الدولة واضطرابها في هذه المدة الاخيرة ان عدد الخلفاء الأمويين الذين حكموا فيها كان يزيد عن عدد الخلفاء الذين حكموا قبلهم منذ بداية الدولة الأموية في الأندلس)[2].

ثانياً: الصراع على الحكم:

قام المنصور بن أبي عامر، بنزع السلطة من الخليفة الشرعي، حيث استمرت الخلافة الإسلامية في الأندلس تجمع بين السلطتين الزمنية والروحية إلى أن جاء المنصور ابن عامر وأبناؤه، فأنتزعوا منها السلطة الزمنية على عهد الخليفة الأموي هشام المؤيد واستبدوا بالأمر على الخليفة الشرعي[3]

وقيل إن عبد الرحمن بن عامر[4]، سم أخاه عبد الملك [5]، وكذلك من ظلمه له موقف من الخليفة الشرعي المؤيد، حيث دس له من يخوفه إن لم يجعله ولي للعهد[6]. وأهم ما قيل عنه من

---

(1) هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، هو آخر خلفاء بني أمية بالأندلس، كنيته أبوكر لقبه المعتذ بالله، أمه أم ولد اسمها عاتب، بويع له بقرطبة بإجماع واتفاق من أهلها، وأهل الثغر سنة (416هـ=1025م)، مات سنة 428هـ=1037م).(مؤلف مجهول ،ذكر الأندلس،ص212) .

(2)الشطشاط ، علي ، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة ،ص 198.

(3) العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 87.

(4) عبد الرحمن ابن عامر قام بتدبير دولة المؤيد بالله الناصر عبد الرحمن اخو المظفر المعروف شنجول ولم يزل بالمؤيد حتى خلعه مكرها في جماد الآخرة 399هـ (الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ص17 ،ص125).

(5) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج8،ص679.

(6)م.ن، ص679.

ظلم وفساد، قيل في عهده انخرم النظام وشرع الفساد وهلك الناس فقام الناس شنجول طغى وبغى وفعل العظائم والمؤيد تحت الاحتجار وهدد المؤيد وقال إنه عازم على قتله إن لم يوله العهد[1].

عبد الرحمن بن عامر قتله عسكر محمد بن هشام (399هـ=1009م)[2]، سقطت الدولة العامرية في الأندلس وكان السبب الرئيس في سقوطها خروج عبد الرحمن المنصور عن نهج أبيه وأخيه بالنسبة للخلافة [3] .

محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله عبد الرحمن[4]، تلقب بالمهدي 16 شهراً، ثم خرج عليه ابن أخيه هشام بن سليمان وبويع، ولقب بالرشيد وحاربه عمه، وقتل واتفق الناس على خلع عمه فاختفى ثم قتل، وبايعوا ابن أخي المقتول سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين[5].

سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين، حاصر قرطبة وأخذها هو وجيشه عام (403هـ، =1012م) وعمل مالا يعمله الفرنج [6] كان أديبا أصيل الرأي راجح العقل من شعره:

لا تعدلوا ملكـــا تدلل للهـــوى ذل الهـــوى عز ومـــلك ثان [7]

قال عنه ابن حزم : "هو الذي كان شؤم الأندلس وشؤم قومه وهو الذي سلط جنده من البرابرة، فأخلوا مدينة الزهراء وجمهور قرطبة ..واخلوا ما حول قرطبة من القرى والمنازل وأقنوا أهلها بالقتل والسيف وهو لا ينكر ولا يعتبر عليهم شيئا[8]"، قتله على ابن حمود (407 هـ= 1016م). [9]

---

(1)الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،ج17، ص126-127.

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ،ص 679.

(3) القحطاني ،علي ، الدولة العامرية في الأندلس، ص 144.

(4)الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،ج17 ، ص128.

(5) السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص593.

(6)الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام ، ج28 ،ص158.

(7) الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج4 ، ص273-274.

(8)رسائل ابن حزم ،ج2 ،ص21.

(9) الخطيب, الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج4 ،ص274.

ودخل علي بن حمود قرطبة، وقتل سليمان بن الحكم صبراً، ضرب عنقه بيده سنة سبع وأربعمائة[1]، وقتل أخاه[2]، وأباه الحكم بن سليمان بن الناصر، وهو شيخ كبير له اثنتان وسبعون سنة[3].

أما عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار الناصر لدين الله المرواني، بيعته في رمضان (417هـ =1026م)وقتل في ذي القعدة (417هـ=1026م)، وثب عليه ابن عمه المستكفي [4]، حكم 47 يوماً [5]، وقيل حكم المستظهر عبد الرحمن 50 يوماً [6].

أما محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر المرواني المستكفي بالله[7] قتله أحد أمرائه عام (419هـ=1028م) [8]، قيل انه خلع بعد سنة وأربعة شهور [9]

أما المعتمد بالله هشام بن محمد آخر الخلفاء بويع له في شهر ربيع الآخر (419 هـ=1028م)، أقام بقرطبة سنتين وأربعة شهور خلع، وقتل وزيره لأنه كان يجور ويأخذ أموال التجار والرعية سجنه أهل قرطبة ومكث أياماً ثم فر إلى ابن هود إلى أن مات (428هـ=1037م)[10]، وهو آخر ملوك الدولة المروانية[11].

---

(1) ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ج 2، ص198؛ الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج1، ص200؛ المراكشي، المعجب، ج1، ص44

(2)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص99؛ المراكشي، المعجب، ج1، ص44 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص317

(3) ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ج 2، ص198؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص99؛ الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج1، ص200؛ المراكشي، المعجب، ج1، ص44؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص317

(4)الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج17 ، ص347.

(5) مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص 209.

(6) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص593 .

(7) مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص 211.

(8)الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج17 ، ص397.

(9) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص593 .

(10) مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص 212

(11)الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 17 ، ص542.

ثالثاً: قطع الرحم

هناك من يدلل على أن الناصر كان قاطعاً للرحم، حيث اخرج عمته لأن شقيقها عمه المطرف تولى قتل أبيه فأواها موسى بن حدير، وماتت في داره [1].

رابعاً: الاعتداء باللفظ على العلماء:

عندما أفتى الفقهاء لا سبيل للنار لأخذ ارض أحباس المرضي، أمر الناصر الوزراء بالتوجيه لهم وتوبيخهم، ففعلوا وقال أحدهم : لكم أمير المؤمنين "يا مشيخة السوء، يا مستحلي أموال الناس، يا آكلي أموال اليتامى ظلماً، يا شهداء الزور، يا آخذي الرشا، وملقني الخصوم، وملحقي الشرور، وملبّسي الأمور، وملتمسي الروايات لأتباع الشهوات، تبّاً لكم، ولرأيكم، فهو أعزه الله، واقف على فسوقكم قديماً، وخدعكم حديثاً، مغضٍ عنه، صابر عليه . ثم احتاج إلى دقة نظركم، في حاجة، مرة في عمره، فلم يسع نظركم للتحمّل له، ما كان هذا ظنه بكم . والله ليعارضنّكم من يومه. وليكشفن ستوركم ولينا صحن الإسلام فيكم. وكلاماً في مثل هذا" [2] .

نستنتج مما سبق أن تلك الرسالة الموجة للعلماء والفقهاء ليست شاهداً على فسوق العلماء، بل هي شاهد ضد الناصر، إذ كان العلماء بتلك الصفات التي ذكرها الناصر فلماذا سكت عليهم ؟ إن تلك الرسالة جاءت بعد رفض العلماء لتصرف الناصر في ارض أحباس المرضي إذا وافق العلماء على تصرف الناصر في أرض الأحباس فهل سنري مثل تلك الرسالة؟الجواب حتما لا.

سجن أحمد بن عبد البر بن يحيي أبو عبد الملك[3]، بتهمة التآمر على الحكم، كان مقربا لعبد الله بن الناصر، ووصلت أخبار للناصر أن عبد الله يريد الحكم، فأمر الناصر بالقبض على عبد الله، وعلى أبي عبد الملك قال الناصر لأبي عبد الملك أعلم أنه الذي زين لهذا العاق ليكون قاضي الجماعة سجن الناصر أبا عبد الملك وعزم أن يعاقبه يوم عيد الأضحى ومات في السجن، توفي في اليوم نفسه محمد بن عبد الله بن دليم، صلى عليهما ابن عيسى عاتب الناصر ابن عيسي على ذلك فقال: لا يعرف من كان وإنما صلى على ابن دليم وضمت جنازة لم ادر

---

(1) ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ج2 ،ص 106.

(2) عياض ، ترتيب المدارك ، ج2 ،ص 81.

(3) أحمد بن عبد البر بن يحيي أبو عبد الملك من موالى بني أمية صاحب تاريخ الفقهاء والقضاء ، ت 338هـ (عياض ، ترتيب المدارك ، ج2 ، ص 95).

بها[1]. أما الحكم المستنصر فقد سجن أحمد بن محمد بن فرج الجياني، لأمر نقمه عليه ومات في سجنه[2].

ومن تجاوزات المنصور للعدل أبعد جعفر بن عثمان أبو المحسن الوزير الحاجب المعروف بالمصحفي[3]، عن الحجابة وأودعه السجن، واستمرت نكبته سنيين، مرة يطلق وأخرى إلى السجن إلى أن مات سنة(372 هـ=982م)[4]. فمن شعر المصحفي.

صـــبرت علـــى الأيـــام لمـــا تولـــت	**وألزمـــت نفســـي صـــبرها فاســـتمرت**
فواعجبـــا للقلـــب كيـــف اعترافـــه	**وللـــنفس بعـــد العـــز كيـــف اســـتذلت**
ومـــا الـــنفس إلا حيـــث يجعلهـــا الفتـــى	**فـــإن طمعـــت تاقـــت وإلا تســـلت**
وكانـــت علـــى الأيـــام نفســـي عزيـــزة	**فلمـــا رأت صـــبري علـــى الـــذل ذلـــت**

المصحفي استعطف المنصور قائلا:

عفـــــا الله عنـــــك إلا رحمـــــة	**تجـــــود بعفـــــوك إن أبعـــــدا**
لـــئن جـــل ذنـــب ولـــم اعتمـــده	**فأنـــــت أجـــــل وأعلـــــى يـــــدا**
ألـــم تـــر عبـــدا عـــدا طـــوره	**ومـــولى عفـــا ورشـــيدا هـــدى**
ومفســـــد أمـــــر تلافيتـــــه	**فعـــاد فأصـــلح مـــا أفســـدا**
أقلنـــي أقالـــك مـــن لـــم يـــزل	**يقيـــك ويصـــرف عنـــك الـــردى**[5]

---

(1)عياض ، ترتيب المدارك ، ج2 ،ص 95.

(2)الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ،ص194–195.

(3)جعفر بن عثمان هو من أهل العلم والأدب عمل كاتبا أيام الناصر تقلد الوزارة في عهد الحكم والمستنصر لما انتقلت الخلافة لهشام تصرف في أمور الدولة، كان ناظرا في الأمور قبل المنصور ابن عامر ثم قوي المنصور بصبح وتعويلها عليه وتغلب ابن عامر ونكب جعفر فمات في النكبة (الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، ص314؛ ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص153).

(4)ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص153.

(5)م.ن ، ص159–160.

نكب الصقالبة كان عددهم 800 أو يزيدون أمر المنصور الحاجب المصحفي إخراجهم من القصر فأخرجهم[1].

الموقف من شكاوى العامة: يقال إن خاصة الحكم ظهرت منهم أمور قبيحة، غض المنصور عنها الطرف مع إيثاره للعدل قائلاً: "هم أمناؤنا وتقاتنا على الحرم فينبغي للرعية ان تلين لهم وترفق في معاملتهم فتسلم من معرتهم، إذ ليس يمكننا في كل وقت الإنكار عليهم "[2].

يبدو لنا أن هذا التصرف تجاوز للعدل؛ لأن المنصور غض الطرف علة خاصته الذين ارتكبوا أموراً قبيحة وطالب العامة أو الرعية بالرفق بهم، فلماذا لا يمكن للمنصور أن ينكر عليهم الأمور القبيحة في كل وقت.

قام المنصور بن عامر، بقطع لسان محمد بن أبي جمعة، كثر قوله عن انقراض دولة المنصور ابن عامر، ثم قتله وصلبه فخرست ألسن[3].

قتل المنصور ابنه عبد الله، حيث عصاه ولجأ إلى ملك سمورة وحلف ألا يرحل إلا بابنه فسلموه إليه فأمر بقتله قرب سمورة[4]، قيل إن عبد الله بن منصور مع الوزير عبد الله بن عبد العزيز، دبرا مؤامرة وتحالفا مع عبد الرحمن بن مطرف صاحب سرقسطة، تلك المؤامرة هدفها أن يقتل عبد الله أباه المنصور واقتسام الأندلس، فالمنصور قتل ابنه عبد الله وصرف الوزير عبد الله بن عبد العزيز عن طليطلة ثم أقاله بعد ذلك عن الوزارة واعتقله بداره[5].

قيل إن تصرفه كان سياسيا صارما خاليا من كل عاطفة إلا عاطفة الاحتفاظ بالنفس والسلطان .... وتصرفه أسوة ببني أمية [6] .

---

(1) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4 ،ص 152.

(2)ابن عداري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ص 374.

(3)م.ن ،ص397.

(4)الذهبي، سير أعلام النبلاء ،ج17 ، ص 126.

(5) البيلي ، طليطلة في العصر الإسلامي ، 92هـ -477هـ ، ص 62.

(6)عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ص551.

عزل المنصور بن عامر، أصبغ بن الفرج بن فارس الطائي [1]، من القضاء، دعاه ابن عامر لتولى الصلاة والخطبة امتنع وقال سبحان الله يا منصور أنا لا أرى الجمعة أقامت به، فكيف أقوم بها، والعرض مني كثير . فألزمه المنصور ذلك، وأظهر إكراهه عليه . فألح وامتنع، وأقسم على ذلك ولو ناله العقاب . فسخط عليه المنصور عندها، وعزله عن القضاء والفتيا[2].

سجن المنصور بن عامر، عبد الملك بن منذر وأبا عبيد الله الجبيري[3]، اتهم أبو عبيد الله الجبيري مع عبد الملك بن منذر بالانقضاض على هشام وصاحب دولته المنصور قيل أبو عبيد الله أقر هو وعبد الملك بذلك، وذلك لخدعة لحقته من ابن عامر بالإقرار أما فتاوى العلماء بعضهم أفتى بالقتل؛ لأنه من المحاربين أما ابن المكوى قال: هؤلاء همو بمعصية ولم يفعلوها أمر ابن عامر بقتل عبيد الله، وصلب ابن منذر، أما عبيد الله فقد أنكر التهم وقال "معاذ الله أن أفعل هذا وقد رويت كذا وسمعت كذا وجلب الآثار في نكث البيعة الفساد كلام عبيد الله لم يجدِ نفعا أمر بحبسه هو وعدد من العلماء[4].

موقف المنصور بن عامر من محمد ابن السليم، عندما أراد هشام الصلاة على والده كان عمره أحد عشر عاماً، قال ابن السليم ما تغني صلاة أمير المؤمنين عنه ثم برز القاضي من الصف متقدما للناس خلف هشام، يقال إنه نوى تقديم الصلاة عليه قال لولا إني نويت الصلاة بمقامي لدفن بغير صلاة وقال ولست بأشد عقوبته تقديمه على الأمة صبيا لم يدرك الحلم وصلت الكلمات لابن عامر فسعى في تهوين أمره والتعرض لأحكامه[5].

يتضح لنا ان موقف القاضي من هشام موقف عدل وقوله أن الحكم اخطأ في توليه هشام موقف عدل، فالرسول صلى الله عليه وسلم حذر من إمارة الصبيان، أما موقف ابن عامر من ابن السليم في تهوين أمره وأحكامه موقف فيه تجأوز للعدل.

---

(1)أصبغ بن الفرج بن فارس الطائي أحد أكابر علماء قرطبة كان فقيها جليلا في الدولة العامرية توفي 390 هـ (عياض ترتيب المدارك ،ج 2 ، ص251).

(2)عياض ، ترتيب المدارك ، ج2 ، ص251.

(3)أبو عبيد الله الجبيري ،اسمه قاسم بن خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير طرطوشي ت 378 هـ (عياض، ترتيب المدارك ، ج 2 ، ص188).

(4)عياض ، ترتيب المدارك ، ج2 ، ص 188.

(5)م.ن، ص179.

خامساً: شرب الخمر:

على الرغم من أن بعض حكام الأندلس عملوا على محاربة الخمر؛ إلا أن بعضهم سعى لطلبها في مجالسه، فكان لعبد الملك بن المنصور بن أبي عامر، مجلساً لشرب الخمر[1]، والتكلف في شرب النبيذ[2]، وكان وزيره عيسى بن سعيد، لا يحضر مجلس شراب فما كان من عبد الملك بن المنصور، إلا أن استعفاه من ذلك لضعف شربه[3].

أما عبد الرحمن شنجول، فكان أهل قرطبة يبغضونه ويحتقرونه لانغماسه في المجون وشرب الخمر[4].

قتل يحيى بن علي بن حمود، وهو سكران[5].

سادساً: استعانة الحكام الأندلس بالعدو:

استعان حكام الأندلس بالنصارى في أواخر عصر الخلافة الأموية في الأندلس، فقد اتهم عبد الرحمن بن أبي عامر، الملقب بشنجول بالتعاون مع العدو، كان القاضي ابن ذكوان يحرض على قتاله، ويقول: هو كافر وكان شنشول قد استعان بعسكر الفرنج[6].

---

(1) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج 1، ص 125.

(2) الخطيب ، أعمال الأعلام ،ص84.

(3) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج 1، ص 125.

(4)ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج8،ص679؛ حسين حمدي ، دولة بني برزال في قرمونة ، ص25.

(5)ا بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، ص22؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص528

(6)الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17، ص 128.

الفصل الخامس
تأثير أخلاق حكام الأندلس في عهدي الإمارة، والخلافة على بناء الدولة

- **المبحث الأول:** تأثير أخلاق حكام الأندلس في عصر الإمارة على بناء الدولة.
- **المبحث الثاني:** تأثير أخلاق حكام الأندلس في عصر الخلافة على بناء الدولة.

تمهيد:

لا شك أن الصفات الإيمانية، والأخلاق الحميدة، التي غلبت على معظم حكام الأندلس في عصري الإمارة والخلافة، كان لها أثر عظيم على بناء دولة قوية في الأندلس، فالخير والرزق والبركات تأتي بعد الإيمان والتقوى "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون"[1].

والاستقامة على منهج الله تعالى وسنة نبيه تزيد الخير والبركات ﴿**وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا**﴾[2].

والتقوى تؤدي كذلك إلى زيادة العلم والحكمة، وتهدي الحكام إلى اتخاذ القرارات السليمة، ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ**﴾ [3]" .

ويؤكد ابن خلدون على أثر الأخلاق الحميدة على بناء الدولة وقوتها وازدهارها فيقول: " فإذا نظرنا في أهل العصبية ومن حصل لهم من الغلب على كثير من النواحي والأمم، فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر، والقرى للضيوف وحمل الكل، وكسب المعدم، والصبر على المكاره، والوفاء بالعهد، وبذل الأموال في صون الأعراض، وتعظيم الشريعة، وإجلال العلماء الحاملين لها، والوقوف عند ما يحددونه لهم من فعل أو ترك، وحسن الظن بهم واعتقاد أهل الدين والتبرك بهم، ورغبة الدعاء منهم والحياء من الأكابر والمشايخ وتوقيرهم وإجلالهم والانقياد إلى الحق مع الداعي إليه وإنصاف المستضعفين من أنفسهم والتبذل في أحوالهم، والانقياد للحق والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرائع والعبادات، والقيام عليها وعلى أسبابها والتجافي عن الغدر والمكر والخديعة ونقض العهد وأمثال ذلك، علمنا أن هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم، أو على العموم وأنه خير ساقه الله تعالى إليهم[4]".

---

(1) سورة الأعراف، آية 96.

(2) سورة الجن آية 16.

(3) سورة البقرة آية 282.

(4)مقدمة ابن خلدون، ج1، ص143.

وقد اعتبر ابن خلدون، وجود الأخلاق الحميدة، والتنافس فيها آية على بقاء الملك، واستقراره، وعلو شأنه وازدهاره، كما أن سوء الأخلاق، وتفشي الرذائل وارتكاب الاثام آية على انقراض الملك، وزواله، ونذير بالوبال والنكال[1].

والمتأمل في تأثير الصفات والأخلاق الحسنة على بناء الدولة يجد ذلك واضحاً جلياً في عصري الإمارة والخلافة.

(1) خضر، عبد العليم عبد الرحمن، المسلمون وكتابة التاريخ، ص157.

المبحث الأول

تأثير أخلاق حكام الأندلس في عصر الإمارة على بناء الدولة

أولاً: بناء مؤسسات الدولة والمجتمع:

تعد حركة الأعمار والإنشاء في المدن الإسلامية والمنشآت العمرانية الأخرى من السمات الواضحة في الدول الإسلامية، فقد أبدع الأمراء خلال عصرهم في بناء القصور والمساجد، ومنذ بداية الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس حرص الفاتحون الأوائل على أنشاء أولى معالم ومظاهر الدين الإسلامي المتمثلة بناء المساجد الذي يعتبر أساس الحركة العمرانية في المدن الإسلامية[1].

وقد بني الأمير عبد الرحمن الداخل جامع قرطبة[(2)]، بعد أن ضم إليه كنيسة سانت بنجنت[(3)]. أما مقدار ما أنفق لبناء المسجد الجامع فكان ثمانين ألف دينار[(4)]، إضافة إلى مائة ألف دينار دفعت للنصارى ثمناً لشراء الكنيسة التي أزيلت وبني فوق أرضها المسجد الجامع[(5)].

وفي بنائه جامع قرطبة يقول بعضهم:

وأبـــرز فـــي ذات الإلـــه ووجهـــه	**ثمـــانين ألفـــا مـــن لجـــين وعســـجد**
وأنفقهـــا فـــي مســـجد زانـــه التقـــى	**وقـــر بـــه ديـــن النبـــي محمـــد**
تـــرى الـــذهب الوهـــاج بـــين ســـموكه	**يلـــوح كلمـــح البـــارق المتوقـــد[(6)]**

---

[1] دويدار، حسن يوسف، المجتمع الأندلس في العصر الأموي، ص203

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص155-160؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص35.

(3) المقري، نفح الطيب، ج1، ص560؛ سالم، السيد عبد العزيز، المساجد والقصور، ص11.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص248.

(5)مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص115؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص248 .

(6)الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص248؛ المقري، نفح الطيب، ج3، ص55؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص115.

ولكن الداخل لم تمهله الأيام لإكماله، وتوفي قبل إتمامه فجاء بعده ابنه وولي عهده هشام الأول، وهو الذي أكمل سقائف المسجد الجامع بقرطبة، ورفع منارته القديمة، وبني الميضأة العجيبة[1]. وكما عمل على بناء مئذنة مربعة الشكل[2]، وجرت أول توسعة للجامع تلبية لحاجات الأعداد المتزايدة من المسلمين سنة (234هـ= 848م) في زمن الأمير عبد الرحمن الثاني[3]، فزيدت قاعة الصلاة بزيادة سبعة آلاف وخمسمائة ذراع مربع[4]، ولكن البناء لم يكن تم عند وفاة عبد الرحمن الثاني، وقد أكمله ابنه مجمد بن عبد الرحمن سنة (241هـ= 855م)[5]، وفيها جدد الأمير محمد طرز الجامع بقرطبة وأتقن نقوشه[6] وفي سنة 250هـ، 864م، كملت مقصورة المسجد الجامع بقرطبة[7]، ويعد مسجد جامع قرطبة من أكبر وأعظم المساجد في الأندلس، إذ كان يسع ثمانين ألف مصلٍ يصلون خلف أمام واحد[8] .

اهتم الحكام وأمراء بني أمية في الأندلس، ببناء الجوامع، والاهتمام بها كان في جميع أنحاء الأندلس، فيذكر أن الأمير عبد الرحمن الداخل وجه عنايته إلى أمور الدين، واهتم بشؤون المسلمين في الأندلس عامة، فبني لهم المساجد، ونالت مساجد قرطبة من اهتمامه القسط الأكبر، انتهت مساجد قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل إلى أربعمائة وتسعين مسجداً، ثم ازدادت بعد ذلك كثيراً[9].

ومن الإصلاحيات المعمارية في الأندلس بناء القصور، عندما دخل المسلمون الأندلس، استأثروا أمراؤهم وقادتهم ببعض المباني والقصور، التي استولوا عليها من الأسبان، وكانت تلك القصور تنتشر في المدن الأندلسية القديمة، ولما استقر العرب وأخذوا في البناء بدؤوا يبنون القصور الخاصة بهم وذلك في عصر بني أمية؛ وكان من الطبيعي أن يحيط أمراء بني أمية أنفسهم

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص168.
(2) سالم، السيد عبد العزيز، المساجد والقصور، ص17.
(3) المقري، نفح الطيب، ج1، ص561.
(4) سالم، السيد عبد العزيز، المساجد والقصور، ص19.
(5) المقري، نفح الطيب، ج1، ص561.
(6) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص180.
(7) م.ن، ص182.
(8) القحطاني، علي أحمد عبدالله، الدولة العامرية، ص304 (رسالة ماجستير).
(9) المقري، نفح الطيب، ج1، ص 540.

بهالة الملوك فارتؤوا أن يشيدوا القصور الخاصة بهم[1]، وكانوا يقيمون قصورا صغيرة خارج المدن وذلك بقصد الاستجمام والراحة[2].

أما أبرز المدن التي شهدت حركة عمرانية، ولا سيما بناء القصور في عهد الإمارة هي مدينة قرطبة التي كانت حاضرة بلاد الأندلس، بما فيها قصرها البدائع الحسان وأثروا فيه الآثار العجيبة والرياض المونقة وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة من المسافات البعيدة[3]، وتمونوا المؤن الجسيمة حتى أوصلوها إلى القصر المكرم، وأجروها في كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه في قنوات الرصاص[4] .

وفي قصر الدمشق بقرطبة يقول الفتح بن خاقان: وهو قصر شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجري في إتقانه إلى غير أمد، وأبدع بناؤه ونمقت ساحاته وفناؤه، وانخذوه ميدان مراحهم ومضمار أفراحهم، وحكوا به قصرهم بالمشرق وأطلعوه كالكوكب المشرق[5]"، ولقد كان هذا القصر من القصور التي آثرها أمراء بني أمية وخلفاؤهم، فزادوا في عمارته وانبرى وصف الشعراء له ويقول ابن عمار الشاعر[6]:

كل قصر بعد الدمشق يذم	**فيه طاب الجنى ولذ المشم**
منظر رائق وماء نمير	**وثرى عاطر وقصر أشم**
بت فيه والليل والفجر عندي	**عنبر أشهب ومسك أحم[7]**

أما قصور الراحة فقد أقام عبد الرحمن الداخل قصر الرصافة شمال قرطبة، حيث اتخذ بها قصرا حسنا ودحا جنانا واسعة، ونقل إليها غرائب الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية، وأودعها ما كان استجلبه يزيد، وسفر رسولاه إلى الشأم من النوى المختار والحبوب الغريبة، حتى نمت بيمن الجد وحسن التربية في المدة القريبة أشجار معتمة أثمرت بغرائب من الفواكه، انتشرت عما قليل

(1) القاسمي، خالد محمد، تاريخ الحضارة، ص64.
(2) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين، ص208.
(3)المقري، نفح الطيب، ج1، ص464.
(4) م.ن، ص464.
(5) المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 470.
(6) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين، ص208.
(7) المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 470.

بأرض الأندلس، فاعترف بفضلها على أنواعها قال وسماها باسم رصافة جده هشام بأرض الشام[1] .

بالإضافة إلى قصر قرطبة وقصر الدمشق وقصر الرصافة، فقد شيد عبد الرحمن الداخل كثيراً من القصور الضخمة داخل قرطبة ومنها: قصر الكامل، والمجدد، وقصر الحائر، والروضة، والزاهر، والمعشوق، والمبارك، والرشيق، وقصر السرور، والتاج، والبديع[2].

أما الأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ=822-852م)، إذ إنه أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل، وترتيب الخدمة. وكسا الخلافة أبهة الجلالة، فشيد القصور، وجلب إليها المياه، وبنى الرصيف، وعمل عليه السقائف[3].

يذكر أن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، قد عمر بعض المباني في مدينة قرطبة، ومنها المسجد الجامع ؛ كما أنه بنى فيها بنيانا كثيرا في القصر الكبير والمنى الخارجة عنه[4].

وفي عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابتنى الساباط بين القصر والجامع بمدينة قرطبة، رغبة في شهود الجمعة، ومحافظة على الصلوات، وحبا للصالحات[5].

ومن الإصلاحيات المعمارية في الأندلس اهتمام الحكام ببناء القناطر والجسور:

امتازت الأندلس بكثرة أنهارها[6]، وكان لا بد من إنشاء القناطر والجسور على تلك الأنهار لتسهيل عبور الناس، وتيسير حركتهم ولضمان حركة السلع من مكان لآخر، وقد حظي هذا الأمر باهتمام الولاة والأمراء في بلاد الأندلس؛ ولا سيما قنطرة قرطبة[7].

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج1، ص467.

(2) م.ن، ص 464.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص179.

(4) م.ن، ص182.

(5) م.ن، ص206؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص264.

(6) المراكشي، المعجب، ج1، ص375.

(7) سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة، ج1، ص34 .

فبعد أن أصبحت مدينة قرطبة حاضرة المسلمين في الأندلس، قد كان من الضروري أن ترتبط مدينة قرطبة بربضها القبلى، شقنده عن طريق القنطرة[1].

ومن هنا اهتمام حكام الأندلس، بترميم تلك القنطرة لأهميتها للسكان والمدينة، ونذكر من الحكام عندما فتح المسلمون قرطبة، وجدوا بها آثار قنطرة فوق نهرها، على حنايا وثاق الأركان من تأسيس الأمم الدائرة، قد هدمها مدود النهر على مرّ الأزمان. فتقدم إلى فضيلة النظر فيها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، عندما اتصل به خبرها؛ فأمر السمح بابتنائها؛ فصنعت على أتمَّ وأعظم مما بنى عليه جسر من حجارة سور المدينة، وفي سنة (101هـ =719م)، ورد كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على السمح بن مالك بالأندلس، يأمره ببناء القنطرة بصخر السور، وبناء السور باللبن، ويأمره بإخراج خمس قرطبة[2].

ومن أعمال الترميم التي شهدتها قنطرة قرطبة في عهد الإمارة ما قام به الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، قد نظر في بنيان قنطرة قرطبة، وأنفق في إصلاحها أموالا عظيمة، وتولى بناءها بنفسه، وتعطى الأجرة بين يديه. قال ابن وضاح: لما بنى هشام القنطرة، تكلم بعض الناس فيه، وقالوا: إنما بناها لتصيده ونزهته، فحلف حين بلغه ذلك ألا يجوز عليها إلا لغزو أو مصلحة[3].

وأما الأمير عبد الرحمن الحكم فقد قام بالعديد من الإصلاحات المعمارية، منها إقامة الجسور[4]

ومن خلال ما ذكر نستطيع القول إن إقامة القناطر والجسور، قد حظيت باهتمام حكام الأندلس، لما لها من أهمية في تأدية خدمتها للدولة والسكان.

ومن الإصلاحيات المعمارية في الأندلس اهتمام الحكام إنشاء المقابر:

اهتم حكام الأندلس بتنظيم الحياة فيها، وكان ذلك منذ بداية الفتح الإسلامي للأندلس، وعندما ولى الخليفة عمر بن عبد العزيز، السمح بن مالك بالأندلس، أمره بإخراج خمس قرطبة، فخرج من الخمس البطحاء المعروفة بالربض، فأمر الخليفة عمر أن يتخذ بها مقبرة للمسلمين[5].

---

(1) سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة، ج1، ص34 .

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص149.

(3) م.ن، ص167.

(4) المقري، نفح الطيب، ج1، ص347.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص149.

لم يقتصر اهتمام الأمراء على إنشاء المقابر، بل الحرص على حضور الجنائز، وهذا يعمل على توثيق الروابط الاجتماعية بين الحاكم والرعية، حيث كان عبد الرحمن الداخل " يحضر الجنائز ويصلي عليها[1]"، أما الأمير هشام بن عبد الرحمن، فقد عرف بالتزامه بعيادة المرضى ويشهد الجنائز[2]،

لقد حرصت الدولة ليس فقط على إنشاء المقابر، بل حتى متابعة كيفية المحافظة على آداب زيارة المقابر ذالك من مهام المحتسب "يَتَفَقَّدُ الْمَآتِمَ وَالْمَقَابِرَ، فَإِذَا سَمِعَ نَادِبَةً أو نَائِحَةً عَزَّرَهَا وَمَنَعَهَا؛ لِأَنَّ النُّوَاحَ حَرَامٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **النَّائِحَةُ وَمَنْ حَوْلَهَا فِي النَّارِ. ...، وَإِذَا خَرَجَتْ جِنَازَةٌ أَمَرَ الْمُحْتَسِبُالنِّسَاءَ أَنْ يَتَأَخَّرْنَ عَنْ الرِّجَالِ، وَلَا يَخْتَلِطْنَ بِهِمْ، وَيَمْنَعُهُنَّ مِنْ كَشْفِ وُجُوهِهِنَّ وَرُءُوسِهِنَّ خَلْفَ الْمَيِّتِ، وَيَأْمُرُ مُنَادِيًا يُنَادِي فِي الْبَلَدِ بِالْمَنْعِ مِنْ ذَلِكَ؛ وَالْأَوْلَى أَنْ يَمْنَعَهُنَّ مِنْ تَشْيِيعِ الْجِنَازَةِ**[3]".

نستطيع القول: إن ما يقوم به المحتسب من أعمال يدلل على الحرص على المحافظة على التقاليد الإسلامية والأخلاقية عند زيارة القبور.

ثانياً: القوة العسكرية في الأندلس

1- الجيش والأسطول:

يعد الجيش عماد الاستقرار السياسي في الأندلس، وقد ظلت الدولة الأموية قوية بقوة الجيش الأندلسي[4].

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج3، ص37.

(2) ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ج2، ص192 ؛ الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج1، ص4.

(3)الشيزري، نهاية الرتبة، ج1، ص106، 107.

(4) القحطاني، علي أحمد عبد الله، الدولة العامرية، ص236(رسالة ماجستير).

اهتم عبد الرحمن الداخل، بتثبيت أركان دولته، والقضاء على الثورات الداخلية التي اندلعت في أرجاء الأندلس كافة، كما عمل عبد الرحمن الداخل، على تأسيس جيش قوي، فقد وصل تعداد الجيش الإسلامي في عهده إلى مائة ألف فارس[1].

كما أنشأ دُورًا للأسلحة، فأنشأ مصانع السيوف ومصانع المنجنيق، وكان من أشهر تلك المصانع مصانع طليطلة ومصانع برديل[2].

أنشأ أيضًا أسطولًا بحريًا قويًا، بالإضافة إلى إنشاء أكثر من ميناء كان منها ميناء طرطوشة وألمرية وإشبيلية وبرشلونة وغيرها من الموانئ[3].

كان يقسّم ميزانية الدولة السنوية إلى ثلاثة أقسام: قسم ينفقه بكماله على الجيش، والقسم الثاني لأمور الدولة العامة من مؤنٍ ومعمارٍ ومرتباتٍ ومشاريعَ وغير ذلك، والقسم الثالث كان يدّخره لنوائب الزمان غير المتوقعة [4].

وفي عهد الحكم بن هشام، هو أول من جند الأجناد المرتزقين بالأندلس، وجمع الأسلحة والعدد[5]، وارتبط الخيل على بابه، واستكثر المماليك ورتب جمعا لا يفارقون باب قصره بالسلاح[6]، وبلغ عدد مماليكه خمسة آلاف مملوك، منها ثلاثة آلاف فرسان، وآلفان رجاله وجعلهم يقيمون لباب قصره نوبا، وجعل على كل مائه منهم قائداً[7].

في عهد عبد الرحمن بن الحكم وصلت الأندلس في عهده مرحلة متقدمة من المدنية، وتطورت الدولة أيضًا عسكريًا، فنجحت في التصدي لمحاولات النورمان لغزو موانئ الأندلس بحرًا عام

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج3، ص49؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص110 .
(2) السرجاني، راغب، قصة الأندلس، ص159.
(3)م.ن، ص159.
(4) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص.
(5)مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص125.
(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص413؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص217.
(7)مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص125.

(230هـ =844م)[1]. كما أمر ببناء دار صناعة بإشبيلية، وأنشأ المراكب، واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس، فألحقهم ووسع عليهم فاستعد بالآلات والنفط[2].

إن سياسة عبد الرحمن الثاني، تلك قد أعطت ثمارها، وفي سنة(234هـ=848م)، جهز عبد الرحمن الثاني، أسطولاً من ثلاثمائة مركب[3] لتأديب أهل جزيرتي ميورقةومنورقة[4]، لنقضهم العهد، وإضرارهم بمن يمر إليهم من مراكب المسلمين، ففتح الله للمسلمين عليهم[5]

وقد نجح الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، في طرد الغزاة النورمان حين حاولوا مهاجمة سواحل الأندلس، وظل الأسطول نظراً لما أظهره من فائدة وجدية موضع عناية واهتمام أمراء الأندلس، حتى بات الأندلسيين أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر، واحداً من أحسن أساطيل عالم القرن العاشر للميلاد[6].

2- التحصينات العسكرية في الأندلس:

أ- بناء الأسوار

اهتم الأمويون بتحصين مدن الأندلس اهتماماً كبيراً، فأقاموا الأسوار والحصون في سائر مدنها[7]

لما ولى الأندلس السمح بن مالك الخولاني، عمل على إعادة بناء ما تهدم من سور قرطبة،حيث استشار الوالي السمح بن مالك، الخليفة عمر بن عبد العزيز، بان تبنى القنطرة من صخور السور، وبناء السور باللبن[8]، فقد حرص الأمير عبد الرحمن الداخل، على العناية بسور قرطبة بعد توليه أمر الأندلس، وفي سنة (150هـ=767م)، بنى عبد الرحمن

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص177.
(2) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص82، 83.
(3) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص178.
(4) ابن سعيد، المغرب، ج1، ص49.
(5) القرطبي، ابن حيان، المقتبس من أنباء الأندلس، ج1، ص1؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص49.
(6) نعنعي، عبد المجيد، الدولة الأموية في بلاد الأندلس، ص226.
(7) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص412.
[8] ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص149

الأموي سور قرطبة[1]، وفي عهد الحكم بن هشام، أتقن سور قرطبة وحفر خندقها سنة (189هـ=805م)[2]، وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، عمل على بناء سور لمدينة إشبيلية، بإشارة عبد الملك بن حبيب الفقيه[3]، يحرضه على بناء سور إشبيلية يقول له: "حقن دماء المسلمين أيدك الله وأعلى يدك بابتناء السور أحق وأولى فأخذ برأيه[4]".

وفي سنة (219هـ=834م)، سير عبد الرحمن بن الحكم الأموي، جيشا مع أمية بن الحكم إلى مدينة طليطلة، فحصرها وكانوا قد خالفوا الحكم وخرجوا عن الطاعة[5]، وفي سنة (239هـ=853م)، خرج الحكم ابن الأمير عبد الرحمن إلى طليطلة بالصائفة. وكانت قلعة رباح[6] قد أقفرت، خوفا من أهل طليطلة. فاحتلها الحكم، وأمر ببناء سورها، واسترجاع من فرَّ من أهلها إليها[7].

ب- بناء الحصون:

شهدت المدن الأندلسية بناء الحصون، والمعاقل وفي مدينة لاردة قد جدد إسماعيل بن موسى بن لب بن قسي، سنة (270هـ=883م)، حصن لاردة فجعله منيعاً فلا ترام بقتال ولا يطمع فيها بطول حصار[8]. أما الأمير محمد بن عبد الرحمن، فقد بنى حصن مجريط من الحصون الجليلة[9]. ويعد إقليم بجانة، وفيه من المدن المرية، وبرجة، وحصون كثيرة منها مرشانة، وبرشانة، وطوجالة، وبالش، ويتلوه في جهة الجنوب إقليم البيرة، وفيه من المدن غرناطة، ووادي

---

(1)أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج1، ص150؛ الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص187.

(2)ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص170.

(3) ابن سعيد، المغرب، ج1، ص49؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص260.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص260.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص16؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص176.

(6) قلعة رباح : بالأندلس أيضاً من عمل جيان، وهي بين قرطبة وطليطلة، وهي مدينة حسنة ولها حصن حصين على نهر آنه، وهي مدينة محدثة في أيام بني أميَّة، (الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج1، ص469).

(7) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص180.

(8) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج1، ص507.

(9)م.ن، ص523.

آش، والمنكب، وحصون وقرى كثيرة، ومنها إقليم فريرة، وهو يتصل بإقليم البشارات، وفيه مدينة بسطة، وحصن طشكر، الموصوف بالمنعة وفيه حصون كثيرة[1].

ومن إسهامات الخلافة الأموية الأخرى في بناء الحصون، والأسوار، حصنا وقش، ومكادة[2]، اللذان بناهما فتح بن إبراهيم الأموي[3]، بطليطلة في عهد محمد بن أبي عامر قبل وفاته سنة (403هـ=1012م)[4].

نستطيع القول إن اهتمام حكام الأندلس، ببناء أسوار المدن، فقد حرص الحكام على بناء القلاع، والحصون، والأبراج، لتكون مراكز دفاع لحفظ أمن الدولة، وحماية الشعب، مما كان يتعرض للتخريب من قبل المتمردين، والخارجين على السلطة، أو ما كان يحتاج إلى ترميم .

ثالثاً: بناء المدن العسكرية:

واهتم حكام الأندلس بناء المدن العسكرية، بعد أن تم الاستقرار السياسي، والاقتصادي، في عصر الإمارة، والخلافة، ومن أبرز المدن التي قامت على أرض الأندلس:

1. مدينة تُطَيلة:

مدينة بالأندلس في شرقي قرطبة، بنيت في أيام الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية[5]، تعد مدينة تُطَيلة. من مدن الثغور في الأندلس[6]؛ إن سبب بناء مدينة تطيلية، يعود إلى عامل عسكري، فعهد الأمير الحكم شهد أحداثاً داخلية تطلبت منه العناية بالجيش؛ كانت الأندلس في عهد الأمير الحكم عرضه للمخاطر الخارجية[7].

---

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ص537.

(2) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ج1، ص135.

(3) يعرف. بابن الفشاري: من أهل طليطلة؛ يكنى: أبا نصر. (ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص147).

(4) ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص147.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص33.

(6) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص213.

(7) المقري، نفح الطيب، ج1، ص339-340.

2. مدينة مجريط:

مدينة بالأندلس بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن، وحصن مجريط من الحصون الجليلة[1]، أن فيها قلعة منيعة[2].

يتبين لنا أنّ بناء مدينة مجريط عسكري دفاعي؛ لأن عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، كان يتميز بأنه أخطر عهد مر على الأندلس، إذ شهد هجوم النورمان على الأندلس[3].

3. مدينة طلمنكة:

مدينة بثغر الأندلس[4] بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم[5].

4. مدينة بطيلوس:

تقع بالأندلس من إقليم ماردة، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى بإذن الأمير عبد الله بن محمد [6]، يوجد في مدينة بطليوس سور منيع، وبها حصن مارتلة ويصب في قريب من جزيرة شلطيش[7].

نستطيع القول إن بناء المدن في الأندلس، تُعدُّ بمنزلة حصن عسكري، للوقوف بوجه الأعداء؛ وحماية البلاد من الهجمات الخارجية، والمحافظة على أمن الدولة.

---

(1) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج1، ص523.

(2)الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ص552؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ج1، ص180.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص28؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص350-351.

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص331؛ بن فرحون، الديباج المذهب، ج1، ص39؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ج1، ص393.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص39.

(6) م.ن، ج1، ص46.

(7) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ص545؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ج1، ص46.

رابعاً: حماية حقوق الانسان:

حرص حكام الأندلس على حقوق الإنسان والحفاظ على كرامتهم، ويظهر ذلك من خلال اهتمام الحكام بالرعية، كان عبد الرحمن الداخل، يحافظ على شعور الناس جميعاً، يحكى أنه طلب منه أحد الناس أمراً أمام الناس، فقضاه له، ثم قال له: وإذا ألم بك خطب أو حزبك أمر فارفعه إلينا في رقعة لا تعدوك؛ كيما نستر عليك؛ وذلك بعد رفعك لها إلى مالكك ومالكنا عز وجهه بإخلاص الدعاء وصدق النية(1).

فكان يحث الناس على أن يرفعوا حاجتهم في البداية إلى رب العالمين سبحانه وتعالى، وأن الله سبحانه وتعالى يملكهم جميعاً. وكان يأمرهم بأن ترفع الحاجة إليه في رقعة، حتى يستر عليه حاجته، ولا يشمت فيه أعداؤه(2)

إن حرص حكام الأندلس على الاهتمام بحقوق الاتسات جعلهم متواضعين، ويظهر ذلك من خلال مقابلة الرعية وجهاً لوجه، والنظر في مظالمهم، واحتياجاتهم، فكان الأمير الحكم بن هشام، له يومان في الأسبوع يقعد فيهما مع العامة بنفسه، وينظر في أمورهم بإشرافه ويكف مظالمهم بإنصافه ويحضر مجلسه القضاة، والفقهاء، وكان يقيم الصلوات بنفسه، ويشهد الجنائز(3) .

خامساً: التقدم الاقتصادي

تنوع النشاط الاقتصادي في الأندلس في عهد الدولة الأموية في الأندلس بين زراعة، وصناعة وتجارة، انعكس ذلك على دولتهم، وبناء دولة قوية متماسكة مستقرة، وقد كان نظام الري في الأندلس متطوراً لا سيما في المناطق الشرقية من الأندلس، وقد ورث العرب هذا النظام من القوط بعد فتح الأندلس[4]، فقد كان الري يتم بوساطة شبكة من قنوات الري في إقليمي مرسية وبلنسية[5] .

---

(1)المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 39؛ صفوت، ذيل جمهرة خطب العرب، ج1، ص 163.

(2) السرجاني، راغب، قصة الأندلس، ص163.

(3) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص128.

[4]اشتيوي، اشرف يعقوب أحمد، الأندلس في عصر الولاه، ص186(رسالة ماجستير)

[5] ذو النون طه، الفتح، ص79، 80 ؛ كولان، ج.س، الأندلس، ص101

حيث نظر الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، في بنيان قنطرة قرطبة، وأنفق في إصلاحها أموالا عظيمة، وتولى بناءها بنفسه، وتعطى الأجرة بين يديه[1].

وأما الأمير عبد الرحمن الحكم فقد قام بالعديد من الإصلاحات المعمارية منها إقامة الجسور[2]

ويرجع إلى الأمراء الأمويين وضع أساس النظام المالي للأندلس، كما يرجع إليهم استغلال موارد البلاد وثرواتها الزراعية، والمعدنية، فضلاً عن تنظيم جباية المكوس على التجارة الداخلية والخارجية[3]، وقد بلغت الأندلس من الرخاء الاقتصادي في عهد عبد الرحمن بن الحكم، وبلغت حصيلة الجباية من المكوس وحدها ألف ألف دينار في السنة[4] .

نستطيع القول: إن حكام الأندلس في عهد الدولة الأموية، قد اهتموا بالزراعة، فأصلحوا وسائل الري ونظموها، وبنوا السدود، وشقوا القنوات، وأقاموا الجسور والقناطر، واستغلوا المياه المتساقطة من الجبال.

أما عن الصناعة بالأندلس فقد كان للحكام أثر كبير في نهضتها، ويرى ابن خلدون أن رسوخ الصناعات في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة، وطول أمدها فيقول: " كالحال في الأندلس لهذا العهد فإنا نجد فيها رسوم الصنائع قائمة وأحوالها مستحكمة، راسخة، في جميع ما تدعو إليه عوائد أمصارها، كالمباني والطبخ وأصناف الغناء واللهو من الآلات والأوتار والرقص وتنضيد الفرش في القصور وحسن الترتيب والأوضاع في البناء، وصوغ الآنية من المعادن والخزف وجميع المواعين، وإقامة الولائم والأعراس وسائر الصنائع التي يدعو إليها الترف وعوائده؛ فنجدهم أقوم عليها وأبصر بها، ونجد صنائعها مستحكمة لديهم، فهم على حصة موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الأمصار، وإن كان عمرانها قد تناقص، والكثير منه لا يساوي عمران غيرها من بلاد العدوة، وما ذاك إلا لما قدمناه من رسوخ الحضارة فيهم برسوخ الدولة الأموية، وما قبلها من دولة القوط، وما بعدها من دولة الطوائف، وهلم جرا فبلغت الحضارة فيها مبلغا لم

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص167.

(2) المقري، نفح الطيب، ج1، ص347.

(3) القحطاني، علي أحمد عبدالله، الدولة العامرية، ص251(رسالة ماجستير) ؛ عنان، محمد، دولة الاسلام في الأندلس، ص690.

(4) عنان، محمد، دولة الإسلام في الأندلس، ص690.

تبلغه في قطر إلا ما ينقل عن العراق والشام ومصر أيضا لطول آماد الدول فيها فاستحكمت فيها الصنائع وكملت جميع أصنافها على الاستجادة والتنميق[(1)]".

فقد ازدهرت في الأندلس، بعض الصناعات، وكان من أهمها صناعة النسيج، واستخراج الذهب والفضة والنحاس، وكذلك صناعة الجلود، وصناعة السفن، وآلات الحرث، وكذلك صناعة الأدوية[(2)]، وصناعة استخراج ملح الطعام على ساحل قادس[(3)(4)].

أما عن التجارة بالأندلس فقد كان للحكام أثر كبير في نهضتها، ويذكر ابن خلدون أن التجارة هي:" محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيام كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر النامي يسمى ربحا[5]" أما فيما يتعلق بالنشاط التجاري في الأندلس، فقد كان في الأندلس مدن تجارية كثيرة في الجنوب، والشرق منها طليطلة، واشبيلية وغيرها، وعرف الأندلس نوعين من التجارة الخارجية التي كانت تتم بين الأندلس، وبقيه أنحاء العالم[6].

أن اليهود لعبوا دوراً هاماً في تنشيط الحركة التجارية في الأندلس، دوراً مهم في استمرار الحركة التجارية في البحر المتوسط بين الإمبراطورية الفرنجية في أوربا، ودول الشرق حيث قام هؤلاء

---

(1) مقدمة ابن خلدون، ج1، ص402؛ دويدار، حسن يوسف، المجتمع الأندلس في العصر الأموي، ص347.

(2) السرجاني، راغب، قصة الأندلس، ص221.؛ كولان، ج.س، الأندلس، ص104

(3) جزيرة بالأندلس عند مدينة طالقة من مدن إشبيلية، وطول جزيرة قادس اثنا عشر ميلاً، وعرضها في أوسع المواضع ميل، وبها مزارع كثيرة الريع، وأكثر مواشيها المعز. (الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ج1، ص145)

(4) كولان، ج.س، الأندلس، ص104

5 مقدمة ابن خلدون، ج1، ص394

6 اشتيوي، أشرف يعقوب أحمد، الأندلس في عصر الولاة، ص189

التجار بأخذ السلع التي وصل إلى الأندلس من بلاد المشرق ويحتاجها الأوربيون وبيعها في بلاد الغال[1].

وكان التجار القادمون إلى الأندلس يشترون منها كل ما يحتاجون إليه من المحاصيل، والبضائع التجارية كالزعفران، والزبيب، والحرير، والديباج، وآلات النحاس وغيرها، وحينما دخل العرب اسبانيا كان البيزنطيون يتمتعون بالسيادة التجارية الكاملة على سواحل البحر المتوسط غير أن العرب نافسوهم عليها وانتزعوها منهم[2].

سادساً: محبة الرعية للحاكم

اتصف كثير من حكام الأندلس بالعدل، وانعكس ذلك على دولتهم، وبناء دولة قوية متماسكة مستقرة، ومن الآثار المترتبة على عدل الحكام محبة الرعية، إن سياسة التسامح والتصالح التي جرى عليها ابن معاوية وعفوه عن خصومه وجهوده التي بذلها لمحو الأحقاد، قد أكسبته محبة أهل الأندلس، وشجعت هذه السياسة على إقبال كثير من المشارقة على الأندلس(3).

ومن مظاهر محبة الرعية للحاكم، تظهر وقت الأزمات، وهناك ما يدلل على محبة الرعية للأمير هشام بن عبد الرحمن، عندما تمرد عليه أخوه سليمان في طليطلة (172هـ=788م)، غزا هشام طليطلة (173هـ=789م)؛ فخرج سليمان منها وترك ولده وأخاه عبد الله، واتجه إلى قرطبة، فدافعه أهل قرطبة(4).

وهذا يدلل على أن هشاماً كان عادلاً ، ولو كان هشام ظالماً لرعيته لسلمت قرطبة لسليمان ولكن محبة الرعية لهشام دفعتهم لصد سليمان.

---

[1] الخالدي، خالد، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، ص233.

[2] اشتيوي، أشرف يعقوب أحمد، الأندلس في عصر الولاة، ص190.

(3) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، ص194.

(4) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص119–120.

من الدلائل على محبة الرعية لعبد الرحمن بن الحكم، أن زرياب [1]غنى له قصيدة لأبي العتاهية:

قالت ظلوم سمية الظلم	**ما لي رأيتك ناحل الجسم**
يا من رمى قلبي فأقصده	**أنت العليم بموضع السهم[2]**

ومن مظاهر محبة الرعية للأمير محمد بن عبد الرحمن، لقد أحبه أخوه، قال محمد لأخيه أبان:" هل لك أمل نبلغك إياه ؟ فقال: لم يبق لي أمل إلى أن يديم الله- تعالى- عمرك ويخلد ملكك، فأعجب الأمير، وقال: ما مالت إليك نفسي من باطل، قال أبان: يا من يلوم، ولا يدري بمن أنا مفتون، لو أبصرته ما كنت تلحاني من مازجت روحه روحي وشاطرني يا حسنه حين أهواه ويهواني[3]".

فمن الروايات الدالة على محبة الرعية للأمير عبد الله أن الرعية كانت تقدم النصح له، فقد روي أن سعيد بن خمير[4] قال للأمير:" أيها الإمام أنت من المتقين، وإنما يقوم الناس لرب العالمين، فلا ترض في رعيتك بغير الصواب، فإن العزة لله جميعاً"، فأمر الأمير عبد الله العامة بترك الوقوف إليه إلا أنهم لم ينتهوا، في حين أذن ببناء الساباط طريق مشهور من قصره إلى المقصورة[5].

نلاحظ أن الرعية تقدم النصح للحاكم، فلقد نصح سعيد بن خمير الأمير عبد الله.

---

(1) زرياب، هو علي بن نافع أبو الحسن شيخ الغناء بالأندلس، وفد عليها أيام عبد الرحمن وقد علم أبناءه الغناء وعلم بناته، ومن بناته: علية وحمدونة كلهم غنى، وكانت حمدونة متقدمة في الغناء على أختها. (الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص64).

(2) المقري، نفح الطيب، ج8، ص 615.

(3)م.ن، ج3، ص580.

(4) سعيد بن خمير بن عبد الرحمن، توفي رحمه الله 301هـ = 913م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص101.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص 264.

سابعاً: التقدم العلمي

التزم حكام الأندلس بالشريعة الإسلامية مما انعكس على دولتهم، وبناء دولة قوية متماسكة مستقرة، عندما فتح المسلمون الأندلس كان هناك في البداية حروب صرفت العقول عن الاهتمام بالعلم والثقافة إلا قليلاً، وكانت هناك خلافات بين المسلمين الفاتحين؛ بسبب العصبيات القبلية والجنسية، حتى إذا بدأت الأمور بالهدوء والاستقرار، ولا سيما في عصر الإمارة وأخذت الدولة الأموية تربى قواعدها على يد عبد الرحمن الداخل، بدأت الحركة العلمية في الظهور والنمو[1].

لقد كان عبد الرحمن الداخل، من أهل العلم، وعلى سيرة جميلة من العدل[2]، فوق براعته الأدبية عالماً بالشريعة الإسلامية، وكان شاعراً مجيداً ومن شعره ما كتب به لأخته بالشام يتشوق إلى وطنه:

أيها الراكب المُيَمَّم أرضي . . . أقْرِ من بعضي السلام لبعضي

إن جسمي كما علمْتَ بأرض   وفؤادي كما علمت بأرض

قُدِّر البيْن بيننا فافترقنا   وطوى البين عن جفوني غُمضي

قد قضى الله بالفراق علينا   فعسى باجتماعنا سوف يقضي[3]

وكان ابنه هشام الرضا، أديباً فاضلاً، محباً في أمور البر مقربا للعلماء والصلحاء مؤيداً منصورا[4].

وفي عهد الحكم بن هشام اتخذت الحركة الفكرية طابعا أوسع وظهرت طوالع النزعة الأدبية إلى جانب العلوم الدينية، وكان الحكم بن هشام في مقدمه شعراء عصره .

وفي أيام الحكم انتقل العلماء بالأندلس عن رأي الأوزاعي، وأهل الشام بالكلية وكانوا عليها أول حلول الإسلام بها، فحولت إلى رأي الإمام مالك بن أنس وأهل المدينة[5]، فانتشر مذهب مالك

---

(1)دويدار، حسن يوسف، المجتمع الأندلس في العصر الأموي، ص44.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص165.

(3) ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ج2، ص191؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص103؛ المراكشي، المعجب، ج1، ص17؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص36.

(4) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص120.

(5) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص125.

بالأندلس[1]، وذلك بأمر الحكم؛ والسبب فيه أن رجلاً من أهل الأندلس ارتحل إلى المشرق بموسم الحج، وطلب العلم فسمع من مالك وأصحابه وسعة علمه وجلالة وقدرة إمامته، وأهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، ما عظم به لديهم قدرة فسارعوا إلى الاقتداء به، فانتشر مذهب مالك بن أنس، وأول من أدخل كتاب الموطأ بالأندلس، مكملا متقفا بالسماع يحيي بن الليثي؛ لأنه كان في أيامه هو وعيسى بن دينار[2].

أما الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط، فقد كان يحفظ القرآن بالروايات السبع، ويحفظ أزيد من ثلاثة آلاف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم[3]، كان عارفا بالتعديل والعلم بالفلك والفلسفة، وكان عالما بعلوم الشريعة، وكان أديباً شاعراً[4]، وكانت له همة في كتب العلوم، والآداب فبعث ثقته عباس بن ناصح الثقفي، إلى بغداد بالأموال، فاشترى له منها كل غريب، وهو أول من أدخل كتب الزيجات، وكتب الفلسفة، والموسيقا، والحكمة، والطب، والنجوم إلى الأندلس[5].

وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، مستكملاً لكل خير جامعا لكل فضيلة محباً للعلوم، مؤثرا لأصحاب الحديث عارفا بمصالح دنياه، وأخراه حسن السيرة[6].

ثامناً: حسن اختيار الموظفين في الدولة

اتصف كثير من حكام الأندلس بحسن اختيار الموظفين في الدولة، وانعكس ذلك على دولتهم، وبناء دولة قوية متماسكة مستقرة، فقد روي أن اختيار القضاة كان يتم بعد تمحيص دقيق فعلى سبيل المثال القاضي معاوية ابن صالح الذي تولى القضاء في عهد عبد الرحمن الداخل ، قال يحيي فيما روي عن جعفر الطيالسي معاوية ابن صالح ثقة[7]. ولاختيار المنصب المناسب كان

---

(1) ابن ماكولا، الإكمال، ج7، ص110؛ المقري، نفح الطيب، ج2، ص10.

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص125.

(3)م.ن، ص137.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص 117؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص113؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص179.

(5) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص142.

(6) م.ن، ص147.

(7)الحميدي ،جدوة المقتبس ،ص304-307.

يستشير فيمن يولي منصب القضاء، ولقد أشار على ابنه هشام، وابن مغيث أن يعين مصعب بن عمران[1].

ومن خلال الروايات السابقة تبين حسن اختيار الموظفين في الدولة .

اتصف قضاة الأندلس بالنزاهة، ففي عهد الأمير هشام، روى أن القاضي مصعب بن عمران سجل على أحد رجال الأمير في دار أخرجه عنها، اشتكى الرجل الأمير، فقال هشام: " والله لو سجل في مقعدي هذا لخرجت عنه"[2].

ونلاحظ أن حرص العلماء على وضع شروط ومواصفات خاصة للقاضي، لعظم الوظيفة وتأثيرها في أوضاع الرعية من حيث العدل وإقامته ومدى ثقة الناس واطمئنانهم في الحصول على حقوقهم[3].

تاسعاً: العلاقات الدبلوماسية عند حكام الأندلس

لم تكن العلاقات بين العرب المسلمين في الأندلس و الممالك النصرانية في الأندلس، علاقات حربية عدائية إنما تخللتها حقب من السلم، وتبادل السفارات السياسية والعلمية بين الطرفين.

وتبدأ تلك العلاقات بمبادرة الإمبراطور "يتوفيل" حينما أرسل سفارة إلى عاهل الأندلس "عبد الرحمن الثاني" (سنة 225هـ =840م). وكان على رأس تلك السفارة رجل يوناني يجيد اللغة العربية اسمه "قرطيوس". كما أرسل معه هدايا فاخرة ورسالة يخطب فيها وده، ويسأله عقد تحالف معه ضد العباسيين الذين قضوا على ملك أجداده الأمويين بالمشرق. كما يطلب أيضاً مساعدته ضد الأغالبة في صقلية وضد الربضيين في جزيرة كريت، واستقبل "عبد الرحمن" الرسل استقبالاً فخماً، وقبل الهدايا البيزنطية[4].

قرر الأمير عبد الرحمن، أن يرد على تلك السفارة بسفارة مماثلة ترافق الوفد النورماندي، في عودته إلى بلاده على أن يرأسها الأديب الشاعر يحيي بن حكم الغزال، ويرافقه يحيي بن حبيب،

---

(1)ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ،ص228.

(2) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص144.

(3) حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، في عصر المرابطين والموحدين، ص 160-161.

(4) العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي والأندلسي، ص351.

وقد حمل الغزال معه رسالة جوابيه من الأمير عبد الرحمن، إلى زعيم النورمانديين، وهدية ثمينة[1].

عاشراً: الحرية الدينية:

اتصف كثير من حكام الأندلس بالحرية الدينية، وانعكس ذلك على دولتهم، وبناء دولة قوية متماسكة مستقرة، فقد عامل العرب إليهود معاملة طيبة عند دخولهم الأندلس، وعهدوا إليهم بحراسة بعض المدن التي فتحوها تحت إمرة المسلمين[2]، ولما استقر المسلمون في الأندلس تخلص إليهود من ظلم، واضطهاد الحكام الذين سبقوهم فقد منحهم المسلمون حريات لم يكونوا يحلمون بها منها حرية العمل، والتنقل والتملك بالإضافة إلى الحرية الدينية، كان لذلك آثره في هجرة الكثير من يهود أوروبا، إلى الأندلس بعد فتح المسلمين لها[3].

---

(1) الصوفي، خالد، تاريخ العرب، ص192.

(2) عبد العزيز سالم، السيد، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص133.

(3)دويدار، حسن يوسف، المجتمع الأندلس في العصر الأموي، ص48.

المبحث الثاني

تأثير أخلاق حكام الأندلس في عصر الخلافة على بناء الدولة

أولاً: بناء مؤسسات الدولة والمجتمع

لقد نجح عبد الرحمن الناصر في تعمير البلاد وبنائها، وصنع دولة قوية متماسكة مستقرة، حيث بني مدينة الزهراء[1][2]؛ فكان الجزء الأعلى منها قصورا يعجز الوصف عن وصفها[3]، وينسب إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر، زيادة مشهودة في مسجد قرطبة الجامع، إذ أقام صومعة جديدة كبيرةِ من الحجر في سنة (340هـ= 951م)؛ وذلك بسبب تصدع الصومعة القديمة التي بناها الأمير هشام الرضا[4]، وقد كانت الصومعة القديمة ذات مطلع واحد؛ فجاء عبد الرحمن الناصر وأمر بإزالتها وجعل الصومعة الجديدة مطلعين، وفصل بينهما بالبناء؛ فلا يلتقي الراقون فيها إلا بأعلاها، ولكل مطلع منها مائة درج وسبعة أدراج؛ وطولها ثمانون ذراعا إلى وقوف المؤذن؛ وفي أعلى ذروة المنار ثلاث رمانات تغشى النواظر بشعاعها، وتخطف الأبصار بالتماعها: الأولى مفروغة من الذهب، والوسطى من الفضة، والثالثة من الذهب أيضا؛ وزنة كل رمانة من الثلاثة المذكورة قنطار واحد فما دونه، ودور كل واحدة ثلاثة أذرع ونصف[5].

وأمر الخليفة عبد الرحمن الناصر، بإقامة محراب جديد لمصلى المصارة، وأقيم بالربض بعد هدمه مصلى آخر مكشوفاً كان يستخدم لصلاة الاستسقاء[6].

---

(1) أنشأ الخليفة عبد الرحمن الناصر، مدينة الزهراء، ومن مدينة قرطبة إلى مدينة الزهراء خمسة أميال، وهي مدينة عظيمة مدرجة البنية مدينة فوق مدينة سطح الثلث الأعلى يوازي علي الجزء الأوسط وسطح الثلث الأوسط يوازي علي الثلث الأسفل وكل ثلث منها له سور فكان الجزء الأعلى منها قصورا يقصر الوصف عن صفاتها والجزء الأوسط بساتين وروضات والجزء الثالث فيه الديار والجامع . (الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ص579، 580).

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص233؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، ص219.

(3)الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ص580.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص241.

(5) م.ن، ج1، ص241.

(6) القاسمي، خالد محمد، تاريخ الحضارة، ص63.

حيث أمر الحكم المستنصر بالله، في عام (351هـ= 961م)، بزيادة المسجد الجامع بقرطبة؛ بسبب تضاعف عدد سكان قرطبة[1].

في سنة (377هـ= 987م)، لما زاد الناس بقرطبة، ونجلب إليها قبائل البربر من العدوة وأفريقية، ضاقت الأرباض وغيرها، وضاق المسجد الجامع عن حمل الناس؛ فشرع المنصور بن أبي عامر، في الزيادة بشرقيه، حيث يتمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة، كما قام المنصور بن أبي عامر، بإضاءة المسجد الجامع بالشمع[2]. وفي عهد المنصور بن أبي عامر، بلغت المساجد ألفا وستمائة مسجد[3]، وقد بلغت الحمامات في مدينة قرطبة نحو تسعمائة حمام في عصر المنصور بن أبي عامر[4]، أما ما يخص النساء خاصة ثلاثمائة حمام عام[5].

وبهذا يمكن القول إن إنشاء المسجد الأعظم في قرطبة لم يتم دفعة واحدة، بل وقع شيئاً فشيئاً فكان يزداد البناء والتعمير كلما ازداد عدد السكان، لقد كانت مهمة أقامة تلك المساجد من واجبات الدولة بصفتها المسؤولة عن إنشائها، إضافة إلى دور الأفراد في إقامة بعضها. ويمكن القول إن إنشاء المساجد يعد من الخدمات التي حرصت السلطات الحاكمة والأفراد على توفيرها للمسلمين، فالمسجد لم يكن مكانا للعبادة فقط بل هو مركز اجتماعي وسياسب واقتصادي وتعليمي، ومن هذا المنطلق فقد أخذ المسجد أهمية والحرص على أن يكون أول ما يميز المسلمين في البلاد والمدن التي فتحوها.

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص243.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص268.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، ص219.

(4) المقري، نفح الطيب، ج1، ص540.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص243.

ثانياً: التقدم العلمي

كان لنشأة الخليفة عبد الرحمن الناصر، أثر كبير على تشكيل سلوكه إزراء الحركة الفكرية فقد درس القرآن، والحديث، وهو طفل لم يتجاوز العاشرة، وبرع في اللغة، والشعر إلى جانب فنون الحرب، والفروسية[1]، وكان عصر عبد الرحمن الناصر، من ألمع عصور الدولة الأموية في الأندلس، فقد زهت فيه العلوم والآداب، وظهرت فيه جمهرة من أكابر الشعراء والعلماء[2].

وفي عصر الحكم المستنصر ازدهرت النهضة الفكرية؛ نظراً لأن الحكم المستنصر كان أديباً، وعالماً وفقيهاً في المذاهب عالما بالأنساب، والسير، حافظاً للتواريخ عارفاً بأيام الناس جمع أهل العلم من كل مصر[3].

كان الحكم المستنصر، محبا للعلوم مكرما لأهلها جماعا للكتب في أنواعها بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله قال أبو محمد بن حزم الدواوين لا غير[4]حيث روي أن تليد الخصي وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة وفي كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا أسماء الدواوين فقط[5].

وكان الحكم المستنصر، مشجعاً للعلم والأدب بل كان رائداً للحركة الفكرية في عصره التي كان من أبرز ظواهرها جامعة قرطبة، وإنشاء المكتبة الأموية الكبرى، التي بذل الحكم المستنصر في إنشائها من الجهد، والمال ما لم يسمع بمثله حتى بلغت في محتوياتها زهاء أربعمائة ألف مجلد من مختلف أصناف العلوم والفنون[6]، كما كثرت في عهده المكتبات العامة، والخاصة، واحتشد حول بلاط الحكم المستنصر، كبار العلماء، والأدباء، والشعراء، وفي مقدمتهم الحافظ أبو بكر معاوية القرشي، أبو على القالي[7].

---

(1) البشري، سعد عبد الله صالح، الحياة العلمية في عصر الخلافة، ص69(رسالة ماجستير) .

(2) القحطاني، علي أحمد عبدالله، الدولة العامرية، ص258(رسالة ماجستير).

(3) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص169.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص187؛المقري، نفح الطيب، ج1، ص385.

(5) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص169؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص187؛المقري، نفح الطيب، ج1، ص385.

(6) القحطاني، علي أحمد عبد الله، الدولة العامرية، ص251(رسالة ماجستير).

(7) م.ن، ص260(رسالة ماجستير).

كان المنصور بن أبي عامر، عالماً محباً للعلماء يكثر مجالستهم ويناظرهم[1]، وكان– رحمه الله تعالى– له مجلس في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلم للكلام بحضرته بقرطبة[2].

وكان مع ذلك شاعراً نبيلاً، ومن شعره وهو يفتخر رحمه الله:

ألـــم ترنـــي بعـــت الإقامـــة بالســـرى ولـــين الحشـــايا بـــالخيول الضـــوامر[3]

فمن الآثار المترتبة على ذالك في عهد المنصور بن عامر تحقيق الأمن؛ ففي عهده لم يضطرب عليه شيء أيام حياته لحسن سياسته وعظم هيبته[4].

أما عبد الملك المظفر لم يكن كأبيه في الاهتمام بالعلم والأدب، وبرغم ذلك فأنه كان بارا بالعلماء، والأدباء[5]، حيث بلغت الأندلس في أيامه نهاية الجمال والكمال[6].

أما عبد الرحمن الناصر ابن المنصور محمد بن أبي عامر، فكان من أهل الأدب والشجاعة والمحبة للعلوم وأهلها، نشأ بقرطبة، وكانت له همة وجلادة وجرأة، فلما جاءت أيام الفتنة، وتغلبت العساكر على النواحي بذهاب دولة بني أبي عامر[7].

نستطيع القول إن حكام الأندلس في مختلف الأزمنة كانوا يجلون ويوقرون العلماء والفقهاء، ووضعهم في الموضع الذي يليق بهم، وكان معظم حكام الأندلس على مستوى من الثقافة العلمية التي تسمح لهم بمجالسه العلماء والفقهاء، ومناقشتهم في أمور الدولة، واهتمام الحكام في نشر العلم واللغة العربية، وبناء الجامعات والمكتبات لنشر العلم في الأندلس.

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص25.

(2) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص237.

(3) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص275؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص177.

(4) الزركلي، الأعلام، ج6، ص266.

(5) البشري، سعد عبد الله صالح، الحياة العلمية في عصر الخلافة، ص85(رسالة ماجستير) .

(6)الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج7، ص78؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص212.

(7) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج1، ص126.

ثالثاً: التقدم الاقتصادي

اهتم حكام الأندلس بالنشاط الاقتصادي، انعكس ذلك على دولتهم، وبناء دولة قوية متماسكة مستقرة، يرجع ذلك إلى الحكام الأمويين، ووضع أساس للنظام المالي للأندلس، كما يرجع إليهم استغلال موارد البلاد وثرواتها الزراعية، والمعدنية[1]، وازدادت جباية في عهد عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف دينار، وأربعمائة ألف وثمانين ألفا، ثم من السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار[2].

ومن أشهر المدن التي بنيت في عصر الخلافة مدينة سالم، بنيت سنة (335هـ= 946م) بالثغر الأوسط[3]، ويقول ابن حزم:" عَمَلِ مَدِينَةِ سَالِمٍ بِالأندلس فَإِنَّهُمْ يَزْرَعُونَ الشَّعِيرَ في آخِرِ أَيْلُولَ لِغَلَبَةِ الثَّلْجِ على بِلَادِهِمْ حتى يَمْنَعُهُمْ من زَرْعِهَا[4]".

يظهر مما سبق أن النشاط الاقتصادي الذي كان سائداً في مدينة سالم، هو النشاط الزراعي.

وأيضاً استمرت حالة الأمن والاستقرار، والرخاء الاقتصادي في الأندلس، في عهد الخليفة الحكم المستنصر[5].

وفي عصر المنصور بن أبي عامر، حققت موارد الدخل في الأندلس زيادة عظيمة، حيث وصل محصل الجباية في عهده أربعة آلاف دينار، سوى رسوم المواريث بقرطبة، وكور الأندلس كانت تجرى على الأمانة، سوى مال السبي والمغانم[6].

---

(1)عنان، محمد، دولة الإسلام في الأندلس، ص690.

(2) المقري، نفح الطيب، ج1، ص211.

(3)ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص235.

(4)المحلى، ج5، ص262.

(5) الحميدي، جذوة المقتبس، ج1، ص42؛ الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص40؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج2، ص200.

(6) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص98 .

نستطيع القول إن ازدهار الحالة الاقتصادية في الأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر؛ نتيجة لكثرة غزواته وانتصاراته فيها ورجوعه منها محملا بالغنائم والأموال والسبي، إضافة إلى عنايته بالزراعة، والصناعة، والتجارة[1].

ومن آثار الازدهار الاقتصادي والترف الاجتماعي في الأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر، "أن المنصور لما قدم عليه رسول ملك الروم الذي هو أعظم ملوكهم في ذلك الزمان ليطلع على أحوال المسلمين وقوتهم، فأمر المنصور أن يغرس في بركة عظيمة ذات أميال نيلوفر على ما تسع ثم أمر بأربع قناطير من الذهب وأربع قناطير من الفضة فسبكت قطعا صغارا على قدر ما تسع النيلوفرة ، ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذي في البركة وأرسل إلى الرومي فحضر عنده قبل الفجر في مجلسه السامي بالزاهرة بحيث يشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الشمس جاء ألف من الصقالبة عليهم أقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وبيد خمسمائة طبق ذهب وبيد خمسمائة طبق فضة، فتعجب الرسول من حسن صورهم وجمال شارتهم ولم يدر ما المراد فحين أشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة فبادروا لأخذ الذهب والفضة من النيلوفر، وكانوا يجعلون الذهب في أطباق الفضة والفضة في أطباق الذهب حتى التقطوا جميع ما فيها وجاؤوا به فوضعوه بين يدي المنصور، حتى صار كوما بين يديه، فتعجب النصراني من ذلك، وأعظمه وطلب المهادنة من المسلمين، وذهب مسرعا إلى مرسله وقال له لا تعاد هؤلاء القوم فإني رأيت الأرض تخدمهم بكنوزها انتهى، وهذه القضية من الغرائب وإنها لحيلة عجيبة في إظهار عز الإسلام وأهله[2]".

وما يدل على استمرار الرخاء الاقتصادي في عهد عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر، أنه قام بإسقاط سدس الجباية لأول ولايته في جميع أقطار الأندلس عن الرعية فراقت أيامه وأحبه الناس سراً وعلانية، وانصب الإقبال والتأييد عليه انصباباً لم يسمع بمثله، وسكن الناس منه إلى عطافٍ ونزاهة نفس، فباحوا بالنعمة وأخذوا في المكاسب والزينة من المراكب والملابس والقيان حتى سمت أثمان هذه الأشياء في مدته وبلغت الأندلس في أيامه إلى نهاية الجمال والكمال وسعة[3].

---

(1) القحطاني، علي أحمد عبد الله، الدولة العامرية، ص252(رسالة ماجستير).

(2) المقري، نفح الطيب، ج3، ص85.

(3)الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج7، ص 78.

رابعاً: القوة العسكرية في الأندلس

اهتم عبد الرحمن الناصر، في تثبيت أركان دولته، والقضاء على الثورات الداخلية التي اندلعت في أرجاء الأندلس كافة، كما عمل على تأسيس جيش قوي، يعد الجيش هو عماد الاستقرار السياسي في الأندلس، وكانت مدينة المرية منذ عهد عبد الرحمن الناصر، قاعدة الأسطول البحري الإسلامي، حيث جمعت فيها دور صناعة السفن[1]، وكان عدد سفن الأسطول في عهده مائتي سفينة حربية[2]، وزاد عدد سفنه في عهد الحكم المستنصر، إلى ستمائه سفينة حربية[3].

وكانت معظم وحدات ذاك الأسطول ترابط في القاعدة الرئيسة بالمرية لمواجهه الخطر الفاطمي[4]، وهذا ما يؤكده ابن عذاري في قوله" وفي سنة 353هـ، تحرك الحكم من قرطبة إلى المرية توقعا لما يصدر من صاحب أفريقية المحاد لأهل الأندلس، ولمعاينة ما استكمله بها من الحصانة ومطالعة حال رابطة القبطة ومشارفة حال الرعايا بتلك الجهة[5]".

وقد ظلت الدولة الأموية قوية بقوة الجيش الأندلسي، الذي أخذت قوته تزداد منذ عهد عبد الرحمن الناصر، امتداد بعصر الحكم المستنصر، والمنصور بن أبي عامر، وابنه عبد الملك بن المنصور [6].

"وكان عرب الأندلس يتميزون بالقبائل والعمائر والبطون والأفخاذ، إلى أن قطع ذلك المنصور بن أبي عامر، الداهية الذي ملك سلطنة الأندلس وقصد بذلك تشتيتهم وقطع التحامهم وتعصبهم في الاعتزاء وقدم القواد على الأجناد فيكون في جند القائد الواحد فرق من كل قبيل فانحسمت مادة الفتن والاعتزاء بالأندلس[7]".

---

(1) طويل، مريم قاسم، مملكة المرية، ص13، 14.

(2)ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1، ص253 .

(3) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص43.

(4) طويل، مريم قاسم، مملكة المرية، ص13 .

(5)البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص244.

(6) القحطاني، علي أحمد عبدالله، الدولة العامرية، ص236 (رسالة ماجستير).

(7) المقري، نفح الطيب، ج1، ص293.

نستطيع القول إن المنصور بن أبي عامر، اهتم بتنظيم الجيش تنظيماً عسكرياً جديداً يحقق الوحدة والتجانس بين طوائفه، ويقضي على العصبية القبلية التي كانت سائدة بين تلك الطوائف[1].

خامساً: التحصينات العسكرية في الأندلس

اهتم حكام الأندلس بتحصين مدن الأندلس، فانعكس ذالك على دولتهم، فأقاموا الأسوار والحصون في سائر مدنها[2]ومنها:

1. مدينة المرية:

مدينة المرية على ساحل من سواحل الأندلسي[3]، أمر ببنائها أمير المؤمنين، الناصر لدين الله، عبد الرحمن بن محمد سنة (344هـ=955م)، وعليها سور حصين منيع بناه أمير المؤمنين عبد الرحمن، وعلى ربضها المعروف بالمصلى سور ترابٍ[4]، ويوجد في مدينة المرية، القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران، بناها عبد الرحمن الناصر، وعظمت في دولة المنصور بن أبي عامر وولى عليها مولاه خيران[5].

يمكن القول إن بناء المدن في الأندلس، يعدُّ بمنزلة حصن عسكري، للوقوف بوجه الأعداء؛ وحماية البلاد من الهجمات الخارجية، والمحافظة على أمن الدولة.

ومن المنشآت العمرانية في عهد المنصور بن عامر، بناء القصور، والمنازل في الطريق المؤدي إلى الجزيرة الخضراء جنوباً، والقريب من حدود العدوة المغربية، وقد عمل المنازل في الطريق إلى مدينة الجزيرة الخضراء، في جنوب الأندلس؛ نظراً لاتخاذه تلك المدينة قاعدة عسكرية؛ ليشرف منها على العمليات العسكرية في العدوة المغربية[6].

---

(1) القحطاني، علي أحمد عبدالله، الدولة العامرية، ص237 (رسالة ماجستير).

(2) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص412.

(3) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج1، ص50.

(4) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ج1، ص 183.

(5) المقري، نفح الطيب، ج1، ص162.

(6)القحطاني، علي أحمد عبد الله، الدولة العامرية، ص312(رسالة ماجستير).

يتبين لنا مما سبق أن الأسباب التي كانت وراء إنشاء المدن في عصر الإمارة والخلافة، كانت أسباباً عسكرية إذ أنشئت لتكون قواعد عسكرية؛ لدفع خطر الممالك النصرانية الشمالية.

فمن الآثار المترتبة على ذالك لم تقم على المنصور بن عامر، أي ثورة أو تمرد على طول البلاد واتساعها واختلاف أمزجتها، اللهم إلا النزاع بينه وبين غالب الأنصاري، وكان المنصور رجلاً قوياً[1].

سادساً: محبة الرعية للحاكم

اتصف كثير من حكام الأندلس بالعدل انعكس ذلك على دولتهم، وبناء دولة قوية متماسكة مستقرة، ومن الآثار المترتبة على ذالك، محبة الرعية ناتج عن عدل الحكام مع الرعية،

فمن مظاهر محبة الرعية للناصر، أن أرسل محمد بن السليم إلى الناصر مئة ألف درهم قبلها الناصر وشكره، وعوضه بكبير الولايات[2].

ومن صور محبة الرعية للحكم القاضي بن السليم، كتب إلى الحكم المستنصر بالله قائلاً:

لو أن أعضاء جسمي ألسن نطقت   بشكر نعماك عندي قل شكري لك

أو كان ملكني الرحمن من أجلي   شيئا وصلت به يا سيدي أجلك

ومن تكن في الورى آماله كثرت   فإنما أملي في أن أرى أملك[3]

تمكن المنصور بن عامر من كسب قلوب الرعية من خلال تصرفاته، وقد روي أن المنصور بن عامر اقترح على هشام ولي العهد بإسقاط ضريبة الزيتون المأخوذة في الزيت بقرطبة، فكان ذلك سببا لمحبة العامة للمنصور[4].

ومن صور المحبة للرعية سماحته وعفوه عند المقدرة، فقد روي أن عبد الملك الجزيري عتب على المنصور بن عامر الذي سجنه في الزهراء وعفا عنه، قال عبد الملك:

عجبت من عفو ابن عامر   لا بد أن تتبعه منه

---

(1) السرجاني، قصة الأندلس من الفتح للسقوط، ص 273.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص351.

(3) المقري، نفح الطيب، ج3، ص 466.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص 373.

كـــــــذلك الله إذا مــــــا عفـــــا عـــــن عبــــده أدخلـــه الجنــــة[1]

فمن المؤشرات الدالة على محبة الرعية للمظفر بن عامر، قال له رجل:" يا مظفر، إن لك كفا ناعما رخصة، فاتق الله عليها من لفح الجحيم! فأقبل عبد الملك على البكاء والنحيب؛ ثم دعا له و يده في يده؛ فقال: " بسطها الله في الجهاد وأطالها بالصدقة، ما يبلغني عنك بنعمة الله عليك إلا ما يسر، وقد وجب علي نصحك، فاتق الله ربك فيمن توليت أمرهم، وتذكر من بعد عنك وعجز عن قصدك، فاكشف عن مظالمهم جهدك وتوق سوء دعائهم ما استطعت، واحترس من بطانتك أسد من عدوك، فإنهم أقرب إلى ضرك، يزينون لك شهواتك لينالوا رضاك، ولا يغنون عنك من الله شيئاً، والله الله في الجهاد فيه أعز الله أباك – رحمة الله عليه وعليك – بإصلاح السبيل؛ فهي أهم ما ترك إليك، وتقوى الله أول وآخر ما أوصيك به؛ فأشعرها قلبك؛ فإنك تأتي إليه وحدك، ولا يغني عنك أحد شيئا"[2].

سابعاً: العلاقات الدبلوماسية عند حكام الأندلس:

لم تكن العلاقات بين العرب المسلمين في الأندلس و الممالك النصرانية في الأندلس، علاقات حربية عدائية إنما تخللتها أوقات من السلم، وتبادل السفارات السياسية والعلمية بين الطرفين.

وصلت السفارة الأندلسية إلى القسطنطينية صحبه السفير البيزنطي عن طريق البحر، واستقبلها الإمبراطور البيزنطي "تيوفيل" بالحفأوة والترحاب، وتسلم منها هدية العاهل الأندلسي ورسالته التي يرد فيها على خطابه[3].

حيث وصل إلى قرطبة رسل ملك الروم الأكبر قسطنطين بن ليون صاحب القسطنطينية العظمى، يكتب من ملكهم إلى الناصر[4]؛ وتُعدّ تلك العلاقات الدبلوماسية التي قامت لأول مرة بين قرطبة والقسطنطينية، بداية لسلسلة من الاتصالات والسفارات التي تبادلت بعد ذلك بين الخليفة "عبد

(1) المقري، نفح الطيب، ج4، ص66.
(2) الخطيب، أعمال الأعلام، ص 85-86.
(3) العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي والأندلسي، ص351.
(4) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، ص235.

الرحمن الناصر"، والإمبراطور "قسطنطين السابع"[1]، وبين الخليفة الحكم المستنصر وامبراطور ألمانيا أوتو الثاني، بوريل أمير برشلونة[2].

ومن الغريب أن المصادر العربية لا تذكر شيئياً عن أخبار تلك السفارات التي تبادلت بيم أوتو الأكبر، وعبد الرحمن الناصر، وابن خلدون والمقري أوردا عبارة مختصرة يذكران فيها أن ملك الأفرنجة وراء جبال ألبرت أرسل رسولا وهدية إلى الناصر[3].

لم يشهد عهد الحاجب المنصور الزخم نفسه الذي ساد الحياة الدبلوماسية في عهد الخليفتين عبد الرحمن الناصر لدين الله والحكم المستنصر بالله[4]، فلم تزد الزيارات الدبلوماسية إلى بلاطه عن زيارة من قبل برمودو الثاني ملك ليون عام (375 هـ=985م)، طلبًا لمعاونة المنصور لبرمودو في مقاومته لتمردات نبلاء مملكته الخارجين عليه، وقد أجابه المنصور لذلك. ونتج عن تلك الزيارة مصاهرة بزواج المنصور من تريسا ابنة برمودو، لتوثيق أواصر الصداقة بين الرجلين. وبعد هزائمه المتوالية أمام المنصور، اضطر سانشو الثاني ملك نافارا لطلب الصلح وزار بنفسه قرطبة في عدد من كبار رجال دولته في 3 رجب عام (382هـ=992م)[5].

ثامناً: حسن اختيار الموظفين في الدولة

اتصف كثير من حكام الأندلس بحسن اختيار الموظفين في الدولة، مما انعكس ذلك على دولتهم، وبناء دولة قوية متماسكة مستقرة، ومن الآثار المترتبة على ذلك: حسن اختيار القضاة ففي عهد الناصر القاضي أسلم بن عبد العزيز، بلغه عن بعض الشهود أنه أرشى في شهادته ببساط، فلما أتى ليؤديها دخل على أسلم يخلع نعليه عند المشي على بساط القاضي، فناداه أبا فلان البساط الله الله، فتنبه بأمر عند القاضي، ولم يجسر على شهادته تلك[6]، قال أسلم لشاهد أمحتسب أو مكتسب، أصلحك الله؟ فقال الشاهد: أحسن الظن أيها القاضي؛ فليس هذا إليك هذا إلى الله المطلع على ما في القلوب، ولم تقعد هذا المقعد لتسأل عن هذا، وشبهه إنما عليك

---

(1) الشطاط، علي حسن، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص176.

(2) عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، ص491 .

(3) العبادي، أحمد مختار، التاريخ العباسي والأندلسي، ص414.

(4) القحطاني، علي أحمد عبدالله، الدولة العامرية، ص181(رسالة ماجستير).

(5) عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، ص491.

(6) الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 421.

الظاهر وتكل الباطن إلى الله فإن شئت فاسمع الشهادة كما يلزمني أداؤها، ثم اقبلها أو اضرب بها الحائط[1].

ومن المواقف الدالة على نزاهة أسلم، موقفه من ابن وقزان عبد الله بن محمد الأنصاري، وقد كان ابن وقزان يدلس في العقود؛ فأوصى أسلم بن عبد العزيز أن يلتزم البيت ويتركالوثائق والشهادات[2].

تاسعاً: توقير العلماء

اتصف كثير من حكام الأندلس بتوقير العلماء انعكس ذلك على دولتهم، وبناء دولة قوية متماسكة مستقرة، ومن الدلائل الدالة على توقير الناصر للعلماء اختيار العلماء لتأديب أولاده، فعلى سبيل المثال أصبغ ابن ناصح المدني يكنى أبا القاسم كان من أهل الحذق بالعربية والعلم بمعاني الشعر، ومن صفاته الوقار استأدبه الناصر لابنه المغيرة وأحسن تأديبه[3].

وكذلك من مظاهر محبة العلماء، كان الناصر لدين الله يحترم، ويبجل أحمد بن بقي بن مخلد أبا عمر القرطبي كبير علماء الأندلس، وقاضي قرطبة [4].

وتقرب الحكم المستنصر من العلماء، طلب الحكم من زاهد الأندلس أبي بكر يحيي بن مجاهد الفزاري، أن يأتي إليه فامتنع عندما مر الحكم بموكبه على يحيى، وسلم عليه فرد عليه ودعا له وأقبل على تلأوته[5].

وكذلك تقرب من محمد بن يحيى النحوي الذي خدم المستنصر وتوسع له في العطاء[6].

ومن صور تقرب الحكم من العلماء كتب لأبي إبراهيم كتاباً يشكره فيه قائلاً: " وجزاك الله عن الدين والحياطة للإسلام خيراً. فلقد وقع رأيك مني أفضل موقع، وقد أحسنت في توقفك والأخذ

---

(1)الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة،ج1، ص 421.
(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص135-136.
(3) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ص245.
(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص15، ص84.
(5)الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص231.
(6) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص362.

بالقدر، الذي عاقك بما أحب، إلى ما أحاطك الله به، وأصلح من حالك، ولقد قلت لمن حضر في يوم السبت إثر خروجك: لن يزال هذا البلد بخير ما كان فيه مثل هذا الشيخ، أكثر الله فيه مثله، اعترافا لله بالنعمة فيك، وهذه بصيرتي فيك[1].

---

(1)عياض ترتيب المدارك،ج2، ص 98-99.

الخاتمة:

تم الانتهاء بحمد الله تعالى من هذا البحث، وقد توصلت الباحثة إلى نتائج عديدة جاءت في أعقاب المباحث، والفصول ويمكن عرض أهم هذه النتائج:

- التزام حكام الأندلس بأوامر الله –سبحانه وتعالى– الداعية للأخلاق الاسلامية والتي لها آثار كبيرة على شخصية الحاكم .
- التزام حكام الأندلس بالاقتداء بسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين والتي لها أثر كبير في اعطاء الحاكم دوراً أخلاقياً متميزاً.
- تميز حكام الأندلس بحسن الخلق والثقافة وغيرها من الصفات الحميدة كالشجاعة واغاثة الملهوف، والتقوى، والكرم، والعدل.
- ومن الأخلاق الإسلامية عند حكام الأندلس حب الجهاد في سبيل الله وكانت جهود الفاتحين في عهد الولاة كثيرة منها نشر الدين الاسلامي، وتعليم اللغة العربية ، وقد وصلت الأخلاق الإسلامية إلى اعلى مراتبها حيث التضحية والاستشهاد وحماية الدين والاوطان والاعراض.
- اهتمام حكام الأندلس بمبدأ الشورى، والتقرب من العلماء والفقهاء والقضاة ومشورتهم في أمور الدولة، خوفاً من الوقوع في الظلم.
- كان للعلماء دور في تصحيح اعوجاج الحكام، وترتب على ذلك استقامة في سلوكهم
- انحرف بعض حكام الأندلس عن الأخلاق الإسلامية، لكن كثيراً منهم كان يعاود الرجوع إلى الالتزام بتلك الأخلاق.
- الأخلاق الإسلامية عند حكام الأندلس أدت إلى محبة الرعية لهم ، بل المشاركة في الدفاع عنهم وعدم القيام بالثورات ضدهم.
- ترتب على التزام حكام الأندلس الاستقرار في الدولة، وقيام نهضة علمية كبيرة.
- التزام حكام الأندلس بالحزم مع أصحاب الانحرافات العقائدية.
- ومن أبرز الاسهامات الحضارية التي قام بها حكام الأندلس اقامة المنشآت المدنية والدينية والعلمية، فبنوا المدن العسكرية والحصون والاسوار، وانشاءوا الكثير من المساجد في الأندلس، واهتموا بحفظ الأمن في المناطق المختلفة.
- أدى الالتزام بالأخلاق الإسلامية إلى صلاح مؤسسات الدولة وعلى رأسها مؤسسة القضاء، التي حرصت على تطبيق العدالة حتى على حكام وأمراء الأندلس.

- أدت العصبية القبلية إلى تذبذب الأخلاق الإسلامية في المجتمع الاندلسي، ففي الوقت الذي يتهاون فيه الحكام ويقاتل بعضهم بعضاً، ويستنجدون بالنصارى على اخوانهم المسلمين، في هذا الوقت كان المستوى الاخلاقي يشهد انحدار لا مثيل له، في الوقت التي تسمو فيه مشاعر العزة وترفع راية الجهاد في سبيل الله.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر العربية:

ابن الآبار، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله القضاعي، (ت 658هـ= 1269م).

1- التكملة لكتاب الصلة، مطبعة الشرقية للأخوين بونطانا في زقاق الجزائر، 1337هـ، 1919م.

2- الحلة السيراء، جزءان، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، 1985م.

ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت 630ه= 1233).

3- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج2، تحقيق، عادل أحمد الرفاعي، دار النشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417 هـ، 1996 م

4- الكامل في التاريخ (الأجزاء10)، ط4 ، 1403 هـ ، 1983م.

5- اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت ، ط 1400هـ ، 1980م .

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت: 560ه= 1165م).

6- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، اسم المؤلف:، دار النشر، عالم الكتب بيروت، ط1، 1409هـ، 1989م.

الأزدي، معمر بن راشد، (ت151ه=768م)،

7- الجامع، ج10 ، تحقيق/ حبيب الأعظمي (منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني ج10) ، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403 هـ.

ابن إسحاق، محمد بن بن يسار، (ت151ه=768م).

8- سيرة ابن إسحاق(المبتدأ والمبعث والمغازي)، ج2، تحقيق/ محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

الإسفرائيني، الإمام أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، (ت316ه)

9- مسند أبي عوانة، (ج1) دار المعرفة، بيروت.

الأصبحي، مالك بن أنس أبو عبدالله، (ت 179ه)

10- موطّأ الإمام مالك، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، د.ت، د.ط .

الأصبهاني، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه السِّلَفي الأصبهاني، ت 576ه.

11- أخبار وتراجم أندلسية، د.ط

الأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي، (ت 535هـ)

12- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، تحقيق/ محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط2، (ج2)، دار الراية ، السعودية / الرياض، 1419ه - 1999م.

الأصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، (369هـ)

13- أخلاق النبي وآدابه، (ج1)، تحقيق/صالح بن محمد الونيان ، ط1، دار المسلم للنشر والتوزيع ، 1998.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، (ت 430ه=1039م)

14- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 4 ، 1405ه .

الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، المعروف بالكرخي (ت، 346هـ).

15- المسالك والممالك ، دار صادر، بيروت ، مطبعة ليدن المروسة بمطبعة بريل، 1937م.

الأصفهاني، أبو الفرج ، (ت356ه=967).

16- الأغاني، تحقيق علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر لبنان، د.ط، د.ت

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين، أبو العباس، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، (ت668هـ=1269م).

17- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق، نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، د.ط، د.ت.

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت 370ه=980م).

18- المؤتلف و المختلف في أسماء الشعراء، بدون دار النشر، د، ط

الألوسي ، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، (1270هـ =1854م)

19- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 15 ، دار إحياء التراث ، بيروت.

الأنصاري، أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة، (ت1381ه=1961م)

20- المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، تحقيق/ محمد عظيم الدين عالم الكتب، بيروت ، 1405ه.

البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بردذبة الجعفي، (ت 256ه=870م)

21- صحيح البخاري (الأجزاء 3)، ضبطه/ محمد عبد القادر أحمد عطا، دار التقوى للتراث، ط1 ، 1421ه ، 2001م.

22- التاريخ الصغير (الأوسط)، تحقيق/ محمود إبراهيم زايد، ج 1، ط1 ، دار الوعي ، مكتبة دار التراث، حلب ، القاهرة ، 1397 - 1977 .

23- التاريخ الكبير، تحقيق/ السيد هاشم الندوي، ج1 ، دار الفكر،

ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك الخزرجي الأنصاري، (ت 578 هـ=1182م.)

24- الصلة، تحقيق /إبراهيم الأبيادي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت د.ط، د.ت

البصري، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت: 262هـ =876م)

25- تاريخ المدينة المنورة، ج2، تحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ-1996م

ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي (ت449ه=1057م)

26- شرح صحيح البخاري، ج9، تحقيق، أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 1423ه، - 2003م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (ت 516 هـ =1122م)

27- شرح السنة، 6 مجلدات، تحقيق، علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط 1412ه ، 1992م.

تفسير البغوي

البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، (ت 855هـ=1451م)

28- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 2، تحقيق/ عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1415هـ- 1995م .

البلاذري، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت 279 ه=892م)

29- أنساب الأشراف، (مجلدات 13)، تحقيق/ د. سهيل زكار، رياض زركلي، مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، 1417هـ -1996م.

30- فتوح البلدان ، 1987م . تحقيق/ عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع ، منشورات مؤسسة المعارف ، بيروت، لبنان، ط 1407ه ،

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، (ت458= 1066م)

31- الآداب للبيهقي، ج 1

32- سنن البيهقي الكبرى، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، ج3، مكة المكرمة، 1414ه – 1994.

33- شعب الإيمان، تحقيق/ أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، دار كتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ، 1990م.

التبريزي ، محمد بن عبد الله الخطيب

34- مشكاة المصابيح، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، ج3، ط3 ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1985 .

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، (ت297ه =910م)

35- الجامع الصحيح، سنن الترمذي، (الأجزاء 5)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط 1408هـ ، 1987م.

الترمذي، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم، (ت360ه=971م)

36- نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق /عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 1992م

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، (ت: 874 هـ=1469م)

37- النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، دار الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة لتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

ابن تيمية، أحمد تقي الدين، (ت728ه =1328م)

38- السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، ج1، دار النشر، دار المعرفة

39- الصارم المسلول على شاتم الرسول، ج 2، تحقيق /محمد عبد الله عمر الحلواني – محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت ، 1417، ط1.

40- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج16، تحقيق، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي مجموع الفتاوى، دار النشر، مكتبة ابن تيمية، ط2،

41- منهاج السنة النبوية، تحقيق / د. محمد رشاد سالم، ط1، مؤسسة قرطبة ، 1406.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني، (ت 816ه=1413م)

42- التعريفات، ج1، تحقيق، إبراهيم الأبياري، دار النشر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405ه

الجرجاني، المرشد بالله يحيى بن الحسين بن إسماعيل الحسني الشجري الجرجاني (ت 499 هـ=1106م)

43- كتاب الأمالي وهي المعروفة بالأمالي الخميسية، تحقيق: محمد حسن اسماعيل، ج1، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1422 هـ - 2001م

الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت606ه=1209م)

44- النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2، تحقيق، طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، دار النشر، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن أبو الفرج، (ت597ه =1201م)

45- التبصرة ، تحقيق، مصطفى عبد الواحد ، دار إحياء الكتب العربية ، ط1 ، 1390هـ - 1970م .

46- تلبيس إبليس، دار إحياء الكتب العربية .

47- صفة الصفوة، ج1، تحقيق/ محمود فاخوري ، د.محمد رواس، ط2، دار المعرفة ، بيروت ، 1399ه - 1979م

48- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 4 ، ط1، دار صادر ، بيروت ، 1358ه .

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت 852ه=1448م،)

49- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج8، ، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار النشر، دار المعرفة - بيروت

ابن حزم، أبو محمد علي، أبو الوليد محمد بن سعيد بن حزم الأندلس، ت 452هـ=1060م)

50- رسائل ابن حزم ، تحقيق/ د. إحسان عباس ، مؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط 2 - 1987 م.

51- جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1403هـ ، 1983م.

52- جوامع السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1404هـ -1984م .

53- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ج 2،

54- طوق الحمامة في الألفة والألاف ، تحقيق المحامي/ فاروق سعد ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط 1986.

55- كتاب نقط العروس في تواريخ الخلفاء، ج2،

56- المحلى ، ج4، ج11، تحقيق، لجن ة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت.

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، (ت608ه=1211م)

57- التذكرة الحمدونية، تحقيق /إحسان عباس، بكر عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1996م.

ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، (ت241ه=855م)

58- فضائل الصحابة لابن حنبل، ج1، ط1، تحقيق/ د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1403هـ ، 1983م.

59- فضائل عثمان بن عفان، ج 1

60- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج6 (عدد الأجزاء 6)، مؤسسة قرطبة ، مصر.

الحميدي، أبو محمد نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، (ت 488هـ=1095م)

61- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق/ روحية عبد الرحمن السيوفي، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب علمية بيروت ، لبنان ، ط 1417هـ -1997م.

62- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، ج1، تحقيق/ د. علي حسين البواب، ط2، دار ابن حزم، لبنان، بيروت، 1423هـ - 2002م

الحميري، محمد عبد المنعم.

63- الروض المعطار في خبر الأقطار(معجم جغرافي)، تحقيق/ إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح ، ط2 ، 1984م.

64- صفة الجزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إ . لافي بروفنصال، دار النشر، دار الجيل، بيروت، لبنان - 1408 هـ، 1988 م، ط2.

الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، (ت 795ه=1393م)

65- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ج1 ، ط 1، مكتبة دار البيان ، دمشق، 1399ه

الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت 1089هـ=1678م).

66- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار النشر، دار بن كثير، دمشق، ط1، 1406هـ

الحنبلي، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، (ت 1188هـ=1774م)

67- غذاء الألباب شرح منظومة الأداب، ج1، تحقيق/ محمد عبد العزيز الخالدي ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1423هـ، 2002م

ابن حيان، وكيع محمد بن خلف ، (ت 306ه=918م)

68- أخبار القضاة، راجعه، سعيد محمد اللحام، د.ط، د.ت.

ابن حيان، أبو مروان بن حيان القرطبي، (469ه= 1076م)

69- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق، محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1393هـ، 1973م.

70- المقتبس في أخبار بلد الأندلس الحديث عن 5 سنوات من حكم المستقصر الحكم من(360-364 هـ)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 1983.

71- المقتبس في تاريخ الأندلس، عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام (275-300هـ)، تحقيق، د. إسماعيل العربي، منشورات دار آفاق الجديدة، المغرب .

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي ، (ت 529هـ =1135 م)

72- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ط1 ، 1403هـ -1989م .

الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني، الأندلس، (ت361=972م).

73- قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، نشره وصححه وراجعه/ السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط2، 1415هـ -1994م.

ابن خردادبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن عبد الله

74- المسالك والممالك، تحقيق، محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، ط 1408هـ -1988م

ابن الخراط، الإشبيلي، أبو محمد، (ت581هـ = 1186م).

75- الأندلس في اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق إيميلو مولينا خاثنينو بوسك بيك ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، 19990م .

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني، (ت776هـ =1374م).

76- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: د. يوسف علي طويل، دار النشر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 2003هـ - 1424هـ .

77- كتاب أعمال الأعلام من بويع من قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق، ليفي بردوفنسال، دار المكشوف

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ، (ت808 ه= 1406م).

78- مقدمة ابن خلدون(الأجزاء3)، تحقيق، علي عبد الواحد وافي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط3

79- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (مجلدات7)، مؤسسة جمال للنشر والطباعة، بيروت، لبنان.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت: 681هـ=1282م)

80- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، ج5، دار النشر، دار الثقافة لبنان.

ابن خياط، خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر (ت 240هـ=854م)

81- تاريخ خليفة بن خياط ج1، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، ط2، دار النشر: دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت - 1397

الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد (ت: 255هـ=869م)

82- سنن الدارمي، ج2، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، ط1، دار النشر، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ

أبو داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، (ت: 275ه =888م)

83- سنن أبي داود، ج 4، تحقيق/محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر

الدينوري، أبو حذيفة، أحمد بن داود، (ت: 282ه=895م)

84- الأخبار الطوال، تحقيق عصام محمد الحاج علي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1، 1421هـ ، 2001م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد عثمان ، (ت: 748 هـ =1374 م).

85- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمر، دار الكتاب العربي، ط2، 1411هـ -1991 م .

86- سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، ط7 - 1990م .

87- العبر في خبر من ذهب، تحقيق، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1405هـ -1985.

88- الخلفاء الراشدون ، تحقيق، حسام الدين القدسي ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1412هـ -1992م .

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، (ت: 1205ه = 1791م)

89- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، ج34، دار النشر، دار الهداية

الزجالي، أبو يحيى عبد الدين ، أحمد ، (ت 694هـ = 1294م).

90- أمثال العوام في الأندلس، حققه وشرحه، محمد بن شريفه، د.ط، د.ت

الزرعي أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر أيوب (ت751هـ=1350م)

91- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ج1، تحقيق، زكريا علي يوسف، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن السري، هناد بن السري الكوفي، (ت 243ه=857م)

92- الزهد، ج1، تحقيق/عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط1، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت، 1406هـ .

ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك الغرناطي الأندلسي(ت 685هـ=1286م).

93- المغرب في حلى المغرب ، جزءان، تحقيق، خليل منصور، منشورات محمد بن علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1417 هـ - 1997 .

ابن سعيد، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي، (ت 685هـ=1286م).

94- الجغرافيا، ج 1، ، د.ط، د.ت.

ابن السماك العاملي، أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد الغرناطي(توفي القرن السابع الهجري= الثالث عشر ميلادى).

95- الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة ، تقديم وتحقيق، محمود علي مكي، د.ط، د.ت.

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، (ت489هـ =1096م)

96- تفسير القرآن (تفسير السمعاني)، ج 3، تحقيق/ ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم ، ط1، دار الوطن، الرياض، السعودية ، 1418هـ- 1997م .

السويدي، محمد أمين البغدادي(ت 1244ه وقيل 1246ه = 1828م ، 1830م).

97- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ، ط1 ، 1423هـ-2002م .

السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت 911ه=1505م).

98- تاريخ الخلفاء، دار الجيل، بيروت ، ط2 ، 1415هـ - 1994م .

99- جامع الأحاديث ، الجامع الصغير و زوائده والجامع الكبير، نسخة من الجامع الكبير، د.ط، د.ت.

100- الخصائص الكبرى، ج1، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ، 1985م.

101- الشمائل الشريفة، تحقيق /حسن بن عبيد باحبيشي، دار طائر العلم للنشر والتوزيع.

الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام ، (ت 542ه = 1147م)

102- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، (مجلدات 8)، تحقيق، إحسان عباس، دار الكتاب ليبيا، تونس ، ط134هـ، 1975م .

الشيباني، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم أبو بكر، (ت287ه =900م)

103- الزهد لابن حنبل، تحقيق/عبد العلي عبد الحميد حامد، ج1، ط2، دار الريان للتراث ، القاهرة ، 1408ه

104- الآحاد والمثاني، تحقيق، د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، ح3، ط1 دار النشر، دار الراية، الرياض 1411هـ، 1991 م

الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي الشيزري الطبري (ت 590هـ=1194م)

105- نهاية الرتبة، ج1، ، د.ط.د.ت.

الصالحي، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، (ت942هـ=1535م)

106- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج 4 ، تحقيق / عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1414ه .

الصفدي، صلاح الدين بن خليل بن أيبك(ت 764ه= 1362م).

107- الوافي بالوفيات ، تحقيق، أحمد الأرناؤوط تركي مصطفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، ط1 ، 1420هـ - 2000م .

صفوت، أحمد زكي

108- ذيل جمهرة خطب العرب، ج3، دار النشر، المكتبة العلمية، بيروت.

الصنعاني ، محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير (ت 852 =1448م)

109- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ج4، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي، ط4، دار النشر، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1379 هـ

الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، (ت211 ه= 826م)

110- المصنف، ط2، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي ، بيروت، 1403هـ .

الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة، (ت 599هـ=1203م).

111- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق، إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، 1989م

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت(360ه=971م)

112- المعجم الأوسط، ج7، تحقيق، طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار النشر، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ

الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، (ت 310ه= 922م)

113- تاريخ الأمم والملوك، منشورات مؤسسة الأعلمي ، للمطبوعات ، بيروت ، لبنان دار الكتب العلمية، بيروت.

114- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، ج 1، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة .

العاصمي المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي (ت 1111ه=1699 م)

115- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج2، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، 1998م

عبد الباقي، محمد فؤاد

116- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ج 3، تحقيق، عبد الستار أبو غدة، دار النشر، المطبعة العصرية، الكويت، 1397هـ، 1987م.

ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشي المصري، (ت 257هـ=871م)

117- فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، ط1، دار النشر، دار الفكر، بيروت، 1416هـ/ 1996م .

ابن عبد ربه، الأندلسي، (ت: 328ه=949م):

118- العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي ، ط3، 1420هـ-1999م.

ابن عبدون، محمد بن أحمد بن عبدون التجيي

119- ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحتسب ، تحقيق/ ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة 1955م.

ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي، (ت بعد 712ه = 1312م).

120- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب

العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت 478ه = 1085م).

121- ترسيع الأخبار ، وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، د.ط، د.ت.

ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت 571ه=1175م)

122- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار النشر، دار الفكر، بيروت، 1995م.

عبد الواحد، محيي الدين ابن علي التميمي المراكشي، (ت 647هـ= 1249م).

123- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، طبع في مدينة لندن، مطبعة 1881 م

العكبري، أبو البقاء (ت 616 ه =1219م)

124- ديوان المتنبي، تحقيق، مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي، ج 2، دار النشر، دار المعرفة، بيروت .

عياض، أبو الفضل موسى اليحصبي، (ت 544هـ= 1149م).

125- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك ، صححه، محمد سالم هشام ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط 1 ، 1418هـ -1998م

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت 855هـ =1451م)

126- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج14، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

الغزالي، محمد بن أبي حامد(ت 505ه = 1111م).

127- إحياء علوم الدين، جزءان، دار الخير ، ط1 ، 1411ه ، 1990 م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت 175هـ=791م)

128- كتاب العين، 8 مجلدات، ج6، تحقيق، د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار النشر، دار ومكتبة الهلال

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت، 732هـ=1332م)

129- المختصر في أخبار البشر، ج1، ، د.ط.د.ت.

ابن فرحون، المالكي إبراهيم بن نور الدين، (ت:799هـ= 1396م)

130- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق، مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1417هـ -1996م .

ابن الفرضي، الحافظ أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي(ت: 403هـ =1012م.)

131- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق، عزت العطار الحسيني، ط2، دار النشر، مطبعة المدني، القاهرة - 1408هـ، 1988م

الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت 277ه=890م)-

132- المعرفة والتاريخ، تحقيق، خليل المنصور، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، 1999م.

أبو الفضل شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الوفاة: (852هـ=1448م)

133- العجاب في بيان الأسباب، ج1، ط1، دار النشر، دار ابن الجوزي، السعودية، 1418هـ- 1997م

أبو الفضل، عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن سعد بن إبراهيم (ت: 381هـ=991م)

134- حديث أبي الفضل الزهري، ج1،

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت: 817ه=1414م)

135- القاموس المحيط، ج1، دار النشر، مؤسسة الرسالة، بيروت

القاري، علي بن سلطان محمد القاري (ت: 1014هـ=1605م)

136- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج10، تحقيق، جمال عيتاني، دار النشر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1422ه، 2001م.

أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم (ت 418 ه=1027م)

137- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تحقيق، د. أحمد سعد حمدان، دار النشر، دار طيبة، الرياض، 1402ه.

ابن قتيبه، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت 276ه=889م)

138- الإمامة والسياسة، ، تحقيق، خليل المنصور، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ - 1997م.

139- المعارف، ج1، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، دار النشر، دار المعارف، القاهرة

140- عيون الأخبار، د.ط ت..د.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671=1272م).

141- الجامع لأحكام القرآن، (تفسير القرطبي)، ج6، دار النشر، دار الشعب، القاهرة

القزويني، أبو عبد الله، محمد ب يزيد القزويني، (ت275 ه=888م).

142- سنن ابن ماجه، تحقيق /محمد فؤاد عبد الباقي ومصطفى حسين، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1419هـ -1998م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن احمد بن عبد الله(821ه = 1418م)

143- مآثر الأناقة في معالم الخلافة، دار الكتب، بيروت ، ط1 ، 1964م

ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر، (ت 367هـ-977م)

144- تاريخ افتتاح الأندلس ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري ، الكتاب ، ط2 ، 1410هـ -1989م .

الكتاني، أبو عبد الله محمد بن الحسن، (ت410هـ= 1019م).

145- التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، د.ط.د.ت.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (ت 774 ه= 1332م)

146- البداية والنهاية، دار النشر، مكتبة المعارف، بيروت

147- تفسير القرآن العظيم، (تفسير ابن كثير) ج4، دار النشر، دار الفكر، بيروت، 1401هـ.

148- السيرة النبوية، لابن كثير، ج2، د.ط ت..د.

149- فصول من السيرة، ج1، د.ط ت..د.

الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي (ت 1094ه=1683م).

150- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ج1، تحقيق، عدنان درويش، محمد المصري، دار النشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ، 1998م.

الكلبي، هشام بن محمد بن السائب الكلبي، (ت:204هـ=819م)

151- نسب معد واليمن الكبير، ج 1، د.ط.د.ت.

الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري(ت 355هـ=966م)

152- ولاة مصر، ج 1 ، د.ط ت..د.

ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، ت 475

153- الإكمال، ج7، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ

مجهول، المؤلف

154- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائهم رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم ، طبع في مجربط بمطبع ودبرنير، سنة 1868 م

مجهول، المؤلف

155- ذكر بلاد الأندلس، تحقيق، لويس مولينيا ، المجلس الأعلى للأبحاث المعهد ميغيل أسين مدريد ، ط 1983م .

المدائني، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني (ت 655 هـ=1257م)

156- شرح نهج البلاغة، ج2، تحقيق، محمد عبد الكريم النمري دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ، 1998م

المزي، أبو الحجاج ، جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن (ت: 742ه=1341م)-

157- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق عمرو سيد شوكت ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ ، منشورات، محمد علي بيضون ، ط 1425هـ - 2004 م .

ابن مسكويه أبو علي أحمد بن محمد (ت: 421هـ=1030م)

158- تهذيب الأخلاق، ج1، د.ط ت..د.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت 261ه=875م)

159- صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، منشورات، محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط 2008 م .

المقدسي، الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي (ت507هـ=1113م)

160- أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام الدارقطني، ج2، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار / السيد يوسف، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ، 1998م.

161- ذخيرة الحفاظ ذخيرة الحفاظ، ج4، تحقيق، د.عبد الرحمن الفريوائي، دار النشر، دار السلف، الرياض، ط1، 1416 هـ، 1996م

المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، (ت1041ه، 1631م)

162- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، عدد الأجزاء 8، تحقيق، د. إحسان عباس، دار بيروت، صنعاء ، ط1408هـ - 1988م .

المناوي، عبد الرؤوف المناوي (ت 1031ه = 1621م).

163- فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج5، ط1، دار النشر، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ

ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت 711ه= 1311م).

164- لسان العرب، ج10، تحقيق، عبد الله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشادلي، دار النشر، دار صادر، بيروت، ط1

165- مختصر تاريخ دمشق، د.ط ت..د.

ابن مودود الحراني، أبو عروبة الحسين بن أبي معشر محمد بن مودود الحراني (ت 318هـ =930م)

166- كتاب الأوائل، ج1، تحقيق، مشعل بن باني الجبرين المطيري، دار النشر، دار ابن حزم، لبنان، بيروت، ط1، 1424هـ، 2003م.

ابن ميمون الكناني، أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني (ت 24 0هـ=854م)

167- الحيدة والاعتذار، ج1، د.ط، د.ت.

الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، (ت: 1315 هـ =1897م)،

168- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري دار النشر: دار الكتاب - الدار البيضاء - 1418هـ، 1997م .

النباهي، أبو الحسن بن عبد ربه بن الحسن(776ه = 1374م)

169- تاريخ قضاة الأندلس "المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، منشورات دار آفاق الجديدة، بيروت ، ط 1400هـ -1980م .

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (ت 303ه= 915م).

170- السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411ه - 1991م .

171- سنن النسائي (المجتبى)، ج5، تحقيق، عبدالفتاح أبو غدة، دار النشر، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406ه، 1986م

172- فضائل الصحابة، ، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405 ه

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت676هـ= 1277م).

173- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج1، دار النشر، دار الفكر، بيروت، ط3، 1421هـ، 2000م

النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب، (ت 733ه= 1332م).

174- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق، مفيد قمحية وآخرون ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط 1424ه - 2004م

الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت 975هـ=1567م)

175- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق، محمود عمر الدمياطي، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، 1998م

الهيثمي، علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت 807هـ= 1404م).

176- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج8، دار النشر: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، 1407هـ.

الواقدي، أبو عبد الله بن عمر، (ت:207 ه=822م)

177- فتوح الشام، دار الجيل، بيروت .

ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، (ت749هـ=1348م)،

178- تاريخ ابن الوردي، ج1، دار النشر: دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1417هـ - 1996م،

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، (ت 626ه=1228م)

179- معجم البلدان، تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1410ه - 1990م .

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، الكاتب العباسي، (ت292ه= 904م).

180- تاريخ اليعقوبي، جزءان، دار النشر، دار صادر، بيروت.

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:

أرسلان ، شكيب

1- الحلل السندسية في الأخبار والآثار، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417ه -1997م .

بروفنسال، ليفي

2- الحضارة العربية في أسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف ط 1399ه - 1979م .

البيلي، محمد بركات

3- طليطلة في العصر الإسلامي، (92هـ -477هـ ، 712م – 1085م)، دار النهضة العربية ، ط 1993م .

الحجي، عبد الرحمن علي

4- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، 92-97 هـ ، 711-1492م ، دار الاعتصام ، ط 1 ، 1403 هـ – 1983م .

حسن، حسن علي

5- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ط1 ، 1980م

حسين، حمدي عبد المنعم محمد

6- دراسات في التاريخ الأندلسي، دولة بني برزال في قرمونة ، (404-459 هـ) 1013م -1067 الإسكندرية، ط 1990م.، مؤسسة شباب الجامعة،

دويدار، حسن يوسف

7- المجتمع الأندلسى في العصر الأموي، 138- 422هـ، 755-1030م، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، 1414هـ - 1994م.

ذنون ، طه عبد الواحد

8- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر، المنشورات وزارة الثقافة والأعلام، 1982م.

الزركلي،

9- الأعلام(قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين)، دار الملايين، ط9، 1990م

زيدان، جرجي

10- روايات في تاريخ الإسلام فتح الأندلس، تقديم/ محمود علي مكي، دار الهلال، ط 1984م .

ابن زيدون، وديع

11- تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة الأهلية، ط1 ، 2005م .

سالم، سيد عبد العزيز

12- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1981.

السرجاني، راغب

13- قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط ، (الأجزاء 2)، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 1432هـ -2011م .

الشطشاط، علي

14- تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2001م.

الصوفي، خالد

15- تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة من عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر(138هـ -350هـ ، 755م - 960م)، منشورات جامعة قاريونس، كلية الآداب، ط2 ، 1980م .

طويل، مريم قاسم

16- مملكة المرية في العهد المعتصم بن صمادح، 433هـ، 884هـ، 1051، 1091م، مكتبة الوحدة العربية، دار البيضاء، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1414هـ= 1994م.

العبادي، أحمد مختار

17- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة .

18- التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت .

عثمان، حامد

19- المسلمون في العالم قضايا وتحديات، ج1، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ط1، 1399هـ، 19990م.

عقيلان، أحمد

20- أبطال ومواقف ، دار اليقين للنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط 1425هـ ، 2004م .

عنان، محمد عبد الله

21- دولة الإسلام في الأندلس ، الخلافة الأموية والدولة العامرية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ، 1417هـ -1997 م.

عويس، عبد الحليم

22- العصبية القومية، ، وأثرها في سقوط الأندلس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ط1، 1414هـ، 1994م

القاسمي، خالد محمد،

23- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، دار الثقافة العربية، د.ط، د.ت.

كولان، ج.س

24- الأندلس ، كتاب دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة، إبراهيم خورشيد وآخرون ، دائرة الكتاب اللبناني بيروت ، دائرة الكتاب المصري ، القاهرة ، ط 1 ، 1980م.

لوبون، غوستاف،

25- حضارة العرب، د.ط، د.ت.

مراد، مصطفى

26- خلق المؤمن، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ط2 ، 1401هـ - 1981.

محمود، منى حسن

27- المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، 92هـ، 206هـ، 714، 815م، دار الفكر العربي، 1986م.

مسعد، سامية مصطفى

28- العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية 300- 399هـ ، 912- 1008م ، هيئة عامة ، مكتبة الإسكندرية للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط1 ، 2000م .

مؤنس، حسين

29- فجر الأندلس ، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية ، 711 - 756 هـ ، دار المناهل، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1423 هـ - 2002م .

30- أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة،ط1، 147هـ- 1987م.

نعنعي، عبد المجيد

31- تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ، ط1986م .

رابعاً: الرسائل العلمية

اشتيوي، أشرف يعقوب أحمد

1- الأندلس في عصر الولاه، 91، 138هـ، 711، 756م، إشراف الدكتور، هشام أبو رميلة، 2004م، جامعة النجاح، (رسالة ماجستير)

إمام، محمد أبو محمد

2- نظم الحكومة الإسلامية في الأندلس في عهد بني أمية 138 -366هـ ، 756-976م ، رسالة دكتوراه ، إشراف/ أ.د ضيف الله يحيي الزهراني ، ط 1414هـ -1994م .

البشري، سعد عبد الله صالح

3- الحياة العلمية في عصر الخلافة ، 316 هـ -422هـ ، 928م-1030م ، رسالة ماجستير، معهد البحوث العلمية واحياء الثرات ، 1417هـ -1997م.

بولعراس، خميسي

4- الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، 400، 479هـ، 1009، 1086م، اشراف الاستاذ الدكتور، مسعود مزهودي، 1427، 1428هـ، 2006، 2007م، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، (رسالة ماجستير)

الحساني، فايزة بنت عبد الله

5- تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها316، 512هـ، 928، 1118م، دراسة سياسية وحضارية، إشراف، أ.د سعد عبد الله البشري، 1429، 1430هـ، جامعة أم القرى، (رسالة ماجستير)

الخالدي، خالد يونس ،

6- اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس ، 92هـ -897هـ ، 711م -1492م ، رسالة دكتوراه ، ط1421هـ - 2000م(رسالة دكتوراه)

زيارة، نادر فرج

7- الترف في المجتمع الأندلسي ، 92هـ -711هـ ، 668-1269م ، إشراف، أ.د خالد يونس الخالدي ، 1431هـ -2010م (رسالة ماجستير)

الصوفي ، إبراهيم ،

8- العدل عند حكام الأندلس في عهدي الإمارة والخلافة ، إشراف أ.دخالد يونس الخالدي، ط 1436هـ،2014م. (رسالة ماجستير)

القحطاني، علي محمد ،

9- الدولة العامرية في الأندلس دراسة سياسية وحضارية 368هـ -399هـ ، 978م -1009م ، رسالة ماجستير ، إشراف/ أ.د أحمد سيد دراج ، سنة 1401هـ - 1981م .

المزروع، وفاء عبد الله بن سليمان ،

10- الخليفة الأموي ، الحكم المستنصر350-366هـ ، رسالة ماجستير ، ط 1402هـ -1983م .

مصطفى، خزعل ياسين،

11- بنو أمية في الأندلس ودورهم في الحياة العامة، 138، 422هـ، 755، 1030م. إشراف الأستاذ الدكتور، ناطق صالح مطلوب، 1424، 2004، جامعة الموصل، (رسالة دكتوراه)

خامساً: المجلات العلمية

1- جاسم، جاسم لظيف، الانجازات الحضارية والفكرية للوالي موسى بن نصير في المغرب والاندلس، جامعة تكريت، مجلة كلية التربية الإسلامية، جامعة بابل، ع11، آذار 2013.

الملاحق

الملحق رقم (1) خريطة فتح الأندلس[1]



---

[1] اشتيوي، أشرف يعقوب أحمد، الأندلس في عصر الولاة، ص197

الملحق رقم (2) قائمة بأسماء ولاة الأندلس[1]

الرقم	الوالي	سنة التعيين هـ/م
1	عبد العزيز بن موسى بن نصير	95هـ /714م
2	أيوب بن حبيب اللخمي (ابن اخت موسى بن نصير)	97هـ/716م
3	الحر بن عبد الرحمن الثقفي	97هـ/716م
4	السمح بن مالك الخولاني	102هـ/721م
5	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي	102هـ/721م
6	عنبسة بن سحيم الكلبي	103هـ/721م
7	عذرة بن عبد الله الفهري	107هـ/725م
8	يحيى بن سلمة الكلبي	107هـ/726م
9	حذيفة بن الأحوص القيسي (الاشجعي)	110هـ/728م
10	عثمان بن أبي نسعة الخثعمي	110هـ/729م
11	الهيثم بن عدي (عبيد) الكلابي (الكناني)	111هـ/729م
12	محمد بن عبد الله الأشجعي	111هـ/730م
13	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي "ولايته الثانية"	112هـ/730م
14	عبد الملك بن قطن الفهري "ولايته الأولى"	114هـ/732م
15	عقبة بن الحجاج السلولي	116هـ/734م
16	عبد الملك بن قطن الفهري "ولايته الثانية"	123هـ/741م
17	بلج بن بشر بن عياض القشيري	124هـ/742م
18	ثعلبة بن سلامة العاملي	124هـ/742م
19	أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي	125هـ/743م
20	ثوابة بن سلامة الجذامي	128هـ/746م
21	عبد الرحمن بن كثير اللخمي	129هـ/746م
22	يوسف بن عبد الرحمن الفهري	129هـ/747م

[1] اشتيوي، أشرف يعقوب أحمد، الأندلس في عصر الولاة، ص195

الملحق رقم (3) قائمة بأسماء خلفاء بني أمية في الأندلس[1]

الرقم	خلفاء بني أمية في الأندلس	مدة الحكم
1	عبد الرحمن الداخل	حكم من 138 هـ – و حتى 172 هـ
2	هشام الأول (أبو الوليد)	من 172 هـ – 180 هـ
3	الحكم الأول (أبو المظفر) بن هشام الأول الملقب بالمرتضى	من 180 هـ – 206 هـ
4	عبد الرحمن الثاني بن الحكم الأول	من 206 هـ – 239 هـ
5	محمد الأول بن عبد الرحمن الثاني	من 239 هـ – 273 هـ
6	المنذر بن محمد الأول بن عبد الرحمن الثاني	من 273 هـ – 275 هـ
7	عبد الله بن محمد الأول بن عبد الرحمن الثاني	من 275 هـ – 300 هـ
8	عبد الرحمن الثالث بن محمد الأول " الناصر لدين الله"	من 300 هـ – 350 هـ
9	الحكم الثاني بن عبد الرحمن الثالث المستنصر بالله	من 350 هـ – 366 هـ
10	هشام الثاني بن الحكم الثاني بن عبد الرحمن الثالث المؤيد بالله	من 366 هـ كان في صورة خليفة فقط و كان الخليفة الحقيقي هو المنصور محمد بن أبي عامر المعافري القحطاني
11	المنصور محمد بن أبي عامر المعافري القحطاني	367-392هـ
12	عبد الملك بن محمد العامري	392 هـ – 399 هـ
13	عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر الملقب بشنجول	399هـ

(1) تمّ إعداد القائمة من خلال مصادر التاريخ الأندلسي.

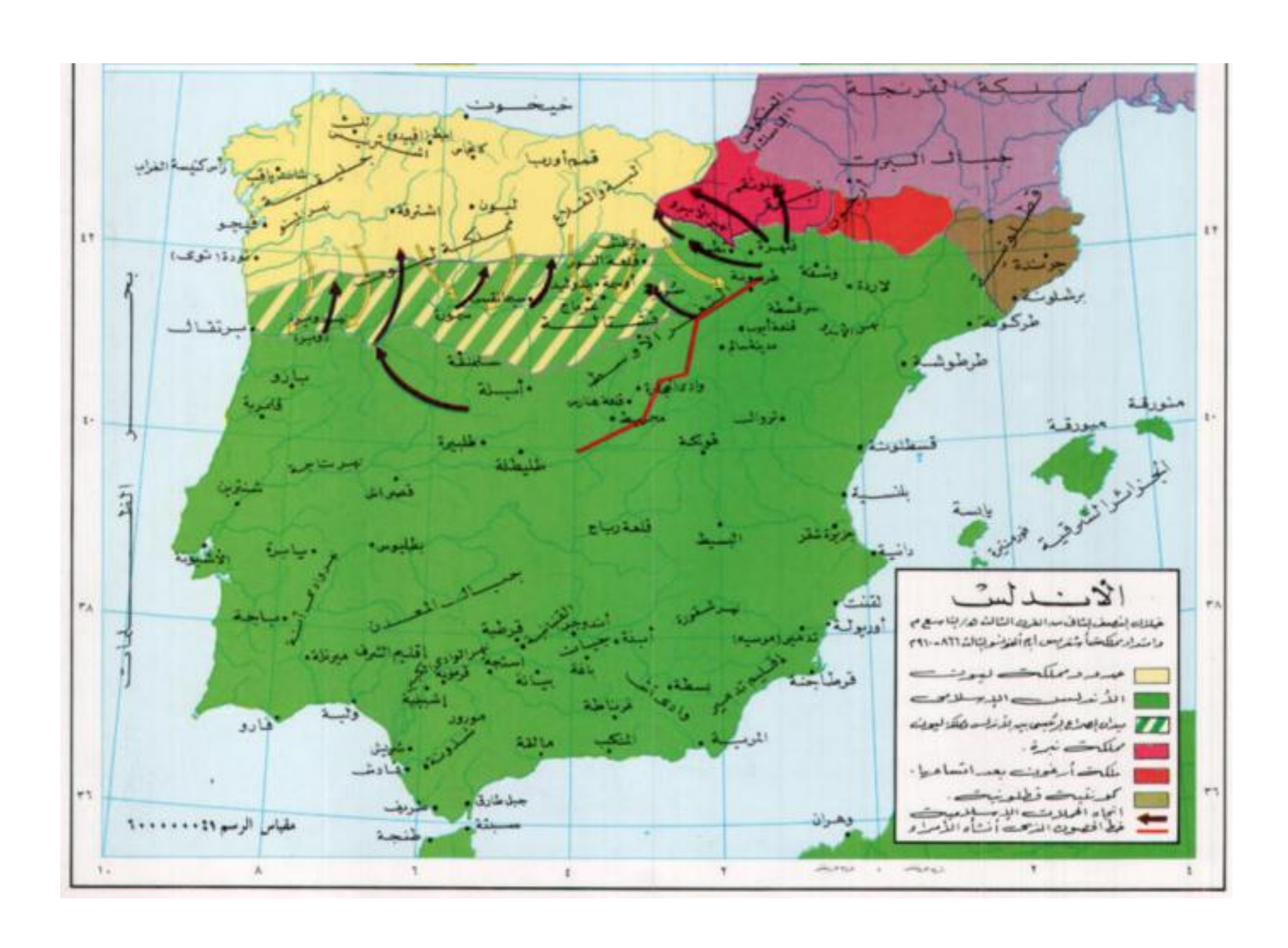
14	محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر عبد الرحمن و الملقب بالمهدي	ما بين العام 399 هـ – و العام 400 هـ
15	سليمان بن الحكم المستنصر و الملقب بالمستعين	من عام 400 هـ – 407 هـ
16	علي المتوكل على الله	400 هـ – 408 هـ
17	علي بن حمود الإدريسي الهاشمي ولقب نفسه المتوكل على الله الناصر لدين الله	توجه سنة 407 هـ مع جيش من البربر، فدخل قرطبة و قتل "المستعين بالله " فاغتالوه سنة 408 هـ فخلفه أخوه القاسم ابن حمود و تلقب بلقب المأمون و في سنة 413 هـ ثار عليه البربر و خلعوه و ولوا ابن أخيه يحيى بن علي الإدريسي و تلقب بلقب المعتلي بالله و لم يلبث أن خلعه البربر، وأعادوا عمه القاسم بن حمود فبايعوه و تلقب بلقب أمير المؤمنين ثم إنهم خلعوا القاسم، وأعادوا ابن أخيه يحيى للمرة الثانية. فعاد الحكم إلى بني أمية مرة أخرى.
18	عبد الرحمن الرابع بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمرتضى	408 هـ – 414 هـ
19	عبد الرحمن أبو المطرف الخامس بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمستظهر بالله.	حكم 47 يوماً فقط
20	محمد الثالث ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر و الملقب بالمستكفي بالله.	ملك 17 شهراً فقط من 414 هـ – 415 هـ
21	هشام الثالث بن عبد الرحمن الرابع بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر بن محمد الرابع المعتد بالله .	من 415 هـ – 422 هـ خلعه أهل قرطبة و أخرجوه منه

الملحق رقم (3) تطور حدود الأندلس في عهد الإمارة [1]



(1) مؤنس ، حسين ، أطلس تاريخ الإسلام، ص 172.

الملحق رقم (4) تطور حدود الأندلس في عهد الإمارة [1]



(1) مؤنس ، حسين ، أطلس تاريخ الإسلام، ص 172.

ملخص الدراسة:

الأخلاق الإسلامية عند حكام الأندلس وأثرها في بناء الدولة

(92-422هـ=711-1031م)

تناولت الدراسة مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً؛ حيث عرضت أهم التعريفات اللغوية للأخلاق عند علماء اللغة ، كما تم توضيح أهم تعريفات الأخلاق، إضافة إلى بيان وكما تم توضيح أخلاق الحكام في القرآن الكريم، وعرضت الدراسة نصوصاً كثيرة تدعو الحكام إلى إلتزام بمكارم الأخلاق؛ وقد وحرص حكام الأندلسعلى الاقتداء بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان خُلقه القرآن، وكان أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً، كما اقتدى حكام الأندلس بالخلفاء الراشدين، وتناولت الدراسة مظاهر التزام حكام الأندلس في عهد الولاة بالأخلاق الإسلامية.؛ كحفظ العهود، وشجاعة حكام الولاة وجهادهم جنوب فرنسا، والحزم، وقوة الشخصية ، والتقوى، والصدق، والأمانة ، والعدل والتسامح الديني، ، كما بينت الدراسة آراء المستشرقين في التسامح الديني عند حكام الأندلس، وأشارت إلى أهم انحرافات حكام الأندلس في عهد الولاة عن الأخلاق الإسلامية، ورصدت العديد من التجاوزات ومنها، الظلم ، والعصبية القبلية.

كما بينت الدراسة النزاع بين العرب والبربر، والصراع بين الفاتحين الأوائل والشاميين، والصراع بين القيسية واليمنية، وتناولت مظاهر التزام حكام الأندلس في عهد الإمارة بالأخلاق الإسلامية، كالجهاد والشجاعة ، والتقوى، التواضع،والتسامح والحزم، واغاثة الملهوف ونصرة المظلوم والعدل والشورى، والعفو،الاهتمام بالعلم ، كما تناولت أهم انحرافات حكام الأندلس في عهد الإمارة عن الأخلاق الإسلامية. ورصدت العديد من التجاوزات، الظلم، والولع بالموسيقا والغناء، وتناولت الدراسة مظاهر التزام حكام الأندلس في عهد الخلافة بالأخلاق الإسلامية، العدل، و الجهاد، والشجاعة، والحزم، والحلم، والشورى، والكرم، و محبة حكام الأندلس للعلماء واحترامهم، و التقوى، وتناولت الدراسة أهم انحرافات حكام الأندلس في عهد الخلافة عن الأخلاق الإسلامية. ورصدت العديد من التجاوزات ومنها، الظلم، و الصراع على الحكم، و قطع الرحم، و الاعتداء باللفظ على العلماء، و شرب الخمر، و استعانة الحكام بالعدو، وتناولت الدراسة تأثير أخلاق حكام الأندلس في عهدي الإمارة، والخلافة على بناء الدولة، والتزامهم بالشريعة الإسلامية، وقيام الحكام بالإصلاحات المعمارية في الأندلس كبناء المساجد، والقصور، والحصون، والأسوار، والقناطر، والجسور، وبناء المدن العسكرية، والاهتمام بالقوة العسكرية كالجيش و الأسطول، والاهتمام بالتعليم والعلماء، وأنهيت الدراسة بخاتمة لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

Abstract:

Islamic Ethics among Andalusia Rulers and impact on Building the State

(92-422H = 711-1031)

The study clarified on the concept of ethics lingual and idiomatically; where offered the most important linguistic definitions of morality by linguists، also has been clarify the definitions of morality in the Holy Qur'an. The study offered many texts calling rulers to adhere to ethics. Rulers of Andalusia was keen to follow the ethics of the Prophet، he was the best among nation، and as well، they followed the ethics of rulers of caliphs. The study clarified aspects of the commitment of the rulers of Andalusia in the era of the governors of Islamic morality.; like covenants، brave، struggle southern France، strength of character، piety، honesty، justice and religious tolerance. The study also demonstrated the views of Orientalists in religious tolerance among the rulers of Andalusia، as well pointed to the most important deviations among the rulers away from the Islamic ethics، and clarified many of the abuses، including، injustice and tribalism.

The study also showed the conflict between Arabs and Berbers، the conflict between the first conquerors، and the conflict between Qaysiyah and Yemen. The study also showed aspects of the commitment of the rulers with the Islamic ethics، like Jihad، courage، piety، humility، tolerance، defending the oppressed and justice، the Shura Council، and interest in science. The study also focused on the most important buses by rulers of Andalusia، like injustice، passion in music and singing. The study showed the rulers of Andalusia commitment in justice، Islamic

Jihad، courage and firmness، the Shura Council، generosity، respecting scientists and piety. The study also showed abuses by rulers like injustice، the struggle for power، insulting scientists، drinking alcohol، and use of enemy. The study showed the impact of ethics commitment to Islamic law، and the rulers reforms Architecture in Andalusia، such as building mosques، palaces، forts and walls، archways، bridges، construction of military towns، and attention to military force such as the army and fleet.